









دار الكتب المصرية

القسم الأدبي

# نهاية الأرب

في

فنون الأدب

تأليف

شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب النوري

السفر الرابع

الطبعة

مطبعة دار الكتب المصرية

١٩٣٥

الطبعة الثانية بمطبعة دار الكتب المصرية

جميع الحقوق محفوظة لدار الكتب المصرية

# فهرست

السفر الرابع من كتاب نهاية الأرب في فنون الأدب للتویری

صفحة

## الباب الثالث

### ١ في المجون والنوادر والفكاهات والملح

ذكر مزاحات رسول الله صلى الله عليه وسلم ٣ — ذكر من أشهر المزاح من الصحابة  
 وضوان الله عليهم ٣ — ذكر شيء من مجون الأعراب ٧ — من نوادر القضاة ٩ —  
 من نوادر النحاة ١٣ — من نوادر المتنبيين ١٤ — من نوادر المنقذين والمحقين ١٦ —  
 من نوادر التبيين ١٧ — من نوادر النساء والجناري ١٨ — من نوادر المختصين ٢٥ —  
 من نوادر البغاثين ٢٨ — من نوادر اللطافة والظلمة ٢٩ — من نوادر السبيان ٣٠ —  
 من نوادر السؤال ٣٢ — من نوادر من أشهر بالمجون ٣٣ — من نوادر أشعب وأخباره  
 ٣٤ — من نوادر أبي دلالة ٤٦ — من نوادر أبي صدقة ٥٨ — من نوادر الأقبشير  
 ٦٢ — من نوادر أبي سيابة ٦٨ — من نوادر مطيع بن إلياس الكفائي وأخباره ٧٠ —  
 من نوادر أبي الشبل ٧٨ — من نوادر حمزة بن بيض الحنفي ٨١ — من نوادر أبي العيناء  
 عفا الله عنه ٨٤ — ذكر ما ورد في كراهة المزح ٨٨ — من الشعر المناسب لهذا  
 الباب والله ادخل فيه ٩٠

## الباب الرابع

### ١٠٢ في النخر وتحريمها، وآفاتنا، وجنباياتها، وأسمائها، وأخبار من تنزه عنها في الجاهلية، ومن حدّ فيها من الأشراف، ومن اشتهر بها، وليس ثوب الخلاعة بسببها، وما قيل فيها من جيد الشعر، وما قيل في وصف آفاتنا وآنيّتها، وما قيل في مبادرة اللذات، وما وصفت به المجالس، وما يجري هذا المجرى

ذكر ما قيل في النخر وتحريمها ١٠٢ — ما ورد في تحريمها في كتاب الله وبينته  
 السنة ١٠٧ — ما قيل في إباحة المطبوخ ١٠٨ — آفات النخر وجنباياتها ١٠٩ —  
 أسماء النخر من حيث تعصر إلى أن تشرب ١١٢ — أخبار من تنزه عنها في الجاهلية  
 وتركها رفعها عنها ١١٤

صفحة

١١٦ ذكر من حدة فيها من الأشراف ومن شربها منهم ومن أشتهر بها وليس فيها ثوب الخلاعة ومن افتخر بشربها :

من حدة فيها من الأشراف ١١٦ — من شربها منهم واشتهر بها ١١٨ — من افتخر بشربها وسبأها ١٣٠

١٣٤ ذكر شيء مما قيل فيها من جيد الشعر :

ما قيل فيها على سبيل المدح لها ١٣٤ — ما قيل في وصفها وتشبيها ١٣٥ — ما قيل في أفعالها ١٣٩ — ما وصفت به خير ما قدمناه ١٤٠ — ما قيل فيها إذا مزجت بالماء ١٤٢

١٤٥ ذكر ما قيل في مبادرة اللذات ومجالس الشراب وطبها :

ما وصفت به مجالس الشرب ١٤٦ — ما قيل في طي مجالس الشراب ١٤٨

١٤٨ ذكر ما قيل في وصف آلات الشراب وأوانها :

ما قيل في الراوق ١٤٩ — ما وصفت به زقاق النمر ١٥٠ — ما وصفت به الأباريق ١٥٠ — ما وصفت به الكاسات والأقداح ١٥١

### الباب الخامس

١٥٣ في الندمان والسقا

ما قيل في السقا ١٥٦

### الباب السادس

١٦٠ في الغناء والسماع وما ورد في ذلك من الحظر والإباحة وما استدل به من رأى ذلك ومن سمع الغناء من الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين ، ومن التابعين ومن الأئمة والعباد والزهاد ، ومن غنى من الخلفاء وأبنائهم والأشراف والقواد والأكابر ، وأخبار المفتين الذين نقلوا الغناء من الفارسية الى العربية ، ومن أخذ منهم ، ومن اشتهر بالغناء وأخبار القيان

ذكر ما ورد في الغناء من الحظر والإباحة ١٦٠ — ما قيل في تحريم الغناء وما استدل به من رأى ذلك ١٦٠ — دليلهم من الكتاب العزيز ١٦١ — دليلهم من السنة ١٦١ — أقوال المسحاة ١٦٢ — أقوال الأئمة ١٦٣ — ما ورد في إباحة الغناء والسماع والضرب بالآلة ١٦٤ — ما استدلوا به على إباحة الغناء من الأحاديث النبوية ١٦٥ — ما ورد في الضرب بالآلة ١٦٧ — في السماع ١٦٩ — في القصب والأوتار ١٧٠ — في المزامير والملاهي ١٧٢ — ذكر ما ورد في توهين ما استدلوا به على تحريم



صفحة

الفناء والباع ١٧٤ — ما احتجوا به من الآيات ١٧٤ — ما احتجوا به من الحديث ١٧٨ — ذكر أقسام الباع وبراعه ١٩٤ — ذكر العوارض التي يحرم معها الباع ١٩٨ — العارض الأول ١٩٨ — الثاني في الآلة ١٩٩ — الثالث في نظم الصوت ١٩٩ — الرابع في المستمع ٢٠٠ — العارض الخامس ٢٠١ — ذكر آثار الباع وأدابه ٢٠١ — من سمع الفناء من الصعابة والتأبين رضى الله عنهم ٢١٧ — من سمع الفناء من الأتمة والعباد والزهاد ٢٢١ — من غنى من الخلفاء وأبنائهم ونسبت له أصوات من الفناء نقلت عنه ٢٢٧ — من غنى من الخلفاء ٢٢٧ — وعن غنى من خلفاء الدولة العباسية ٢٢٨ — أبناء الخلفاء الذين لم صنعت ويد في هذا الفن ٢٣٢ — من غنى من الأشراف والعلماء رحمهم الله ٢٥٤ — من غنى من الأعيان والأكابر والنواد من نسبت له صنعة في الفناء ٢٥٨

ذكر أخبار المغنين الذين نقلوا الفناء من الفارسية الى العربية ومن أخذ عنهم ومن أشتهر بالفناء :

أخبار سعيد بن مسجح ٢٦٦ — أخبار سائب خاثر ٢٧٠ — أخبار طويس ٢٧٣ — أخبار عبد الله بن مريج ٢٧٦ — أخبار معبد ٢٨٩ — أخبار الفريض وما يتوصل بها من أخبار عائشة بنت طلحة ٢٩٤ — أخبار محمد بن طائفة ٣٠٨ — أخبار ابن محرز ٣١٥ — أخبار مالك بن أبي السمح ٣١٦ — أخبار يونس الكاتب ٣٢٠ — أخبار حنين ٣٢١ — أخبار سباط ٣٢٣ — أخبار الأبحر ٣٢٥ — أخبار أبي زيد اللال ٣٢٦ — أخبار عطرد ٣٣١ — أخبار عمر الوادي ٣٣٣ — أخبار حكم الوادي ٣٣٤ — أخبار ابن جامع ٣٣٥ — أخبار عمرو بن أبي الككات ٣٣٧ — أخبار أبي الهيثم مخارق ٣٤١ — أخبار يحيى بن مرفق المكي ٣٤٩ — أخبار أحمد بن يحيى المكي الملقب بطنين ٣٥٠ — أخبار هاشم بن سلمان مولى بني أمية ٣٥١ — أخبار يزيد حوراء ٣٥٢ — أخبار طنج بن أبي العزراء ٣٥٥ — أخبار إبراهيم الموصل صفاء الله عنه ٣٥٧ — نبذة من أخبار إبراهيم الموصل مع البرامكة ورحمهم الله تعالى ٣٦٤



السفر الرابع

من

كتاب نهاية الأرب في فنون الأدب

---



## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

اللهم صل أفضل صلاة على أفضل خلقك سيدنا محمد وآله وسلم .

### الباب الثالث

من القسم الثالث من الفن الثاني

( في المجهود والنوادر والفكاهات والمُلح )

وهذا الباب مما يجذب النفوس اليه ، وتشتمل الخواطر عليه ، فإن فيه راحةً للنفوس إذا تعبت وكَلَّتْ ، ونشاطاً لخواطر إذا سبغت وملّت ، لأن النفوس لا تستطيع ملازمة الأعمال ، بل ترتاح إلى تنقل الأحوال . فإذا عاهدتها بالنوادر في بعض الأحيان ، ولاطفتها بالفكاهات في أحد الأزمان ، طادت إلى العمل الجهد بنشظة جديدة ، وراحية في طلب العلوم مدينة .

وقد روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « رَوِّحُوا الْقُلُوبَ سَاعَةً بَعْدَ سَاعَةٍ فَإِنَّ الْقُلُوبَ إِذَا كَلَّتْ عَمِيَتْ » .

وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه : <sup>(١)</sup> اُحْشُوا هَذِهِ الْقُلُوبَ وَاتَّخِذُوا لَهَا طَرِيقَ الْحِكْمَةِ ، فَإِنَّهَا تَمَلُّ كَمَا تَمَلُّ الْأَبْدَانُ ، وَالنَّفْسُ مُؤَثَّرَةٌ لِلْهَوَى ، آخِذَةٌ بِالْهَوِيِّ ، جَانِحَةٌ إِلَى

(١) اللهو، أثمارة بالسوء، ستوطنة بالعجز، طالبة للراحة، نافرة عن العمل، فإن  
أكرهتها أنضبتّها، وإن أهملتها أردتّها .

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يضحك حتى تبدو نواجذه . وكان محمد بن  
سيرين يضحك حتى يسيل لعابه .

- وقال هشام بن عبد الملك : قد أكلت الحلو والحامض حتى ما أجد لواحد منهما  
طعما، وشممت الطيب حتى ما أجد له رائحة، وأتيت النساء حتى ما أبالي امرأة أتيت  
أم حاطا، فما وجدت شيئا ألدّ إلى من جليست تسقط بيني وبينه مشونة الحفظ .<sup>(٢)</sup>  
وقال أحمد بن عبد ربه : الملتع ثزّه النفس، وريبع القلب، ومترّع السمع،  
ومجلب الراحة، ومعين السرور . وقال أيضا : إن في بعض الكتب المترجمة أن يوحنا  
وشمعون كانا من الحواريين، فكان يوحنا لا يجلس مجلسا إلا ضحك وأضحك من  
حواله، وكان شمعون لا يجلس مجلسا إلا بكى وأبكى من حوله . فقال شمعون ليوحنا :  
ما أكثر ضحكك ! كأنك قد فرغت من عملك ! فقال له يوحنا : ما أكثر بكائك !  
كأنك قد ئلست من ربك . فأوحى الله إلى عيسى بن مريم عليه السلام : أنت أحب  
السيرتين إلى سيرة يوحنا .

- والعرب إذا مدحوا الرجل قالوا : هو ضحوك السنّ، بسمّ المشيات، هُشّ إلى  
الضيف . وإذا ذمّته قالت : هو صُبّوس الوجه، جهّم الحُتيا، كرية المنظر، حامض  
الوجه « كأنما وجهه بالخل منضوح » . وكأنما أسقط خيشومه بالخرذل .

وقيل لسفيان المزاح مُجَنّة، فبقال : بل سُنّة، لقوله عليه الصلاة والسلام :  
« إني لأمزح ولا أقول إلا الحق » ، صلى الله عليه وسلم وعلى آله وصحبه أجمعين .

(١) كذا في القند القريه . وفي الأصل : « فإن أكرهتها أنضبتّها ، وإن أهملتها أردتّها » .

(٢) في الأصل : « مروة الحفظ » .

(٣) في القند القريه : « بسمّ الثنيات » .

### ذكر مزايا رسول الله صلى الله عليه وسلم

وقد مَرَّح رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ فمن ذلك : أنه قال صلى الله عليه وسلم  
 لرجل آستحمله : « نحن حاملوك على ولد الناقة » يريد : البعير . وقال صلى الله عليه  
 وسلم لامرأة من الأنصار : « الحَقِّي زَوْجَكَ فَيُعِينَهُ بِيَاضٍ » . فسمعت المرأة نحو  
 زوجها مرعوبة ؛ فقال لها : مادها لك ؟ فقالت : قال لي رسول الله صلى الله عليه  
 وسلم : إاق في عينك بياضا ؛ فقال : إن في عيني بياضا لا لسوء . وأنته عجوز  
 أنصارية فقالت : يا رسول الله ، أدع لي بالمغفرة . فقال لها : « أما علمت أن الجنة  
 لا يدخلها العجوز ! فصرخت ؛ فتبسم صلى الله عليه وسلم وقال لها : " أما قرأت  
 ﴿ إِنَّا أَنشَأْنَاهُنَّ إِنثَاءً فَجَعَلْنَاهُنَّ أَبْكَارًا عُرُبًا أَثْرَابًا ﴾ . »

ونظر عمر بن الخطاب رضى الله عنه الى أصرافى قد صلى صلاة خفيفة ،  
 فلما قضىها قال : اللهم زوجنى بالجوهر العين ؛ فقال عمر : يا هذا ! أسأت التقد ،  
 وأعظمت الخطبة .

### ذكر من أشهر بالمزاح من الصحابة

#### رضوان الله عليهم

كان أشهرهم بالمزاح رضى الله عنهم نعيمان ، وهو أحد أصحاب رسول الله صلى الله  
 عليه وسلم البدرين ، وله رضى الله عنه مزايا مشهورة ، منها ما روى : أنه خرج  
 مع أبى بكر الصديق إلى بصرى ، وكان في الجملة سويط ، وهو بدرى أيضا ، وكان  
 سويط على الزاد ؛ فجاءه نعيمان فقال له : أطمعنى ؛ قال : لا ، حتى يأتى أبو بكر .  
 فقال نعيمان : والله لأغيطنك . وجاء إلى أناس جلبوا ظهرا ، فقال ابتاعوا مني غلاما  
 عربيا فارها إلا أنه دماء له لسان ، لعله يقول : أنا حر ؛ فإن كنتم تاركه لذلك فبيعوه ،

لأُتْسَلُوا عَلَى غَلَامِي . قالوا : بل نبتاعه منك بعشر قلائص . فأقبل بها يسوقها ، وأقبل بالقوم حتى قفلها ، ثم قال : دونكم ! هذا هو . فقالوا : قد أشتريناك . فقال سويبط : هو كاذب ، أنا رجل حرّ ، فقالوا : قد أخبرنا خبرك ، ووضعوا في عنقه حبلا وذهبوا به . فجاء أبو بكر رضي الله عنه فأخبر بذلك ، فذهب هو وأصحابه ، فردّوا القلائص على أربابها وأخذوه . وأخبر النبي صلى الله عليه وسلم بالقصة فضيحهك منها حولا .

ومن مزاحاته : أنه أهدى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بحرة عسل اشتراها من أعرابي ، وأتى بالأعرابي إلى باب النبي صلى الله عليه وسلم فقال : خذ اثنين من هاهنا . فلما قسمها النبي صلى الله عليه وسلم نادى الأعرابي : أَلَا أُعْطِيَ شَيْءٌ عَسَلِي ؟ ! فقال النبي صلى الله عليه وسلم : «إحدى هاتين تيمان» . وسأله : لم فعلت هذا ؟ فقال : أردت بِرَّكَ يا رسول الله ، ولم يكن معي شيء . فتبسّم النبي صلى الله عليه وسلم وأعطى الأعرابي حقه .

ومن مزاحاته أيضا : أنه مرّ يوما بحمّرة بن نوفل الزهري ، وهو ضرير ، فقل له : تُؤدّي حتى أبول ، فأخذ بيده حتى إذا كان في مؤنبر المسجد قال له : اجلس ، بغلس حمّرة ليبول ، فصاح الناس : يا أبا المسور ، أنت في المسجد . فقال : من قادني ؟ فقل له : تيمان . قال : لله عليّ أن أضربه بمصاي إن وجدته . فبلغ ذلك تيمان ، فجاء يوما فقال لحمّرة : يا أبا المسور ، هل لك في تيمان ؟ قال نعم . قال : هو ذا يصل . وأخذ بيده وجاء به إلى عثمان بن عفان رضي الله عنه وهو يصل ، فقال : هذا تيمان ، فعلاه حمّرة بمصاه ، فصاح به الناس : ضربت أمير المؤمنين . فقال : من قادني ؟ قالوا : تيمان ، فقال : لاجرم لأمرضت له بسوء أبدا .



ومنهم ابن أبي عتيق، وهو عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق  
رضي الله عنهم . وكانت ذا ورع وعفاف وشرف، وكان كثير المحبون، وله نوادر  
مستظرفة، منها : أنه لقي عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقال : ما أقول  
في إنسان هجاني بشعر، وهو :

أذهبت مالك غير مُتْرِك \* في كل مؤنسٍ وفي الخمر<sup>(١)</sup>

ذهب الإله بما تميش به \* وبقيت وحلك غير ذي وقير

فقال عبد الله بن عمر : أرى أن تأخذ بالفضل وتصفح . فقال له عبد الله بن محمد  
ابن عبد الرحمن : والله أرى غير ذلك . فقال : وما هو؟ قال : أرى أن أنيكه . فقال  
ابن عمر : سبحان الله ! ما ترك الهزل ! وأقترقا . ثم لقيه بعد ذلك فقال له : أتدري  
ما فعلت بذلك الإنسان؟ فقال : أي إنسان؟ قال : الذي أعلبتك أنه هجاني . قال :  
ما فعلت به ؟ قال : كل مملوك لي حر إن لم أكن نكته . فاعظم ذلك عبد الله بن  
عمر وأضطرب له . فقال له : أمرأتى والله التي قالت الشعر وهجنى به . وكانت  
أمرأته أم إصْحَاق بنت طلحة بن عبيد الله .

وقد مدح الشعراء اللب في موضعه، كما مدح الجند في موضعه، فقال أبو تمام :

الجند شبيته وفيه فكاهة \* طوراً ولا جد لمن لم يلعب

وقال الأثيرد رحمة الله عليه :

إذا جد عند الجند أرضاك جدّه \* وذو باطل إن شئت أهلك باطله

(١) رواية الجين في كتاب التاج لملاحظ ص ١٢١ :

ذهب الإله بما تميش به \* وقسرت ليك أيما قر

أفقت مالك غير عشم \* في كل زانية وفي الخمر

(٢) في التاج أنها عاتكة بنت عبد الرحمن .

- . ومن مجون عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن ما حكى أن جاريته قالت له :  
 إن فلانا القارئ ، وكان يظهر النسك ، قد قطع على الطريق وأذاني ويقول لى :  
 أنا أحبك . فقال لها : قولى له : وأنا أحبك أيضا ، وواعديه المنزل ، ففعلت وأدخلته  
 المنزل ، وكان عبد الله قد واعد جماعة من أصحابه ليضحكوا من الرجل . ودخلت  
 الجارية الى البيت الذى فيه الرجل ، فدعاها فاعتلت عليه ، فوثب إليها [ فاحتلمها <sup>(١)</sup> ]  
 وضرب بها الأرض ، فدخل عليه ابن أبي عتيق وأصحابه وقد توركها ، ففعل وقام  
 وقال : يا أمّساق ، ما تجتمه هاهنا الإلرية . فقال له ابن أبي عتيق : أستر علينا ستر الله  
 عليك ، ثم لم يرتدع عن العبث بها ، فشكّت ذلك الى سيدها ، فقال لها : هيهي من  
 الطعام طحن ليلة الى الغداة ففعلت ، ثم قال لها : سيدي الليلة ، فإذا جاء فقولى له :  
 إنك وظيفتى الليلة طحن هذا كله ، ثم أخرجنى الى البيت وأتركه ، ففعلت ، فلما دخل  
 طحنت الجارية قليلا ، ثم قالت له : أدير الرخى حتى أفتقد سيدي ، فإذا نام وأمتنا  
 أن يأتينا أحد ، صرث إلى ما تحب ، ففعل ، ومضت الجارية الى مولاهما ، وأمر ابن  
 أبي عتيق عدة من مولاته أن يتراوحن على سهر ليلتين ويتفقذن أمر الطحن  
 ويحشثن عليه ، ففعلن وجعلن يتأدين الفقى كلما كف عن الطحن : يا فلانة إنك  
 مولايك مستيقظ والساعة يعلم أنك قد كفتت عن الطحن ، فيقوم إليك بالصبا كما دته  
 مع من كانت نوبتها قبلك إذا هى نامت وكفتت عن الطحن ، فلم يزل كلما سمع ذلك  
 الكلام منهن أجهد في العمل والجارية تنفقه وتقول له : استيقظ مولاي والساعة  
 ينام فأصير الى ما تحب وهو يطحن ، حتى أصبح وفرغ القمح ، فأنته الجارية بعد  
 فراغه فقالت له : قد أصبح فأجج بنفسك . فقال : أو قد فعلتها يا عدوة الله !

(١) الكلام الذى يحدث بهذا المريج [ ريشى في صفحة ١١ بهذا المريج ] سائل من الأصل  
 وموجود بالنسخة الراهية .

ونخرج تبعاً نصيباً، وأعقبه ذلك مرضاً شديداً. أشرف منه على الموت، وعاهد الله ألا يعود إلى كلام الجارية، فلم ترمه بعد ذلك شيئاً تكرهه. قال: وتعتنى عبد الله ليلة ومعه رجل من الأنصار، فوقع حجر في الدار ووقع آخر وثالث؛ فقال للجارية: أخرجي فانظري: أذنوا المغرب أم لا؟ فخرجت وجاءت بعد ساعة، وقالت: قد أذنوا وصلوا. فقال الرجل الذي كان عنده: أليس قد صليتما قبل أن تدخل الجارية؟ قال: بلى، ولكن لو لم أرسلها تسأل عن ذلك لرُجِئنا إلى الغداة، أفهمت؟! قال: نعم، قد فهمت. قال وسمع عبد الله بن أبي حَتَّيق قول عمر بن أبي ربيعة.

مَنْ رَسُولٍ إِلَى التَّوْبَةِ فَإِنَّهُ \* ضَيَّقْتُ ذُرْعاً يَهْجُرُهَا وَالْكَتَابِ<sup>(١)</sup>

فركب بقلته من المدينة، وسار يريد مكة، فلما بلغ ذا الحليفة قيل له: أحرم؛ قال: ذو الحاجة لا يُحرم، وجاء حتى دخل على التَّوْبَةِ. فقال لها: ابن عمك يقول:

\* ضَيَّقْتُ ذُرْعاً يَهْجُرُهَا وَالْكَتَابِ \*

ثم ركب بقلته وعاد.

### ذكر شيء من مجون الأعراب

سئل أعرابي عن جارية له يقال لها زهرة، فقيل له: أيسرك أنك الخليفة وأن زهرة ماتت؟ فقال: لا والله! تذهب الأمة وتضيع الأمة. وجد أعرابي امرأة وكان قبيح الصورة، فنظر فيها فرأى وجهه فاستقبه، فرمى بها وقال: لشر ما طرحتك أهلك. وقيل لأعرابي: لم يقال: باعك الله في الأعراب؟ فقال: لأننا نُجِيع كبده، ونُفَرِّج جِلْدَه، ونُطِيل كَدَه. وتزوج أعرابي على كبر سنه، فقيل له

(١) في ديوان عمر بن أبي ربيعة: «باني».

(٢) ذو الحليفة: ميقات أهل المدينة.

في ذلك ؛ فقال : أبأدره باليُم ، قبل أن يُأدِرني بالعقوق . ومرة أعرابى وفى يده رغيِف برجل فى يده سيف ، فقال : ينى هذا السيف بهذا الرغيِف ؛ فقال : أجهنون أنت ؟ فقال الأعرابى : ما أنكرت منى ؟ أنظر أيهما أحسن أثرًا فى البطن .

- وحكى أن المهديّ خرج للصيد فغلبه فرسه حتى انتهى به الى خيابه لأعرابى ، فقال : يا أعرابى ، هل من قيرى ؟ قال نعم ، وأخرج له فضلة من خُبْزَمَلَةٍ فاكلها وفضلة من لبن فسقاه ، ثم أتى بنبيذ فى زُكْرَةٍ فسقاه قعبا . فلما شرب قال : أتدرى من أنا ؟ قال : لا والله . قال : أنا من خَدَم الخِلاصة ؛ قال : بارك لك الله فى موضعك . ثم سقاه آخر ؛ فلما شربه قال : أتدرى من أنا ؟ قال : نعم ، زعمت أنك من خدم الخِلاصة ؛ قال : بل أنا من قواد أمير المؤمنين ؛ فقال له الأعرابى : رَجِبت بلادك ؛ وطاب مزادك ومزادك . ثم سقاه قدحا ثالثا ؛ فلما فرغ منه قال : يا أعرابى ، أتدرى من أنا ؟ قال : زعمت أخيرا أنك من قواد أمير المؤمنين ؛ قال : لا ولكنى أمير المؤمنين . فآخذ الأعرابى الزُكْرَةَ فأوكأها وقال : والله لئن شربت الرابع لتقولن : إنك لرسول الله ؛ فضحك المهديّ . ثم أحاطت بهم الخيل ، فنزل أبناء الملوك والأشراف ؛ فطار قلب الأعرابى ؛ فقال له المهديّ : لا بأس عليك ! وأمر له بصلة . فقال : أشهد أنك صادق ، ولو آتيت الرابعة لخربت منها .

ودخل أعرابى على يزيد بن المهلب وهو على فرسه والناس سيماطان ، فقال : كيف أصبح الأمير ؟ قال يزيد : كما يُحِب . فقال الأعرابى : لو كنت كما أُحِب كنت أنت مكانى وأنا مكانك ؛ فضحك يزيد .

(١) الزُكْرَةُ (بالضم) : زق النهر . (٢) القعب : القدح الضخم .

(٣) أوكأها : رطبها .

### ذكر شيء من نوادر القضاة

قيل : أتى عدى بن أرطاة شريحا القاضي ومعه امرأة له من أهل الكوفة  
يخاصمها إليه ، فلما جلس عدى بين يدي شريح ، قال عدى : أين أنت ؟ قال : بينك  
وبين الحائط . قال : إني أمرؤ من أهل الشام ، قال : بميد الدار . قال : وإني  
قدمت العراق ، قال : خير مقدم . قال : وتزوجت هذه المرأة ، قال : بالرفاء  
والبتين . قال : وإنها ولدت غلاما ، قال : ليئلك الفارس . قال : وقد أردت أن  
أقلها إلى داري ، قال : المرء أحق بأهله . قال : كنت شرطت لها دارها ، قال :  
الشرط أملك . قال : أقض بيننا ، قال : قد فعلت . قال : فعلت من قضيت ؟  
قال : على ابن أهلك .

ودخل على الشعبي في مجلس قضائه رجل وأمرأته ، وكانت المرأة من أجل  
النساء ، فاختصما إليه ، فأدلت المرأة بحجتها ، وقويت بيئتها . فقال للزوج : هل  
عندك من دافع ؟ فأنشأ يقول :

فَتَيْنَ الشَّعْبِيَّ لَمَّا \* رَفَعَ الطَّرْفَ إِلَيْهَا  
فَتَتَبَّعَهُ بِدَلَالٍ \* وَخَطَّ حَاجِبَيْهَا  
قَالَ لِلْجُلَازِ قَرَّةً <sup>(١)</sup> \* سَهَا وَقَدَّمْ شَاهِدَيْهَا  
فَقَضَى جَوْرًا عَلَى الْخَصْمِ \* سَجَّ وَلَمْ يَقِضْ عَلَيْهَا

قال الشعبي : فدخلت على عبد الملك بن مروان ، فلما نظر إلى تبسم وقال :

فَتَيْنَ الشَّعْبِيَّ لَمَّا \* رَفَعَ الطَّرْفَ إِلَيْهَا

ثم قال : ما فعلت بقائل هذه الأبيات ؟ قلت : أوجعته ضربا يا أمير المؤمنين  
بما آتتهك من حرمي في مجلس الحكومة وما أقرى به علي . قال : أحسنت !

وأحضر رجل أمرأته الى بعض قضاة البصرة، وكانت حسنة المستقيم، قبيحة المسفر؛ فقال القاضي لها على زوجها وقال: يعيد أحدكم الى المرأة الكريمة فيترجها ثم يسئ اليها. ففطن الرجل ليله اليها فقال: أصلح الله القاضي، قد شككت في أنها أمرأتى، فمرها تسفر عن وجهها؛ فوقع ذلك يوافق من القاضي، فقال لها: أسفري وجهك الله؛ فسفرت عن وجه قبيح. فقال القاضي لما نظر الى قبح وجهها: قومي عليك لعنة الله! كلامٌ مظلوم، ووجهٌ ظالم.

قيل: بينا رقية بن مصقلة القاضي في حلقته، إذ مر به رجل غليظ العنق؛ فقال له بعض جلسائه: يا أبا عبد الله، هذا أعبد الناس. فقال رقية: إني لأرى لهذا صنفاً ما دققته<sup>(١)</sup> العبادة. قال: لمضى الرجل وعاد قاصداً اليهم. فقال رجل لرقية: يا أبا عبد الله، أخبره بما قلت حتى لا تكون غيبية؛ قال: نعم، أخبره أنت حتى تكون نيمة. ودخل رقية الى المسجد الأعظم فالتى نفسه الى حلقة قوم، ثم قال: قتيل فالودج رحمك الله اقالوا: عند من؟ قال: عند من حكم في الفرقة وقضى في الجماعة، يعنى: بلال بن أبي بردة.

وأخضع رجلان الى إياس بن معاوية وهو قاضى البصرة لعمر بن عبد العزيز في مطرف نحر وأنجاني، وأدعى كل واحد منهما أن المطرف له وأن الأنجاني لصاحبه. فدعا إياس بمشط وماء، فبل رأس كل واحد منهما، ثم قال لأحدهما: سرح رأسك فسرّحه، فخرج في المشط عفر المطرف، وفي مشط الآخر عفر الأنجاني؛ فقال: يا خبيث! الأنجاني لك، فاقتر؛ فندفع المطرف لصاحبه. وقال رجل لإياس: هل رى على من أكلت تمسراً؟ قال لا. قال: فهل ترى على من بأس أن أكلت معه كيسوما؟ قال لا. قال: فإن شربت عليهما ماء؟ قال: جائز.

(١) في أحد الأصول: «ما دقتها» وفي أصل آخر: «مادقتها».

قال: فلم تحرم السكر، وإنما هو ما ذكرت لك؟ قال له إياس لو صحبت عليك ماء هل كان يضرك؟ قال لا. قال: فلو شربت عليك تراباً هل كان يضرك؟ قال لا. قال: فإن أخذت ذلك نخلطه وعجنته وجعلت منه لينةً عظيمة فضربت بها رأسك هل كان يضرك؟ قال: كنت تقتلني. قال: فهذا مثل ذلك.

دعا الرشيد أبا يوسف القاضي فسأله عن مسألة فافتاه فأمر له بمائة ألف درهم. فقال: [إن رأى أمير المؤمنين أن يأمر بتسجيلها قبل الصبح! فقال: تجلّوها له. فقيل: إن الخازن في بيته والأبواب مغلقة. فقال أبو يوسف: وقد كنت في بيتي والدروب مغلقة، فلما دُعيت فتحت. فقال له الرشيد: بلغني أنك لا ترى لبس السواد. فقال: يا أمير المؤمنين، ولم وليس في بدني شيء أعزّ منه؟ قال: وما هو؟ قال: السواد الذي في جيني.

وسأل الرشيد الأوزاعي عن لبس السواد، فقال: لا أحرمه، ولكني أكرهه. قال: ولم؟ قال: لأنه لا يُجَلَّى فيه عُرُوس، ولا يُلْبَى فيه مُحْرَم، ولا يُكْفَن فيه ميت. فالتفت الرشيد إلى أبي يوسف وقال: ما تقول أنت في السواد؟ قال: يا أمير المؤمنين، النور في السواد. فاستحسن الرشيد ذلك. ثم قال: وفضيلة أخرى يا أمير المؤمنين. قال: وما هي؟ قال: لم يكتب كتاب الله إلا به، فاهترأ الرشيد لذلك.

تقدم رجل إلى أبي حازم عبد الحميد بن عبد العزيز السكوفي قاضي المعتمد، وقدم أباه يطالبه بدين له عليه، فأقر الأب بالدين، وأراد الابن حبس والده. فقال القاضي: هل لأبيك مال؟ قال: لا أعلمه. قال: لمذكم دايته بهذا المال؟ قال: منذ كذا وكذا. قال: قد فرضت عليك نفقة أبيك من وقت المدانة؛ فحبس الابن وخطى الأب.

كان عبد الملك بن عمر قاضى الكوفة، فجهاه هُذَيْلُ الْأَشْجِيَّ بِأَيَاتِ مِنْهَا :  
إِذَا ذَاتُ دَلٍّ كَلَّمْتَهُ بِحَاجَةٍ \* فَهَمَّ بِأَنْ يَقْضَى تَحْصَحَ أَوْ سَعَلَ  
فَكَانَ عَبْدُ الْمَلِكِ يَقُولُ : قَاتِلْهُ اللَّهُ ! وَاللَّهُ لَرَبِّمَا جَاءَتْهُ النِّحْنَحَةُ وَأَنَا فِي الْمَتَوَضُّأِ فَأَذْكَرُ  
مَا قَالَ فَأَرْدَهَا .

- وقيل : شهد ساسنى الموسوس عند جعفر بن سليمان على رجل ، فقال : هو —  
أصلحك الله — ناصبي ، رايضى ، قَدِيرى ، مجيرى ، يشتم الججاج بن الزبير الذى  
يهدم الكعبة على علي بن أبى سفيان . فقال له جعفر : ما أدرى على أى شيء  
أحسدك ؛ على علسك بالمقالات ، أم على معرفتك بالأنساب ! فقال : أصلح الله  
الأمير ، ما نخرجت من الحُجَاب ، حتى حذفت هذا كله ورأى .
- ١٠ وأَسْتَفْتِي بَعْضُ الْقَضَاةِ ، وَقَدْ تُسَبِّتُ إِلَى الْقَاضِي أَبِي بَكْرٍ بْنِ قُرَيْبَةَ ، فَقِيلَ لَهُ :  
مَا يَقُولُ سَيِّدُنَا الْقَاضِي أَيُّدُهُ اللَّهُ فِي رَجُلٍ بَاعَ حِجْرًا <sup>(١)</sup> مِنْ رَجُلٍ ، فَخِينَ رَفَعَ ذَنْبَهَا لِيَقْلِبَهُ نَحِجَّتْ  
مِنْهَا رِيحٌ مَصُونَةٌ أَتَصَلَّتْ بِمَحْصَاةٍ فَفَقَاتَ صَيْنَ الْمُشْتَرَى ؟ أَفَقَاتَا فِي الدِّيَةِ وَالرَّدِّ يَرْحِمُكَ  
اللَّهُ ، فَأَجَابَ : لَمْ تَجْعَلِ الْعَادَةَ بِمِثْلِ هَذِهِ الْبِدَائِعِ ، بَيْنَ مُشْتَرٍ وَبَائِعٍ ، فَلِذَلِكَ لَمْ يَثْبِتْ فِي كِتَابِ  
الْفُقَهَاءِ ، وَلَمْ يَسْتَعْمَلْ فِي فِتْوَى الْعُلَمَاءِ ؛ لَكِنْ هَذَا وَمَا شَاكَهُ يَجْرِي بِجَرَى الْقَضُولِ ،  
الْمُسْتَخْرَجِ مِنْ أَحْكَامِ الْعُقُولِ ، وَالْقَوْلِ فِيهِ — وَبِاللَّهِ الْعَصْمَةِ مِنَ الزَّلَلِ وَالْخَطَلِ — :  
١٥ أَنْ دِيَّةَ مَا جِئْتَهُ الْخِجْرَ مَلْنَى فِي الْمَدَرِ ، عَمَلًا بِقَوْلِ النَّبِيِّ الْخُفَارِ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ  
الْأَطْهَارِ ، « جُرْحُ الْعَجَاهِ جُبَّارٌ » ؛ لَا سِيَّامَا وَالْمُشْتَرَى عِنْدَ كَشْفِهِ لِعَوْرَتِهَا ، أَسْتَنَارَ  
كَامِينَ سَوْرَتِهَا . وَعَلَى الْبَائِعِ لَهَا أَنْ تَجَاهَا ، وَرَدَّ مَا قَبِضَ مِنْ ثَمَنِهَا ، لِأَنَّهُ دَلَّسَ حِجْرًا  
مَضِيئًا مَنَجِيئًا . وَإِذَا كَانَتْ الْمَهَامُ طَائِشَةً ، فَهِيَ مِنَ الْعُيُوبِ الْفَاحِشَةِ ، وَكَيْفَ  
يَمْتَنِعُ رَدُّهَا وَأَعْرَاضُهَا نَوَاطِرَ الْحَلَقِ ، وَقَلْبًا يَسْتَظْهِرُ الْمُقْلَبُونَ الْخَلِيلَ بِالْذَرَقِ .  
٢٠

(١) الحجر (الكسر) : الأثر من الخليل .



### ذكر شيء من نواذر النعاة

قدم رجل من النعاة خصما إلى القاضي، وقال: لي عليه مائتان ونمسون درهما.  
فقال لخصمه: ما تقول؟ فقال: أصلح الله القاضي، الطلاق لازم له، إن كان له  
إلا ثلثائة، وإنما ترك منها خمسين ليعلم القاضي أنه تحوى.  
ومر أبو سلمة بأعدال قد كُتِب عليها: رَبُّ سَلَمٌ لأبو فلان؛ فقال لأصحابه:  
لا إله إلا الله! يلحنون ويربحون.

وجاء رجل إلى الحسن البصري فقال: ما تقول في رجل مات فترك أبيه  
وأخيه؟ فقال الحسن: ترك أباه وأخاه. فقال: ما لأباه وأخاه؟ فقال الحسن: ما لأبيه  
وأخيه. فقال الرجل: إني أراك كلما طاولتكم تخالفني! . وقيل سكر هارون بن محمد  
أبن عبد الملك ليلة بين يدي الموفق، فقام لينصرف فغلبه السكر فنام في المضرب، فلما  
أنصرف الناس جاء راشد الحاجب فأنبه وقال: يا هارون أنصرف. فقال: هارون  
لا ينصرف. فأعاد راشد القول على هارون، فقال هارون: سل مولاك فهو يعلم  
أن هارون لا ينصرف. فسمع الموفق فقال: هارون لا ينصرف؛ فتركه راشد.  
فلما أصبح الموفق وقف على أن هارون بات في مضربه؛ فأنكر على راشد، وقال:  
يا راشد، بيت في مضربي رجل لا أعلم به! فقال: أنت أمرتني بهذا، قلت:  
هارون لا ينصرف. فضحك وقال: ما أردت إلا الإعراب وظننت أنت غيره.

وقيل: قدم العريان بن الهيثم على عبد الملك، فقيل له: تحفظ من مسامة فإنه  
يقول: لأن يُلْقِمَنِي رجل بمجر أحب إلي من أن يُسِمِعَنِي رجل لحنا. فأماه العريان  
ذات يوم فسلم عليه. فقال له مسامة: كم عطائك؟ قال: ألفين. فنظر إلى رجل  
عنده وقال له: لحن العراقي؛ فلم يفهم الرجل عن مسامة، فأعاد مسامة القول على

العميان وقال : كم عطاؤك؟ فقال : ألفان . فقال : ما الذى دطك الى الحسن أولا والإعرا ب ثانيا؟ قال : لحن الأمير فكبرته أن أعرب ، وأعرب فأعربت . فاستحسن قوله وزاد فى عطائه .

- ووقف نحوي على بقال يبيع الباذنجان فقال له : كيف تبيع؟ قال : عشرين بدائق ، فقال : وما عليك أن تقول : عشرون بدائق؟ فقدّر البقال أنه يستريده ، فقال ثلاثين بدائق ، فقال : وما عليك أن تقول : ثلاثون؟ فما زال على ذلك الى أن بلغ سبعين ، فقال : وما عليك أن تقول : سبعون؟ فقال : أراك تدور على الثمانون وذلك لا يكون أبدا .

### ذكر شيء من نوادر المتنبيين

- قيل : ادعى رجل النبوة فى أيام المهدي ، فأدخل عليه ، فقال له : الى من بعثت؟ فقال : ما تركتموني أذهب الى من بعثت اليهم ، فإني بعثت بالعبادة وحبستهمونى بالعشي . فضحك المهدي منه وأمر له بجائزة وخط سبيله .
- وتلقا رجل وأدعى أنه موسى بن عمران . فبلغ خبره الخليفة ، فأحضره وقال له : من أنت؟ قال : أنا موسى بن عمران الكليم . قال : وهذه عصاك التى صارت ثعبانا ! قال نعم . قال : فالتقا من يدك وشرها أن تصير ثعبانا كما فعل موسى . قال : قل أنت (أنا ربكم الأعلى) كما قال فرعون حتى أصير عصاى ثعبانا كما فعل موسى . فضحك الخليفة منه واستظرفه . وأحضرت المائدة ، فقيل له : أكلت شيئا؟ قال : ما أحسن العقل ! لو كان لى شيء أكله ، ما الذى كنتُ أعمل عندهم؟ فأعجب الخليفة وأحسن اليه .
- وأدعت امرأة النبوة على عهد المأمون ، فأحضرت إليه فقال لها : من أنت؟ قالت : أنا فاطمة النبوة . فقال لها المأمون : أؤمنين بما جاء به محمد صلى الله عليه

وسلم ؟ قالت : نعم ، كل ما جاء به فهو حق . فقال المأمون : فقد قال محمد صلى الله عليه وسلم « لاني بعدى » . قالت : صدق عليه الصلاة والسلام ، فهل قال : لاني بعدى ؟ فقال المأمون لمن حضره : أما أنا فقد انقطعت ، فمن كانت عنده حجة فليأت بها ، وضحك حتى غطى على وجهه .

وأدعى رجل النبوة ، وقيل له : ما علامات نبوتك ؟ قال : أنيكم بما في نفوسكم ، قالوا : لنا في أنفسنا ؟ قال : في أنفسكم أني كذبت ولست بلي .

وتبأ رجل في أيام المأمون ، فأتي به إليه ، فقال له : أنت نبي ؟ قال نعم . قال : فما معجزتك ؟ قال : ماشئت . قال : أخرج لنا من الأرض بطيخة . قال : أمهلني ثلاثة أيام . قال المأمون : بل الساعة أريدها . قال : يا أمير المؤمنين ، أنصفني ، أنت تعلم أن الله يثبتها في ثلاثة أشهر ، فلا تقبلها مني في ثلاثة أيام ! فضحك منه ، ولم أنه محال ، فأستأبه ووصله .

وأدعى آخر النبوة في زمانه فطالبه بمعجزة ، فقال : أطرح لكم حصاة في الماء فأذيبها حتى تصير مع الماء شيئاً واحداً . قالوا : قد رضيتمنا . فأخرج حصاة كانت معه فطرحها في الماء فذابت . فقالوا : هذه حيلة ، ولكن أذب حصاة غيرها فأتيناك بها نحن . فقال لهم : لا تشعّبوا ، فلستم أضل من فرعون ، ولا أنا أعظم من موسى ، ولم يقل فرعون موسى : لا أرضى بما تفعله بعصاك حتى أعطيك عصا من عندى تجعلها لعبانا . فضحك المأمون منه وأجازه .

وأدعى رجل النبوة في أيام المعتصم ، فأحضرين يديه ، فقال له : أنت نبي ؟ قال نعم . قال : إلى من بعثت ؟ قال : إليك . قال : أشهد أنك لسفيه أحمق . قال : إنما يذهب إلى كل قوم مثلهم . فضحك منه وأمر له بشيء .

وآدعى آخر النبوة في أيام المأمون، فقال له : ما مُجيزتك ؟ قال : سل ما شئت ؛ وكان بين يديه قُفل ، فقال : خذ هذا القفل فافتحه . فقال : أصلحك الله ، لم أقل إلى حداد . فضحك منه وأستتابه وأجازه .

- وآدعى آخر النبوة ، فطُلب ودُعي له بالسيف والنطع ؛ فقال : ما تصنعون ؟ قالوا : نقتلك . قال : ولم تقتلوني ؟ قالوا : لأنك آدميت النبوة . قال : فلست آدميها .
- ٥ قيل له : فأى شيء أنت ؟ قال : أنا صديق . فدُعي له بالسياط ؛ فقال : لم تضربوني ؟ قالوا : لكذلك أنك صديق ؛ قال : لا أدعى ذلك . قالوا : فمن أنت ؟ قال : من التابعين لم بإحسان . فدُعي له بالدرة . قال : ولم ذلك ؟ قالوا : لكذلك ما ليس بك ؛ فقال : ويحكم ! أدخل إليكم وأنا نبي تريدون أن تحطوني في ساعة واحدة إلى مرتبة العوام ! لا أقل من أن تصبروا على <sup>(١)</sup> إلى غد حتى أصير لكم ما شئتم .
- ١٠ وآدعى آخر النبوة ، وسمي نفسه نوحا ، فنهاه صديق له عن ذلك فلم يثبه ؛ فأخذه السلطان وصلبه ؛ فزبه صديقه الذي كان ينهاه ، فقال : يانوح ! ما حصل لك من السفينة خير الدقل .

### ذكر شيء من نواذر المغفلين والحمقى

- ١٥ قال بعضهم : رأيت ابن خلف الهمداني في صحراء وهو يطلب شيئا ، فقلت له : ما تبني هاهنا ؟ قال : دفنت شيئا ولست أهدى إليه . قلت : فهلا علمت عليه شيء ! قال : جعلت علامة قطعة من الفم كانت فوقه ، وما أراها الساعة . ونظر مرة في الحب ( وهو الزبر ) فرأى وجهه ، فعدا إلى أمه فقال : يا أمي في الحب لص .
- بغامت أمه وتعلمت فيه ، فقالت : إى والله ومعه حبة . ورئى في وسط داره
- (١) في الأصول : « لا أقل ما تصبروا » .
- ٢٠

وهو يندوعلوًا شديدًا ويقرأ بصوت عال . فسئل عن ذلك فقال : أردت أن أسمع صوتي من بعيد . ودخل إلى رجل يعزّيه ، فقال : عظم الله مصيبتكم ، وأحان أخاك على ما يرد عليه من يأجوج ومأجوج . فضحك الناس . فقال : تضحكون مما قلت ! وإنما أردت هاروت وهاروت .

وقيل : كتب المنصور إلى زياد بن عبد الله الحارثي ، ليقيم بين القواعد والعميان والأيتام مالا . فدخل عليه أبو زياد التيمي ، وكان مغفلاً فقال : أصلحك الله ! أكتنني في القواعد ، فقال له : طافك الله ، القواعد هنّ النساء اللاتي قدسن عن أزواجهن . فقال : فأكتنني في العميان ، قال : أكتبوه منهم ؛ فإن الله تعالى يقول : **( فَأَنهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ )** . قال أبو زياد : وأكتب أبني في الأيتام ، قال : نعم ! من كنت أباه فهو يتيم .

وسئل بعضهم عن مولده ، فقال : ولدت رأس الحلال للنصف من رمضان بعد العيد بثلاثة أيام ، فاحسبوا الآن كيف شئتم .

### ذكر شيء من نوادر النبيذيين

قال رجل لبعض أصحاب النبيذ : وجهت إليك رسولاً عشيّة أمس فلم يجده ؛ فقال : ذلك وقت لا أجد فيه تسمى .

وقيل لبعضهم : كم الصلاة ؟ فذكر الغداة والظهر . قالوا : فالعصر ؟ قال : تعرف وتنكر . قالوا : فالعشاء ؟ قال : يبلغها الجواد . قالوا : فالعتمة ؟ قال : ما كانت لنا في حساب قط .

شرب الأقيشر في حانوت نمار حتى نفذ مامعه ، ثم شرب بتيابه وبقى عرياناً ، فجلس في تين يستدفئ به . فمر رجل ينشد ضالّةً فقال الأقيشر : اللهم أردد عليه ،

وَأَحْفَظْ عَلَيْنَا . فَقَالَ لَهُ الْخَمَارُ : تَحَفَّتْ عَيْنُكَ ، أَيُّ شَيْءٍ يَحْفَظُ عَلَيْكَ رَبِّكَ ! قَالَ :  
هَذَا التِّينُ ، لِئَلَّا يَأْخُذَهُ صَاحِبُهُ فَأَهْلِكَ مِنَ الْبَرْدِ .  
وَبَاعَ بَعْضُهُمْ ضَبِيعَةً لَهُ ، فَقَالَ لَهُ الْمُشْتَرَى : بِالْعَشَى أَشْهَدُ عَلَيْكَ . فَقَالَ : لَوْ كُنْتُ  
مَنْ يَفْرُغُ بِالْعَشَى مَا بَعْتُ ضَبِيعَتِي .

### ذِكْرُ شَيْءٍ مِنْ نَوَادِرِ النِّسَاءِ وَالْجَوَارِي

قَالَ رَجُلٌ : قُلْتُ لِلْجَارِيَةِ أُرِيدُ شِرَاهَا : لَا يُرِيكَ شَيْءٌ ؟ فَأَجَبَتْ عِنْدِي قُوَّةٌ .  
فَقَالَتْ : أَيَسْرُكَ أَنَّ هَذَا عَجُوزًا مُتَّعِيَةً !

أَدْخَلَ عَلَى الْمَنْصُورِ جَارِيَتَانِ فَأَعْجَبَتْهُ . فَقَالَتْ الَّتِي دَخَلَتْ أَوَّلًا : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ،  
إِنَّ اللَّهَ فَضَّلَنِي عَلَى هَذِهِ بِقَوْلِهِ : ( وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ ) . وَقَالَتِ الْآخَرَى : لَا ، بَلِ  
اللَّهُ فَضَّلَنِي عَلَيْهَا بِقَوْلِهِ : ( وَلَا تَحِزُّ حَيْزُكَ مِنَ الْأُولَى ) .

وَعَرَّضَ عَلَى الْمُعْتَمِعِ جَارِيَتَانِ بَكْرٌ وَثَيْبٌ ، فَهَالَ إِلَى الْبَكْرِ . فَقَالَتِ الثَّيْبُ : مَا بَيْنَنَا  
إِلَّا يَوْمٌ وَاحِدٌ . فَقَالَتِ الْبَكْرُ : ( وَإِنْ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ ) .

قِيلَ لِمَرْأَةِ ظَرِيفَةٍ : أَيُّكَ أَنْتِ ؟ قَالَتْ : أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الْكِسَادِ .

وَقَالَ الْمُتَوَكِّلُ لِلْجَارِيَةِ أَسْتَرْضَا : أَنْتِ بَكْرٌ أَمْ إِنْشِ ؟ قَالَتْ : أَنَا إِنْشِ يَا أَمِيرَ

الْمُؤْمِنِينَ .

وَأَسْتَرْضَى رَجُلٌ جَارِيَةً فَاسْتَفْجَحَ قَدَمِهَا . فَقَالَتْ : لَا تُبَالٍ ، فَإِنِّي أَجْعَلُهَا

وَرَاءَ ظَهْرِكَ .

وَقَالَ الرَّشِيدُ لِبَنِيضِ جَارِيَتِهِ : إِنَّكَ لَدَقِيقَةُ السَّاقِينِ . قَالَتْ : أَحُوجُ مَا تَكُونُ

إِلَيْهِمَا لَا تَرَاهُمَا .



وروى أبو الفرج الأصفهاني عن إسحاق: أن الرشيد أحضره مجلسه ذات ليلة، وقد مضى شطر الليل، قال: فانخرج جارية كأنها مائة، فأجلسها في حجره، ثم قال غنّيني؛ فغنّته:

جئت من الروم وقايلقلا<sup>(١)</sup> \* يرْقُن في المِرط ولين المَلَا  
مَقْرَطَقَات بصنوف الحَلَى \* يا حَبِذا البَيْضُ وتلك الحَلَى

فاستحسنه وشرب عليه. ثم استؤذن للفضل بن الربيع فأذن له. فلما دخل، قال: ما وراءك في هذا الوقت؟ قال: خير يا أمير المؤمنين، ولكن جرى لي الساعة سبب لم يمح كتمان. قال: وما ذلك؟ قال: أخرج إلى في هذا الوقت ثلاث جوار: مكية، ومدنية، وعراقية؛ فقبضت المدنية على ذكري؛ فلما أننط، وثبت المكية فعدت عليه. فقالت لها المدنية: ما هذا التمدى! ألم تعلمي أنك مالكا حدثنا عن الزهري عن عبد الله بن ظالم عن سعيد بن زيد أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «من أحيا أرضا ميتة فهي له»! فقالت الأخرى: أو لم تعلمي أن سفيان حدثنا عن أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «الصبي لمن صاده لا لمن أثاره». فدفعها العراقية عنه، ووثبت عليه وقالت: هذا لي وفي يدي حتى تمطلما. فضحك الرشيد، وأمر بهملق إليه، ففعل وحظين عنده. وفيه يقول:

ملك الثلاث الأنسا عتاني \* وحللت من قلبي بكل مكان

طلبت جارية محمود الوزاق للمصم بسبعة آلاف دينار، فامتنع من بيعها، واشترى له بعد ذلك من ميراثه بسبعة آلاف دينار. فذكر المصم ذلك لها، فقالت:

(١) قالقلا: بلد من أعمال أرمينية.

إن كان أمير المؤمنين يتغلب بشهواته المواريث فسبعون دينارا في ثمنى كثير، فكيف  
بمبجئة !

إقترح بعضهم على جاريته أن تنفى له :

سرى ومترك لم يسمعهما أحد \* إلا الإله وإلا أنت ثم أنا

فقلت : يا سيدي والقوادة لا تنساها فهي الأصل .

وقال بعضهم : نظرتُ إلى جارية جميلة في دهليز؛ فقلت لى : ياسيدي تريد  
النيك؟ قلت : إى والله . قالت : فاقعد حتى يأتى سيدي فينيك كما ناكنى البارحة .  
وقال آخر : كان لى جارية فأردتها على بعض الأحرار؛ فقلت : إن الأحرار  
التجال لا يدخل المدينة ولكن يلم بأعراضها .

وآستعرض رجل جارية فقال لها : في يدك عمل؟ قالت : لا، ولكن في رجل .  
وحكى أن بعض الحبان كان يشق جارية أعجن منه . فضايق يوما ، فكتب  
إليها : قد طال عهدى بك ياسيدي، وأقلقنى الشوق إليك . فإن رأيت أن تستدركى  
رمقى بمضغة منك وتجعليه بين دينارين وتتفديه إلى لآستشفى به فعلت إن شاء الله .  
ففعلت ذلك وكتبت إليه : ردَّ الظرف من الظرف، وقد مارعتُ إلى إنفاذ  
ما طلبتُ ؛ فأنيم بردَّ الطبق والمكبة، وآستعمل الخبر : « استينزوا الهدايا برّد  
الظروف » .

وطلب آخر من حشيقته خاتما كان معها؛ فقلت : يا سيدي، هذا ذهب  
وأخاف أن تنهب، ولكن خذ هذا المود حتى تعود .

قال الجاحظ : إيتاع فتى صلبٌ بذائح جارية بُجارية حسناء؛ فلما واقعها قال

لها : ما أوسع حرك ! وكرر هذا القول؛ فقلت له : أنت الفداء لمن كان يملؤه .



وقيل لمدينة : أيما أحب إليك الترام النيك ؟ فقالت : الترام أحبه قط .  
وكتب رجل إلى عشيقته : مري خيالك أن يلم بي . فكتبت إليه : ابعث  
إلى بدينارين حتى آتيك بنفسى .

قدم بعضهم عجوزا دلالا إلى القاضي وقال : أصلح الله القاضي ، زوجتي هذه  
امرأة ، فلما دخلت بها وجدتها عرجاء . فقالت : أصلح الله القاضي ! زوجته  
امرأة عرجاء ، ولم أعلم أنه يريد أن يبيع عليها أو يسابق بها في الحلبة أو يلعب عليها  
بالكرة والصوبلان !

كتب رجل إلى عشيقته رقعة ، قال في أولها : عصمتنا الله وإياك بالتقوى .  
فكتبت إليه في الجواب : يا غليظ الطبع ، إن استجاب الله دعائك لم تلق أبدا .  
قال عقيل بن بلال : سمعت أعرابية أنشد :

وكم ليل قد تبث غير آثم \* بمهزومة الكشحين ريانة القلب<sup>(١)</sup>  
فقالت : هلا أئمت ! أحرأك الله !

وكتب الجواز إلى عشيقته رقعة حشاها بالشعر . فكتبت إليه على ظهرها :  
لا تجتمع شعرتان بشعر .

زحمت مدينة رجلا ، فقال لها : المستعان بالله منك ، ما أكثرتك ! فقالت :  
نحن في هذه الكثرة وأتم تلوطون وتبادلون ، فلو كان فينا قلة لنكتم الحير .  
قال أبو نواس يوما لقينية وأشار إلى أبيه : في أى سورة ( فاستفظ فاستوى  
على سوقه ) . فكشفت وقالت : في سورة ( إنا فتحنا لك فتحا مبينا ) .

وكان يوما عند بعض إخوانه ؛ ففرجت عليه جارية بيضاء عليها ثياب  
خضر . فلما رآها مسع عينيه وقال : خيرا رأيت إن شاء الله تعالى . فقالت :  
(١) القلب (بالضم) : سوار المرأة .



وما رأيت؟ قال: ألك معرفة بعلم التعبير؟ قالت: ولا أعرف غيره. قال: رأيت كائى راكب دابة شبيهاء، وعليها جُل أخضر وهي تمرح تحتي. فقالت: إن صدقت رؤياك فستدخل بغلة. وقد روى أن هذه الحكاية اتفقت له مع عنان جارية الناطنى.

- ومرت امرأة حبلى برجل، فتعجب من عظم بطنها، فقال ما كان أحق هذا الحشاء! فقالت المرأة: إذا شئت فأبعث أمك حتى أمره بأن يحشوها لك خيرا من هذا الحشو.

وقال بعضهم: مرت بي امرأة وأنا أصلى في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم، فاتقبتها بيدي، فوقعت على فرجها، فقالت: يا فتى، ما أئيت أشد مما أتقيت.

١٠

ومر الفرزدق بسوة وهو على بغلته، فلما حاذاهن ضرطت البغلة، فضيحن. فالتفت إليهن وقال: لا تضحكن، فما حملتني أنى إلا ضرطت. فقالت إحداهن: ما حملك أكثر من أمك، فأراها قد قاست منك ضراطا كثيرا. فحزك بغلته وهرب منها.

١٥

وكان رجل يُدعى بآله وعظمتها. فقال يوما لامرأة وقد واقمها: أراه لم يخرج من حلقك بعد؟ فقالت: أو قد أدخلته بعد!

وكان بعضهم جالسا مع أمراءه في منظره؛ فتر غلام حسن الوجه؛ فقالت: أعيد هذا بالله؛ ما أحسنه وأحسن وجهه وقتله! فقال الزوج: نعم، لولا أنه خصى. فقالت: لعنه الله ولعن من خصاه!

٢٠

ولما زُمت عائشة بنت طلحة إلى مصعب، قال: والله لأقتلنها الليلة رجما. فواقمها مرة ونام فلم ينتبه إلى السحر؛ فحزكته وقالت: أنتبه يا قتال.

وقيل لامرأة : ما تقولين في السحق ؟ فقالت : هو التيمع ، لا يجوز إلا عند عدم الماء .

كان لرجل عتيق امرأة ، فرأها يوماً تساحق امرأة أخرى ، فقال لها : ويلك ، نرق على خرق ؟ قالت : نعم حتى يرزق الله رقعة .

وقالت امرأة لأخرى : ليس شيء أطيب من الموز ( تكفى عن الجماع )  
فقالت : صدقت ، ولكنه ينفع البطن ( تشير إلى الحبل ) .

وخطب رجل امرأة ، فاشتطت عليه في المهر وغيره ، فقال : نعم إن دخلت على عيوبي ، قالت : وما هي ؟ قال : إن أرى كبير ، وأنا مشتهر بالجماع لا أريحك منه ، وأنا بطيء الإزالة ! فقالت : يا جارية أحضري شيوخ الهلة يشهدوا على بركة الله تعالى وسامعيه ، فالرجل ساذج لا يعرف الخير من الشر .

قال رجل لأبنة له : أريد أن أزوجه من فلان . فقالت : الله الله يا أبت ! فإني لا أصبر عنك ولا حاجة لي بزواج . قال : فإني أتركه لعل الله تعالى يسهل خيراً منه ، فإنه بلغني عنه خصلة لا أرضاها لك . قالت : ما هي ؟ قال : بلغني أن أيره مثل أير البغل ، وأنه يكثر الجماع . فكشفت طويلاً ، ثم قالت : يا أبت ، زوجهني في حال حياتك ، فإن الحوادث لا تؤمن ، ولا حاجة لي في الانتظار .

قال أبو العيئة : خطبت امرأة فاستقبحتني . فكشفت إليها :  
فإن تتغيري من قبح وجهي فإني \* أريب أديب لا غني ولا فدم  
فاجابتي : ليس لديوان الرسائل أريدك .

وخطب ثمامة العوف امرأة . فسألت عن حرقته ، فكشفت إليها يقول :  
وسائلة عرب حرقتي قلت حرقتي \* مقارعة الأبطال في كل ما زني  
وضربي على الأبطال بالسيف مُعلماً \* إذا زحف الصفان تحت الخواقيق

فلما قرأت الشعر، قالت للرسول : قل له : فديتك ! أنت أسد، فأطلب لك  
كبوة؛ فإني ظلية أحتاج إلى غزال .

نخرجت حُمَيّ المدنية في جوف الليل؛ فلقها إنسان فقال لها : تخرجين في هذا  
الوقت ! قالت : ما أبالي، إن تقين شيطان فأنا في طاعته، وإن لقيني رجل فأنا  
في طلبه . وجاءت إلى شيخ يبيع اللبن، ففتحت ظرفاً فدأقته ودفعته إليه .  
وقالت : لا تعجل بشده؛ ثم فتحت آخر فدأقته ودفعته إليه . فلما أشغلت يديه  
جميعاً، كشفت ثوبه من خلفه، وجعلت تصفق <sup>(١)</sup> بظاهر قدميها آسته وخصميه،  
وتقول : يا ثارات ذات الحيين، والشيخ يستغيث، فلم يخلص منها إلا بعد جهد .  
لأعب الأمين جارية بالترد على امرأة مطاعة، فغلبته؛ فقال : أحتكي؛

- فألت : قم فأفعل فعل . وطاود اللعب فغلبته، فأحتكت عليه مثل الأول . ثم  
لأعبها الثالثة فغلبته، فقالت : قم أيضاً فأفعل؛ فقال : والله لا أقدر . قالت :  
فأكتب عليك به كتاباً؛ فتناولت الدواة والفرطاس وكتبت : حق فلانة على  
أمير المؤمنين فرداً فأخذه منه متى شاءت من ليل أو نهار . وكان على رأسها جارية  
مذبذبة في يدها، فقالت، ياسيدتي، وأكثني في الكتاب : ومتى قام بالمطالبة بما  
في هذا الكتاب أحد فهو وليّ قبض ما فيه . فضحك الأمين وأمر لها بجائزة .

- غاب رجل عن أمر أنه فبلغها أنه أشتري جارية، فاشتريت غلامين . فبلغه  
ذلك بغاء مبادراً، وقال لها : ما هذا؟ فقالت : أمّا صلت ألق الرمح إلى بغيين أحوج  
من البهل إلى رحين ! ولكن جع الجارية حتى نبيع الغلامين؛ ففعل ذلك ففعلت .  
ومثل ذلك ما حكى عن الأحنف : أنه أتمّ ونظر في المرأة؛ فقالت له  
أمر أنه : كأنك قد هممت بخطبة امرأة ! قال : قد كان ذلك . قالت : فإذا فعلت

٨١

(١) تصفق : تعزب . والصفق : الضرب يسمع له صوت .

فاعلم أن المرأة الى رجلين أحوج من الرجل الى امرأتين . فتنقض عتمه وترك ما كان قد هم به .

نظر المتوكل الى جارية له متكئة فلم يرض عجيزتها ؛ فقال لها : إنك لرتحاء .  
فقلت : يا أمير المؤمنين ، ما نقصناه من الطست زدناه في المنسف .<sup>(١)</sup>

### ذكر شيء من نوادر المختئين

قال جفلة . فأنرني بعض المختئين ، فقال لي : يا أبا الحسن ، من في الدنيا مثل المختئين ! قلت : كيف ذلك ؟ قال : إن حدثوا محكمتهم ، وإن غنوا طريقتهم ، وإن ناموا نكمتهم .

وقيل للمختئ : أما تستحي من أن تنالك ؟ قال : ذوقوا ثم لوموا .  
نظر مختئ إلى رجل طويل الخصرين قصير الأير ، فقال : سمعت حينك ، الفلالة أقصر من القميص .

مر عيسى بن موسى بعد أن خلعه المنصور من ولاية العهد بده وقدم المهدي عليه بخنث ؛ فقال إنسان : من هذا ؟ فقال المختئ : هذا الذي كان غدا فصار بعد غد .

قال شيخ لفرقر المختئ : أبو من أنت ؟ فقال : أم عمر فديتك .  
سمع شاهيك المختئ رجلا يصف الكرفس وأنه جيد لفتح السدد ، فقال : أنا الى سد الفتح أحوج .

عُرض على عبادة المختئ خادم ، فقال : أنا لأركب سفينة بنير دقل .

(١) في الأصل : «المنشفة» وهو تحريف والكتابة فيه واضحة .

- قال المتوكل يوما جلساته : أتعلمون أول ما عتب المسلمون على عثمان بن عفان رضى الله عنه ؟ فقال أحدهم : نعم يا أمير المؤمنين ، إنه لما قبض رسول الله صلى عليه وسلم ، قام أبو بكر رضى الله عنه على المنبر دون مقام النبي صلى الله عليه وسلم بمِرْقاة ، فلما ولى عمر قام دون مقام أبي بكر رضى الله عنهما بمِرْقاة ، فلما ولى عثمان قام على المنبر فى موضع النبي صلى الله عليه وسلم ، فانكر المسلمون ذلك عليه ، وكانوا أرادوا منه أن ينزل عن مقام عمر بمِرْقاة ، فقال عبادة : يا أمير المؤمنين ، ما أجد أعظم مِنَّة عليك ، ولا أسعج معروفًا من عثمان . قال : وكيف ؟ وملك ! قال : لأنه صعد ذروة المنبر ، ولو أنه كسا قام خليفة نزل عن مقام من تقدّمه بمِرْقاة ، كنت أنت تحطّبط لنا فى برّ جُلّولاء .

- ١٠ وقيل لمُحَنَّت : من يرضب فيك مع قبلك ؟ فقال الجار : اذا جاع أكل المِكلسة .  
نظر رجل إلى أيرأبته وهو كبير فضر به ، وقال له : ما طال أيرك إلا من كثرة ما تشاك . فقال له مَحَنَّت كان فى الحمام : لا تفعل ، فلو كان حقا لكان أيرى قد بلغ مكة طولا .

- قيل لمُحَنَّت : كم سنوك ؟ قال خمس وتسعون سنة . قيل له : فلم لا تترّج ؟  
فقال : ليس فى رجال هذا الزمان خير .

- ١٥ دخل عبادة يوما إلى الحمام فرأى غلاما كبير الأير ، فبادر وقبض عليه بيده . فقال له الغلام : ما هذا عفاك الله ؟ قال : أما سمعت قول الشاعر :  
إذا ما رأيت رِفعتَ لِحيد \* تلقاها عرابة باليمين  
وكان عبادة يقول : ما أشبه الدنيا إلا بأير قام ثم نام .

- ٢٠ طلب رجل منزلا يكثر به ، فبَّاه إلى باب دار فدفعه ، وقال : ألكم منزل للكرام ؟

وإذا في الدار مخنت وفوقه رجل، فقال المخنت: ألسنت ترانا بعضنا فوق بعض من ضيق المكان! من أين يكون لنا مثل نكريه!

نظر رجل الى مخنت والمخنت ينتف لحيته؛ فقال له الرجل: ويلك! لأى شيء تنتف لحيتك وفيها جمال وجهك؟ فقال: أيسرك أن مثله في أمثلك؟ قال لا . قال: فشئ تأنف لأمتك منه، فكيف لا آنف لوجهي منه!

وقيل: مرة الطائف بالمدينة بمخنتين، فأراد أن يقول: خذوهما فقال: نيكوهما، ثم قال: أضربوهما. فقال أحدهما: قد سبقت رحمتك عذابك فلا ترجع.

وحكى أبو الفرج الأصفهاني في كتابه المترجم بالأغاني بسنده حكاية عن الدلال المخنت المدني جاء منها: أنه أخذ مع غلام وهما مسكران، فأتى بهما الوالى، فقال للدلال: يا فاسق! فقال: من فلك الى السماء. فقال: يا عدو الله، ما وسعك بيتك

حتى خرجت بهذا الغلام الى الصحراء تفسق به! قال: لو علمت أنك تفارق علينا، وتشتى أن تفسق سرا ما خرجت من بيتي. قال: جرؤ وأضربوه حدا. قال: وأى شيء ينفعك من ذلك؟ وأنا والله أضرب في كل يوم حدودا. قال: ومن يتولى ذلك منك؟ قال: أبو الناس. قال: أبطلوه على وجهه [وأجلسوا على

ظهرة]؛ قال: أحسب أن الأمير قد أشتى أن يرى كيف يفعل بي! قال: أقيموه لعنة الله وأشهروه مع الغلام. فأخرجوا يدار بهما في السكك. فقيل له: ما هذا يادلال؟ قال: الأمير قد أشتى أن يجمع بين الرأسين، فجمع بيني وبين هذا ونادى علينا، ولو قيل له: إنه قواد لضرب. فبلغ قوله الوالى، فقال: خلوا سبيلهما، لعنة الله عليهما!

- قيل لبعضهم : أى الأولان أحب إليك؟ قال : القضيبي . قيل : فمن الفواكه ؟  
 قال : الفناء . قيل : فمن الثياب ؟ قال : التُّكَّة . قيل : فمن السلاح ؟ قال : العود .  
 قيل : فمن العلوم ؟ قال : الشرط ، لأن فيه ذكر الحقوق الداخلة فيه والخارجة عنه .  
 قيل : فمن الآداب ؟ قال : العروض ، لأن فيه الطويل والمديد واليسيط والكامل  
 والوافر . قيل : فمن المنازل ؟ قال : ذات عرق . قيل : فمن القبائل ؟ قال : بنو نهد .

### ذكر شيء من نوادر البغائين

- قيل لرجل من ولد بُسر وكان مأبونا : أما تستحي وأبوك كان سيفَ السلطان ؟  
 قال : فانا جعته . وقال له آخر : إن أباك كان يذكك وأنت تنك ! قال : أفضى دينه .  
 قيل لأبي سوار وقد رى غلامه فوقه : لقد آمتبك غلامك هذا الأسود ؟ قال :  
 ما آمتبني ، ولكنني آمتبته ، عمدت إلى أكرم طلي فيه فآستعملته في أفذر  
 مدخل في .

- أشرفت امرأة من مظرة لها ، فرأت صبيا جميلا أعجبها ، فقالت بلاريتها :  
 أدخليه ، فأدخلته فقَدَّمت المرأة طعاما وأنسته ، فأكل ، وأحضرت الشراب  
 فشرب ، فلم يجد عنده شيئا ، فقالت : ما أحوجنا إلى من كان يليكنا جميعا ! فقال :  
 أخذنيما من في والله .

- ونظير هذه الحكاية ما حكى عن الأحوص الشاعر ، وكان جسيا وسما حسن  
 اللباس ، فنظرت إليه امرأة وهو يتبختر ، فقالت : لينتا جميعا في فراش واحد إلى  
 الغداة ؟ فقال الأحوص : ومعنا من يليكنا .

- قال : وجلس بعضهم على باب داره وعنده جماعة ، فوقف عليه رجل على  
 بغل لخدمته فأدلى البغل ذكره ، فقال بعض جلسائه : أير هذا البغل في آست فلان ؟  
 فقال صاحب الدار : ما أنصفتنا ! تجلس عندنا وتشتمي الخيل لغيرنا !



### ذكر شيء من نوادر اللاطة والغلمان

- قيل : رأى بعض اللاطة مع غلام أسود، فقيل له : لم رغبت في الأسود ؟ فقال : الأسود طيب النكهة ، كثير الأنفاذ ، ملتهب الجوف ، رخيص الحذر ، سريع الإجابة ، لأنك تدعوه لتليكه ، فيظن أنك دعوته ليليحك .
- وقيل لآخر : لم فضلت الغلام على الجارية ؟ قال : لأنه في الطريق صاحب ، ومع الإخوان نديم ، وفي الخلوة أهل .
- كتب رجل إلى غلام كان يشقه :
- وضعت على الثرى خذى لترضى •
- فكتب إليه الغلام : زن عشرة دراهم ، وضع خذك على خذى .
- ويجد شيخ مع صبي ، فقيل له : يا شيخ ، أما تستحي وأنت رجل كبير عاقل ! لم لا تحصن نفسك ؟ فأخرج الشيخ قطعة من فمها قيراط ، وقال : والله ما أملك غيرها ، وقد رضى بها هذا الصبي ، فهل فيكم من يزوجني بها أبنته حتى أتحصن !
- وصف غلام عند بعض اللاطة ، فقيل : هو فاسد ؟ فقال : في فساد صلاحى . قيل للوطى : ويحك ! إن من الناس من يسرق ويرزى ويعمل العظام سنين كثيرة وأمره مستور ، فأنت إنما لظمت مدة شهور وقد شُهرت وأفضحت ، فقال :
- ١٥ من يكون سره عند الصبيان كذا يكون حاله .
- نظر بعض اللاطة إلى غلام وأدمن النظر إليه ، فقال له الغلام : لم هذا النظر ؟ فقال : يا سيدى ، أين متزلكم ؟ قال في النار ، تطلب أثرا بعد عين ! إن من عظم جهلك أن تؤخر اليوم لغد أو تنزع من لا تأمن العوائق عليه .
- غضب سميد بن وهب يوما على غلام له ، فأمر به فبُطِخ ، وكُشِف الثوب عنه ليضربه ، وقال له : يآبن الفاعلة ، إنما غرمتك هذه حتى أجتزأت على هذه
- ٢٠

الجرأة، وسأريك هوانها على. فقال الغلام : طالما غرّتك هذه الأست حتى  
اجترأت على الله تعالى، وسقري هوانك عليه . قال سعيد : فورد على من جوابه  
ما سيرني وسقط السوق من يدي .

استنقع رجل في الماء بغير سترة عليه ؛ فتر به غلام فأكر ذلك عليه . فلما نظر  
الرجل إلى الغلام أنتشر ذكوه ؛ فقال للغلام : بأبي أنت ! أردت إماتة منكّر فأحييت  
أنكر منه ، وأوما إلى متاعه .

قال الجاحظ : كان عبد العزيز ذا مال، وكان إذا جاء وقت الزكاة أمّاه القواد  
بغلام، فيقول له عبد العزيز : يا بني، ألك أخوات ؟ ألك خالات ؟ ألك عمّات ؟  
فيقول الغلام نعم . فيقول : هذه العشرة الدراهم ، أو هذا الدينار من زكاة مالي ، فأدفعه  
إليهم ؛ ثم إن شئت أن تنزل لي حل سبيل المكارمة فافعل ؛ فلا يمنعه الغلام نفسه  
بعد أخذ الدراهم . فغير عليه ثلاثون سنة ؛ ليست زكاة ماله إلا عند أمهات المؤاجرين  
وأخواتهم وغلاتهم وعماتهم .

قيل : وأجر لوطي<sup>١</sup> خلا ما أعطاه درهمين . فلما أراد أن يدخل متاعه أمتنع  
الغلام عليه ، وقال : أجعل له بين الفخذين . فقال الرجل : هو بين فخذي منذ  
تعمسين سنة ، فما معنى الدرهمين !

### ذكر شيء من نوادر العميان

قال إبراهيم بن سيّابة لبشار الأعمى : ما سلب الله من مؤمن كريمته إلا حوضه  
عنهما ؛ إما الحفظ والذكاء ، وإما حسن الصوت . فما الذي حوّضك الله عن  
حبيك ؟ قال : فقد أنظر لبنيض قميل مثلك<sup>(١)</sup> ! ثم قال له : ويحك ! من أنت ؟ قال

إبراهيم بن سبابة . قال : لو نكح الأسد في آسته لئلا ! وكان إبراهيم يرى بذلك .  
ثم تمثل بشار فقال :

لو نكح الليث في آسته خضعا \* ومات جوما ولم ينل شبعيا  
كذلك السيف عند هزيمته \* لو بصق الناس فيه ما لمعا

ونظير هذه الحكاية ما حكى عن بعضهم ، قال : خرجت ليلة من قرية لبعض  
شائي ، فإذا أنا بأعمر على عاتقه جرة وبيده سراج ، فلم يزل حتى انتهى إلى النهر ،  
وملا جرته وواد . قال : فقلت له : يا هذا ، أنت أعمر ، والليل والنهار عندك سواء ،  
فما تصنع بالسراج ؟ قال : يا كثير الفضول ، حملته لأعمر القلب مثلك ، يستضيء به  
ملا يمشي في الظلمة ، فيقع على ويكسر جرتي .

قالوا : بلغ أبا العيناء أن المتوكل يقول : لولا عمي أبي العيناء لاستكثرت منه ؛  
فقال : قولوا لأمر المؤمنين : إن كان يريدني لرؤية الأهلّة ونظم الآتي واليوافيت  
وقراءة نقوش الخواتيم ، فانا لا أصلح لذلك ؛ وإن كان يريدني للحاضرة والمندمة  
والمذاكرة والمسامرة ، فناهيك بي . فاتهى ذلك إلى المتوكل فضحك منه ، وأمر  
بإحضاره ، فحضر وناداه .

تزوج بعض العميان بسوداء ؛ فقالت له : لو نظرت إلى حسني وجمالي  
وبياضي لأزددت في حباً . فقال لها : لو كنت كما تقولين ما تركت لي البصراء .

حكى أبو الفرج الأصفهاني عن أبي العباس السائب بن فروخ الأعمى مولى  
بني ليث ، أوعن بشار الأعمى : أنه هوى امرأة ذات بعل فواسلها ، فأعاسبت  
زوجها ، فقال : أطمعني ففعلت ؛ ثم قال : أرسلني إليه فليأتك ، فأرسلت إليه ،

(٢) في الأصول : « أبا الصاهية » والتصويب من وفیات الأعيان لابن خلكان (ج ١ ص ٢٢٠) .  
طبع بولاق .

فأناها، فجلس زوجها الى جانبها؛ فقال لها الأعمى : إنك قد وصفت لنا، وما نراك فالمسيتا، وقيل : إنه أنسدها :

مَلِكَةٌ قَدْ وُصِفَتْ لَنَا بِحَسَنٍ \* وَإِنَّا لَا رَاكَ فَالْمَسِينَا  
فأخذت يده فوضعتها على أير زوجها وقد أنعط، فتعرو ولم أنه قد كيد، ونهض قائما فقال :

عَلَى الْيَبَةِ مَا دُمْتُ حَيًّا \* أَمْسَبُكَ طَالَمَا إِلَّا بَعُودِ  
وَلَا أَهْدِي لِأَرْضٍ أَنْتَ فِيهَا \* سَلَامَ اللَّهِ إِلَّا مَنْ بَعِيدِ  
رَجَوْتُ غَنِيمَةً فَوَضَعْتُ كَفِّي \* عَلَى أَيْرَ أَشَدَّ مِنْ الْحَدِيدِ  
نَفِيرُ مَنْبِكَ مِنْ لَا خَيْرَ فِيهِ \* وَخَيْرٌ مِنْ زِيَارَتِكَ قُعُودِي

### ذِكْرُ شَيْءٍ مِنْ نَوَادِرِ السُّؤَالِ

١٠

سأل أبو حنيفة رجلا فنبهه، فأخذه عليه فأعطاه؛ فقال : اللهم آجرنا وإياهم، نسألكم الخافا يعطوننا كرها، فلا يبارك الله لنا فيها ولا يؤجرهم عليها .

وقف أعرابي سائل على باب وسأل؛ فأجابه رجل وقال : ليس هاهنا أحد . فقال : إنك أحد لو جعل الله فيك بركة .

١٥

ووقف سائل على باب، وكانت صاحبة الدار تبول في البالوعة؛ فسمع السائل صوت بولتها فظنه نثيش المقل، فقال : أطعمونا من هذا الذي تَقْلُونَهُ؛ فضرطت المرأة وقالت : حَطْبُنَا رَطْبٌ لَيْسَ يُشْعَلُ .

ووقف سائل على باب وقال : تصدقوا على فئاني جامع، قالوا : إلى الآن لم نحضر . قال : فكف سويق . قالوا : ليس عندنا سويق . قال : فشرية من ماء فئاني عطشان .

٢٠

(١) في الأغاني (ج ٣ ص ٢٣٣ طبع دار الكتب المصرية) : فدخل وزوجها جالس وهو لا يعلم، فجعل يحذنها ساعة وقال لها : ما أحبك بأني أنت ؟ فقالت أمانة ؛ فقال : أمانة قد وصفت ... الخ  
(٢) رواية الأغاني : \* ولا أهدي قهراً أنت فيهم \*

قالوا : ما أمانا السقاء . قال : فيسير دهن أجعله في رأسي . قالوا : من أين لنا دهن . فقال : يا أولاد الزنا ، فما قصودكم هنا ! قوموا وأشمتوا معي !<sup>(١)</sup>

### ذكر شيء من نوادر من أشتهر بالحنون

كان مزبد من أشتهر بالحنون والنوادر ، وله نوادر . فلما ما قيل : إنه أخذه بعض الولاة وقد أتهم بالشرب ، فاستنكهه ، فلم يجد منه رائحة ، فقال : قبيوه . فقال مزبد : ومن يضمن عشاى أصلحك الله ؟ فضحك منه وأطلقه . وهبت ريح شديد فصاح الناس : القيامة ، القيامة ! فقال مزبد : هذه قيامة على الرقي بلا دابة ، ولا دجال ، ولا قائم ، ولا عيسى بن مريم ، ولا ياجوج وماجوج . وقيل له : لم لا تكون كفلاً ؟ (يعنون رجلاً موصراً) فقال : بأبي أتم ! كيف أشبه بمن يعطى فيسبى<sup>(٢)</sup> وأعطس فألطم ! . وقيل له : ما بال حمارك يتبلد إذا توجه نحو المنزل وحير الناس إلى منازلها أسرع ؟ قال : لأنه يعرف سوء المنقلب . ونظرت امرأته وهي حبل إلى قبح وجهه ، فقالت : الويل لى إن كان الذى فى بطنى يشبهك . فقال لها : الويل لك إن لم يكن يشبهنى . وسمع رجلاً يقول عن ابن عباس : من نوى حجة وطاقه حائق ، كتبت له . فقال مزبد : ما نخرج العام كراه أرخص من هذا . وحكى عنه : أنه جمع بين رجل وعشيقته فى منزله ، فعاتبها ساعة ومدّ يده إليها ، فقالت : ليس هذا موضعه . فسمع مزبد قولها فقال : يا زانية ! أين موضعه ! بين الركن والمقام ! هذه الدار ما بنيت إلا للقباح والقيادة ، ولا آخذ من أخشابها إلا من القهار ، ولا موضع أحق منها بهذا .

ومن أشتهر بالحنون أشعب .

(١) هذه الكلمة عامية . والتصحيح فى هذا المعنى «مخذه» أو «سأل» .

(٢) التثمت (بالثين المعجمة والسين المهملة) : الدماء للماطس .

### ذكر شيء من نوادر أشعب وأخباره

- هو أشعب بن جُبَيْر. واسمه شُعَيْب، وكُنِيته أبو العلاء. وأمه أم الجندوح، وقيل: أم حميد حميدة. وهي مولاة أسماء بنت أبي بكر الصديق رضي الله عنها. وكان أبوه قد خرج مع المختار بن أبي عبيد، فأمره مُصَنَّب بن الزبير؛ فقال له: ويلك! أخرج عليّ وأنت مولاي! وقتله صبرا. وقد قيل في ولاته: إن أباه مولى عثمان بن عفان رضي الله عنه، وإن أمه كانت مولاة أبي سفيان بن حرب، وإن ميمونة أم المؤمنين أخذتها لما تزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم. وكانت تدخل على أزواج النبي صلى الله عليه وسلم، فيستظرفنها؛ ثم صارت تنقل أحاديث بعضهن إلى بعض، وتُفَرِّقُ بينهن. فدعا عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم فماتت. وقد حكي عن أشعب: أنه جلس يوما في مجلس فيه جماعة، فتفاخروا وذكر كل واحد منهم مناقبه وشرفه أو شجاعته أو شعره وغير ذلك مما يتخج به الناس ويتفاخرون؛ فوثب أشعب وقال: أنا ابن أم الجندوح، أنا ابن المحرقة بين أزواج النبي صلى الله عليه وسلم. فقيل له: ويلك! أو بهذا يفتخر الناس! قال: وأى أفتخار أعظم من هذا! لو لم تكن أمي عندهن ثقة لما قبلن روايتها في بعضهن بعضا. وقد حكي: أنها زنت، فحلفت، وطيف بها على رجل، فكانت تنادي على نفسها: من رآني فلا يزني. فقالت لها امرأة: نهانا الله عز وجل عنه فصبيته، وتطيعك وأنت جلودة مخلوقة، راكبة على رجل! ونشأ أشعب بالمدينة في دور آل أبي طالب، وكففته وتولت تربيته عائشة بنت عثمان. وعمر أشعب عمرا طويلا. وحكى عنه أنه قال: كنت مع عثمان رضي الله عنه يوم الدار لما حُصِرَ؛ فلما جُود بمالكمه السبوف ليقاطلوا كنت فيهم؛ فقال عثمان: من أحمد سيفه فهو حر. فلما
- (١) في الألفاظ: «كان يقال لأُمِّ أم» انخلتج» وقيل أم جميل واسمها حميدة.

وقعت في أذني كنت والله أقل من أحمد سيفه فمُتقت . وكانت وفاته بعد سنة أربع وخمسين ومائة . وهذا القول يدل على أنه كان مولى عثمان بن عفان رضي الله عنه .

⑪

وقد روى أبو الفرج الأصفهاني بإسناد رفعه إلى إبراهيم بن المهدي عن عبيد ابن أشعب عن أبيه : أنه كان مولده في سنة تسع من الهجرة ، وأن أباه كان من ممالك عثمان بن عفان . وعمر أشعب حتى هلك في أيام المهدي . قال : وكانت في أشعب خلل ، منها : أنه كان أطيب أهل زمانه حشرة ، وأكثرهم نادرة ، وكان أقوم أهل دهره لمجيع المعتزلة ، وكان أمراً منهم . وقال مصعب بن عبد الله : كان أشعب من القزاء حسن الصوت بالقراءة ، وكان قد نكح وغزاه ، وقد روى الحديث عن عبد الله بن جعفر . وقال الأصمعي : قال أشعب : نشأت أنا وأبني الزناد في حجر عائشة بنت عثمان ، فلم يزل يعلو وأسفل حتى بلغنا هذه المنزلة . وقال إصحاق ابن إبراهيم كان أشعب مع ملاحته ونوادره يغني أصواتاً فيجيدها . وفيه يقول عبد الله ابن مصعب الزبيري عفا الله عنه :

إذا تمززت صُراجية<sup>(١)</sup> \* كثل ريح المسك أو أطيْبُ  
ثم تَفَنَّى لي بأهزاجه \* زيد أخو الأنصار أو أشعبُ  
حيث أنى ملك جالس \* حَقَّت به الأملاك والموكب  
وما أبالي وإله العلا \* أَشَرَّقَ العالم أم غَرَّوا<sup>(٢)</sup>

ولأشعب نوادر مستظرفة وحكايات مستحسنة ، وقد آن نذكرها . فنها ما حكى أنه كان يقول : كلبي كلب سوء ، يصبص للضيف ، وينبح على أصحاب الهدايا . وقيل له : قد لقيت رجلاً من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فلم تحفظت

(١) الصراجية : آنية نحر . (٢) في الأغاني : « وإله الوري » .

- أحاديث تتحدث بها أفعال : أنا أعلم الناس بالحديث . قيل : فحدثنا . قال : حدثني عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهم قال : خلتان لا تجتمعان في مؤمن إلا دخل الجنة ، ثم سكت . فقيل له : هات ، ما الخلتان ؟ قال : نسي عكرمة إحداهما ونسيت أنا الأخرى . وكان أشعب يحدث عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما فيقول : حدثني عبد الله ، وكان يخفضني في الله . وكان أشعب يلزم طعام سالم بن عبد الله . ابن عمر رضي الله عنهم . فأشبهى سالم أن يأكل مع بناته فخرج إلى البستان ، فجاء أشعب إلى منزل سالم على عادته ، فأخبر بالقصة ، فأكترى جملاً بدرهم وجاء إلى البستان . فلما حاذى الحائط وثب فصار عليه ، ففطى سالم بناته بشوبه وقال : بناتي بناتي ! فقال أشعب : ( لَقَدْ عَلِمْتِ مَالَكِ فِي بَنَاتِكَ مِنْ حَقِّ وَلَدِكَ لَتَعْلَمَ مَا نَرِيكَ ) .

١٠

- قال أشعب : جاءتني جارية بدينار وقالت : هذا وديعة عندك ، فبعلته بين يني الفرائس . فجاءت بعد أيام وقالت : بأبي أنت ! الدينار ، فقلت أرفسي فراشي وخذى ولده فإنه قد ولد ، وكنت قد تركت إلى جنبه درهم ، فأخذت الدرهم وتركته الدينار . وطدت بعد أيام فوجدت معه درهم آخر فأخذته ، وفي الثالثة كذلك . وجاءت في الرابعة ، فلما رأيتهما بكيت ، فقالت : ما يبكيك ؟ قلت : مات دينارك في النفاص . فقالت : وكيف يكون للدينار نفاس ؟ قلت : يا فاسقة ! تصدقين بالولادة ولا تصدقين بالنفاص ! .

١٥

- ومن أخباره المستظرفة ما حكاه المدائني ، قال : قال أشعب : تعلقت بأستار الكعبة فقلت : اللهم أذهب عني الخرص والطلب إلى الناس ، ففردت بالقرشين وغيرهم فلم يعطني أحد شيئاً . فجئت إلى أبي ، فقالت : مالك قد جئت خائباً . فأخبرتني بذلك ، فقالت : والله لا تدخل حتى ترجع فستقيل ربك . فرجعت

٢٠



بفعلت أقول : يا ربّ أقتلني ، ثم رجعت ، فسا مررت يجلس لتقريش ولا غيرهم إلا أعطوني ، ووهب لي غلام ؛ بفعلت إلى أمي بجمال موقرة من كل شيء . فقالت : ما هذا الغلام ؟ نفخت أن أخبرها فتموت فرحا إن قلت : وهو لي . فقالت : أى شيء هذا ؟ فقلت : غين . قالت : أى شيء [غين] ؟ قلت : لام . قالت : أى شيء [لام] ؟ [قلت : ألف . قالت : وأى شيء ألف] ؟ قلت : ميم . قالت : وأى ميم ؟ قلت : غلام ؛ ففشي عليها . وأولم أقطع الحروف لماتت الفاسقة فرحا . قال : وجلس أشعب يوما إلى جانب مروان بن أبان بن عثمان ؛ فانفلتت من مروان ريح لما صوت ؛ فانصرف أشعب يومه الناس أنه هو الذي خرجت منه الريح . فلما آنصرف مروان إلى منزله جاءه أشعب فقال له : الدية ، قال : دية ماذا ؟ قال : دية الضرطة التي تحملتها عنك ، وإلا شهرتك ؛ فلم يدهمه حتى أخذ منه شيئا صالحه عليه .

❦

وقال محمد بن أبي قبيلة : غذى أشعب جدّيا بلبن أمه وغيرها حتى بلغ غاية ، ثم قال لزوجته أم أبسه وردان : لاني أحب أن ترضعيه بلبنك ففعلت . ثم جاء به إلى إسماعيل بن جعفر بن محمد ، فقال : والله إنه لأجنى ، رضع بلبن زوجتي ، قد حبوتك به ، ولم أر أحدا يستأهله سواك . فنظر إسماعيل إليه وأمر به فذبح ومُط . فأقبل عليه أشعب وقال : المكافأة ؛ فقال : ما عندي وأله اليوم شيء ، ونحن من تعرف ، وذلك خير فانت لك . فلما يئس أشعب منه قام من عنده فدخل على أبيه جعفر ، ثم أندفع فشبّه حتى التقت أضلعه ، ثم قال : أخلى . قال : ما معنا أحد يسمع ، ولا طيك عين . قال : وثب أبنيك إسماعيل على أبيي فذبحه وأنا أنظر إليه . فارتاع جعفر وصاح : ويلك ! وفيم ؟ تريد ماذا ؟ قال :

(١) الكلمة من الأثافي (ج ١٧ ص ٨٥ طبع بولاق) .

أما ما أريد فوالله مالى فى إسماعيل حيلة ولا يسمع هذا سامع أبدا بملك . بفزاه خيرا وأدخله منزله وأخرج اليه مائتى دينار فقال : خذ هذه ، ولك عندنا ما تحب . قال : ونخرج الى إسماعيل وهو لا ينصر ما يطأ عليه ، فإذا به مسترسل فى مجلسه . فلما رأى وجه أبيه أنكره وقام إليه ؛ فقال : يا إسماعيل ، فعلتها بأشعب ! قتلت ولده ؟ قال : فاستضعفك وقال : جاعنى ، وأخبره الخبر . فأخبره أبوه بما كان منه وما صار إليه . قال : فكان جعفر يقول لأشعب : رُغِنى راحك الله ! فيقول : روعة أبنتك بنا فى الجدى أكثر من روعتك بالمائتى الدينار .

قال المدائنى : دخل أشعب على الحسين بن على رضى الله عنهما ، وعنده أحرابي قبيح المنظر ، مختلف الحلقة ؛ فسيح أشعب حين رآه وقال للحسين : بأبى أنت وأمى ، أتأذن لى أن أسلح عليه ؟ فقال : إن شئت . ومع الأحرابي قوس وكثانة ، ففوق نحوه سهما ، وقال : والله لئن فعلت لتكون آخر سلعة سلحتها . فقال أشعب للحسين : جعلتُ فِداك ، أخذنى القولنج<sup>(١)</sup> . وعنه قال : توضع أشعب فنسل رجله اليسرى وترك اليمنى . فقيل له : لم تركت غسل اليمنى ؟ فقال : لأن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « أمتى غُرَّ محجلون من آثار الوضوء » وأنا أحب أن أكون أغرَّ محجلا مطلق اليمنى . وقال : سمع أشعب حُبى المدنية يقول : اللهم لا تمنى حتى تغفر لى ذنوبى ؛ فقال لها : يا فاسقة ! أنت لم تسألى الله تعالى المغفرة ، وإنما سأله عر الأبد ! ( يريد : أن الله لا يغفر لها أبدا ) .

وقال الزبير بن بكار : كان أشعب يوما فى المسجد يدعو ، وقد قبض وجهه

(١) القولنج (بضم القاف وقد فتح ، وفتح اللام وقد تكسر) : مرض معوى يؤلم يصر به خروج

الغزل والرج .

(٢) الذى فى الجامع الصغير : « أمتى يوم القيامة غر من السجود محجلون من الوضوء » .

فصبره كالصبرة المجدوعة . فرآه عامر بن عبد الله بن الزبير فصبره وناداه :  
يا أشعب ، إنما أنت تنابى ربك فناجه بوجه طليق . قال : فأرني لحية حتى وقعا  
على زوريه . قال : فأعرض عنه ، وقال : ولا كل ذا .

وقال مصعب : بلغ أشعب أن الغاضري قد أخذ في مثل مذهبه ونواده ،  
وأن جماعة استطابوه ، فرتبهم حتى علم أنه في مجلس من مجالس قرش يحادشهم  
ويضحكهم ، فصار إليهم ، ثم قال : قد بلغني أنك قد نحوت نحوي ، وشغلت عني  
من كان يالفي ، فإن كنت مثل فاعل كما أفعل . ثم خضن وجهه وعرضه وشجبه ،  
حتى صار عرضة أكثر من طوله ، وصار في هيئة لم يعرفه أحد بها ، ثم أرسل  
وجهه حتى كاد ذقنه يهوى صدره ، وصار كأنه وجه الناظر في سيف ، ثم تزع ثيابه  
وتحادب ، فصار في ظهره حذبة كستان البعير ، وصار طوله مقدار شبر ، ثم تزع  
سراويله ، وجعل يمد يجلده خصفيه حتى حك بهما الأرض ، ثم خلاهما من يده ،  
وجعل يمس ، وهما يضطآن الأرض ، ثم قام فتطاول وتمدد وعل ، حتى صار كأطول  
ما يكون من الرجال . فضحك القوم حتى أغشى عليهم ، وقطع بالغاضري فأتكلم  
بتأدرة ولا زاد حل أن يقول : يا أبا العلاء ، لا أطاود ما تكره أبدا ، إنما أنا عبدك  
وتفخريك ، ثم انصرف أشعب وتركه .

وقال الزبير بن بكار : حدثني عمي ، قال : لقي أشعب صديق لأبيه ، فقال له :  
ويلك يا أشعب ! كان أبوك الحى وأنت أقط ، فإلى من خرجت تشبهه ؟ قال :  
إلى أمي .

(١) كذا في الأغاني . والصبرة : المناسب من مانتها هنا أن تكون بالغصم بمعنى الكوة المجدوعة  
من الطعام وغيره . وفي الأصول : « كالشجرة » . ولم نجد لها معنى مناسباً .  
(٢) الزور : وسط الصدر . (٣) الأقط : التقصير الشعر .

وقال الميثم بن مدي : لقيت أشعب فقلت له : كيف ترى أهل زمانك هذا؟ قال : يسألونني عن أحاديث الملوك؛ ويعطونني عطاء العبيد .

وقال مصعب بن عثمان : لقي أشعب سالم بن عبد الله بن عمر ، فقال له : يا أشعب ، هل لك في هريس أعذ لنا ؟ قال : نعم ، بأبي أنت وأمي . فمضى أشعب إلى منزله ؛ فقالت له امرأته : قد وجه عبد الله بن عمرو بن عثمان يدعوك ، قال : ويحك ! إن لسالم بن عبد الله هريسة قد دطاني إليها ، وصعد الله بن عمرو في يدي متى شئت ، وسالم إنما دعوتُه للناس فلتة ، وليس لي بد من المضي إليه .

- قالت : إذا يفضب عبد الله . قال : أكل عنده ثم أصير إلى عبد الله . فبأه إلى منزل سالم فجعل يأكل أكل متعالي . فقال له : كل يا أشعب ، وأبست ما فضل عنك إلى منزلك . قال : ذلك أردت ، بأبي أنت وأمي . قال : فقال : يا غلام ، ١٠ أحمل هذا إلى منزله ، فعمله ومشي أشعب معه . فقالت امرأته : تكثرت أمك ، قد حلف عبد الله لا يكلمك شهراً ؛ قال : دعيني وإياه ، هاتي شيئاً من زعفران ، فأعطته ، فأخذه ودخل الحمام ، فمسحه على وجهه وبدنه ، وجلس في الحمام حتى صفره ، ونخرج متوكأ على عصا يرعد حتى أتى دار عبد الله بن عمرو بن عثمان . فلما رآه ١٠ حاجبه قال : ويحك ! بلغت بك العلة ما أرى . ودخل فأعلم صاحبه ، فأذن له . فلما دخل عليه ، إذا سالم بن عبد الله عنده ، فجعل يزيد في الرصة ، ويقارب الخطو ، وجلس وما كاد أن يستقل . فقال عبد الله : ظلمتاك يا أشعب في غضبنا عليك . فقال له سالم : ويلك ! مالك ؟ ألم تكن عندي آفاً وأكلت هريسة ! قال : لقد شُبّه لك ، لاحول ولا قوة إلا بالله . قال : لعل الشيطان يتشبه بك . قال أشعب : على وعلى ! إن كنت رأيتك منذ شهر . فقال له عبد الله : أهرُزب ويلك عن خالي ! ٢٠ أتبهته لا أم لك ! قال : ما قلت إلا حقاً . قال : بحياتي أصدقني وأنت آمن

من غضبي . قال : وحياتك لقد صدق ؛ وحديثه بالقصة ؛ فضحك حتى استلقى على قفاه .

وقال المدائني والهيثم بن عدي : بعث الوليد بن يزيد بن عبد الملك بن مروان إلى أشعب بعد ما طلق أمراته سعدة ، فقال له : يا أشعب ، لك عندي عشرة آلاف درهم على أن تبذل رسالتك سعدة . فقال له : أحضر المال حتى أنظر إليه ، فأحضر الوليد بدرة ، فوضعا أشعب على عنقه ، وقال : هات رسالتك . قال : قل لها يقول لك :

أسعدة هل اليك لنا سبيل \* وهل حتى القيامة من تلاق

بلى ! ولعل دهرنا أن يأتى \* بموت من حليك أو طلاق

فأصبح شامتا وتقر عيني \* ويجمع شملنا بعد اقتراق

قال : فأتى أشعب الباب فأخبرته بمكانه ، فأمرت ففُرش لها فرش وجلست وأذنت له ، فدخل فأنشدها . فلما أنشد البيت الأول :

أسعدة هل اليك لنا سبيل \* وهل حتى القيامة من تلاق

قالت : لا والله ، لا يكون ذلك أبدا . فلما أنشد البيت الثاني :

بلى ! ولعل دهرنا أن يأتى \* بموت من حليك أو طلاق

قالت : كلا إن شاء الله ، بل يفعل الله ذلك به . فلما أنشد البيت الثالث :

فأصبح شامتا وتقر عيني \* ويجمع شملنا بعد اقتراق

قالت : بل تكون الشامة به . ثم قالت لخدمها : خذوا الفاسق . فقال :

باسيدي ، إنما عشرة آلاف درهم . قالت : والله لأقتلك أو تبليعه كما بلغتني . قال :

وما تبين لي ؟ قالت : بساطي الذي تحتي . قال : قومي عنه ، فقامت ، فطواه ،

ثم قال : هاتي رسالتك ، فجعلت فداك ! قالت : قل له :

أَتَبْكِي عَلَى لَبْتِي وَأَنْتِ تَرَكْتَهُمَا \* فَقَدْ ذَهَبَتْ لَبْنِي لِمَا أَنْتِ صَائِعَةٌ ؟

فَأَقْبَلَ أَشْعَبُ، حَتَّى دَخَلَ عَلَى الْوَلِيدِ، فَأَتَشَدَّه الْبَيْتَ، فَقَالَ : أَوَّه قَتَلْتَنِي وَأَلَّه !  
فَمَا تَرَانِي صَانِعًا بِكَ يَا ابْنَ الزَّانِيَةِ ! احْتَرِإِنَّمَا أَنْتَ أَذَلِكِ مُنْكَسًا فِي بَرٍّ، أَوْ أَرْمِيكَ مِنْ  
فَوْقِ الْقَصْرِ مُنْكَسًا، أَوْ أَضْرِبْ رَأْسَكَ بِعُمُودِي هَذَا ضَرْبَةً . قَالَ لَهُ : مَا كُنْتُ  
فَاعِلًا بِشَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ . قَالَ : وَلَمْ ؟ قَالَ : لِأَنَّكَ لَمْ تَكُنْ لَتَعَذِّبْ عَيْنَيْنِ قَدْ نَظَرَتَا  
نَالِي سَعْدَةً ! قَالَ : صَدَقْتَ يَا ابْنَ الزَّانِيَةِ !

وَقَالَ الْهَيْمُ بْنُ حَدَى : كَتَبَ الْوَلِيدُ بْنُ يَزِيدٍ فِي إِشْطَاصِ أَشْعَبٍ مِنَ الْجَبَازِ  
إِلَيْهِ، لِحَمَلِ عَلَى الْبَرِيدِ، فَلَمَّا دَخَلَ، أَمَرَ أَنْ يُبَسَّ ثِيَابًا وَيُجْعَلَ لَهُ فِيهِ ذَنْبٌ قَرْدٌ،  
وَتَشَدُّ فِي رَجْلَيْهِ أَجْرَاسٌ، وَفِي عُنُقِهِ جَلَّاجِلٌ، فَفَعَلَ ذَلِكَ بِهِ، فَدَخَلَ عَلَيْهِ وَهُوَ  
عَجَبٌ مِنَ الْعَجَبِ، فَلَمَّا رَأَى ضَحْكَ مَنَّهُ، وَكَشَفَ عَنْ ذِكْرِهِ، قَالَ أَشْعَبُ : فَرَأَيْتَهُ  
كَأَنَّهُ نَائِيٌ مَدْهُونٌ، فَقَالَ : أَصْبَحْتُ لِلْأَصَمِّ وَيْلَكَ ! يَعْنِي : أَيْرَهُ، فَسَجَدَتْ، ثُمَّ رَفَعَتْ  
رَأْسِي فَسَجَدَتْ أُخْرَى، فَقَالَ لِي : مَا هَذَا ؟ فَقُلْتُ : الْأَوَّلَى لِلْأَصَمِّ - وَالثَّانِيَةِ  
لِخَصِيَّتِكَ، فَأَمَرَ بِتَرْعِ مَا كَانَ الْأَسْلِيهِ وَوَصَلَنِي وَلَمْ أَزَلْ مِنْ نَدَمَاتِهِ حَتَّى قُتِلَ .

وَرَوَى أَبُو الْفَرَجِ الْأَصْفَهَانِيُّ بِإِسْنَادِهِ إِلَى إِبْرَاهِيمَ بْنِ الْمَهْدِيِّ عَنْ ابْنِ أَشْعَبٍ  
عَنْ أَبِيهِ، قَالَ : دُعِيَ ذَاتَ يَوْمٍ بِالْمَغْنَتَيْنِ إِلَى الْوَلِيدِ بْنِ يَزِيدٍ، وَكُنْتُ نَازِلًا مَعَهُمْ،  
فَقُلْتُ لِلرَّسُولِ : خَذْنِي فِيهِمْ ؛ قَالَ : لَمْ أَؤْمَرْ بِكَ، إِنَّمَا أَمَرْتُ بِإِحْضَارِ الْمَغْنَتَيْنِ،  
وَأَنْتِ بَطَالٌ لَا تَدْخُلِي فِي جَمْعَتِهِمْ . فَقُلْتُ لَهُ : أَنَا وَأَلَّه أَحْسَنُ غَنَاءَ مِنْهُمْ ؛ ثُمَّ أَنْدَفَعْتُ  
فَغَنَيْتُ . فَقَالَ : لَقَدْ سَمِعْتُ حَسَنًا، وَلَكِنْ أَخَافُ . قُلْتُ : لَا خَوْفَ عَلَيْكَ، وَلَكِ  
مَعَ ذَلِكَ شَرٌّ . قَالَ : وَمَا هُوَ ؟ قُلْتُ : كُلُّ مَا أَصِيبَتْ فَلَكَ شَطْرُهُ ؛ فَأَضْهَدُ حُلَّ

الجماعة، ومضيئا حتى دخلنا على الوليد، وهو لقيس النفس، ففتاه المغنون في كل فن فلم يحرك ولم ينشط . فقام الأجير إلى الخلاء، وكان خبيثا داهيا، فسأل الخادم عن خبره، فقال : بينه وبين امرأته شر، لأنه حينئذ أخذها ففضبت عليه، وهو إلى أختها أميل، وقد عزم على طلاقها، وحلف ألا يذكرها أبداً بمراسلة أو مخاطبة، فخرج على هذه الحال من عندها . فعاد الأجير إلينا، وجلس ثم آندغ يفتي :

فبينى فاني لا أبالي وأيقنى \* أصعد باقي حيك أم تصوبا  
ألم تعلمي أني عزوف عن الهوى \* إذا صاحبي من غير شيء تقصبا

فطرب الوليد وأرتاح، وقال للأجير : أصبت واقه يا عبيد ما في نفسي، وأمر له بعشرة آلاف درهم وشرب حتى سكر، ولم يحفظ أحد بشيء سوى الأجير. فلما أيقنت بانقضاء المجلس وثبتت فقلت : إن رأى أمير المؤمنين أن يأمر من يضربني مائة سوط الساعة بمحضرتك ! فضحك . ثم قال : قبحك الله ! وما السبب في ذلك ؟ فأخبرته بقصتي مع الرسول، وقلت له : إنه بدأني بالمكروه في أول يومه فاتصل علي<sup>(١)</sup> إلى آخره، فأريد أن أضرب مائة سوط ويضرب بعدى مثلها . فقال : لقد لطفت، بل أعطوه مائة دينار، وأعطوا الرسول خمسين دينارا من مالنا عوض الخمسين التي أراد أخذها من أشعب، فقبضتها وأنصرفت .

وقال عبيدة بن أشعب : غضبت سكبنة على أبي في شيء خالفها فيه، لحلفت تتحلق لحيتي . فقال له الحجام : أنفخ أشداقك حتى أتمكن منك، فقال له أشعب : يأبن البظراء، أمرتك أن تحلق لحيتي أو تعابني أزمري ! أخبرني عن آخرتك إذا أردت أن تحلق حرمها تنفخ أشداقه ! فغضب الحجام وحلف ألا يحلق لحيتي وأنصرف . فبلغ سكبنة الخبر، فضحكت وعفت عنه .

(١) في الأصل : « بما اتصل » .

- قال ابن زَبَّيج<sup>(١)</sup>: كان أبان بن عثمان من أهزل الناس وأعيبهم، فبينما نحن ذات يوم عنده وعنده أشعب، إذ أقبل أعرابي معه جمل، والأعرابي أشقر أزرق أزعر يتلظى كأنه أفعى، والشترين في وجهه، ما يدنو منه أحد إلا شتمه ونهره؛ فقال أبان: هذا والله من البادية، ادعوه لي، فدعوه له وقيل: إن الأمير أبان بن عثمان يدعوك؛ فأماه فسلم عليه، فسأله أبان بن عثمان عن نسبه، فانتسب له. فقال له أبان: حياله الله يا خال، اجلس، بفلس. فقال له: إني أطلب جملًا مثل جملك هذا منذ زمان فلم أجده كما أشتي بهذه الصفة وهذه الهامة والصورة والورك والأخفاف، والحمد لله الذي جعل ظفري به عند من أحبه، أتبيعه؟ فقال: نعم أيها الأمير.
- قال: إني قد بذلت لك به مائة دينار؛ فطمع الأعرابي وسر بذلك وانتفخ، وبان الطمع في وجهه. فأقبل أبان على أشعب ثم قال له: ويلك يا أشعب! إن خالي هذا من أهلك وأقاربك (يعني: في الطمع) فأوسع له مما عندك؛ قال: نعم، بأبي أنت وزيادة. فقال له أبان: يا خال، إنما زدتك في الثمن على بصيرة أنك الجمل يساوي ستين دينارًا، ولكني بذلت لك مائة دينار لقلة النقد عندنا، وإني أعطيتك عرضًا تساوي مائة دينار؛ فزاد طمع الأعرابي وقال: قد قبلت ذلك أيها الأمير.
- وأسر أبان إلى أشعب، فأخرج شيئًا مغطى، فقال له: أخرج ما جئت به؛ فأخرج جرد عمامة تساوي أربعة دراهم. فقال له: قومها يا أشعب. فقال: عمامة الأمير يشهد فيها الأعياد والجمع ويلقى فيها الخلفاء الخمسون دينارًا. قال: ضعها بين يديه، وقال لابن زَبَّيج: أثبت قيمتها، فكتب ذلك، ووضعت الهامة بين يدي الأعرابي؛
- (١) كذا في الأغاني (ج ١٧ ص ١٠٢ طبع بولاق). وزبنيج يفتح الزاي والباء. وفتح النون مشددة، رادية ابن هريرة. وفي الأصول «ربيع» وهو مصحف.
- (٢) كذا في الأغاني. وفي الأصول: «وأمهم» وهو تحريف.
- (٣) كذا في الأغاني. وفي الأصول: «البابة».



فكاد يدخل بعضه في بعض غيظاً، ولم يقدر على الكلام . قال : هات قلنسوتي ،  
فأخرج قلنسوة طويلة خلقاً قد علاها الوسخ والدُّهن وتحوّلت تساوى نصف درهم .  
قال : قوم ، فقال : قلنسوة الأمير تملو هامته ، ويصلى فيها الصلوات الخمس ،  
ويجلس فيها للحكم ثلاثون ديناراً . قال : أثبت ، فأثبت ذلك ، ووضعت القلنسوة  
بين يدي الأعرابي فارتدّ وجهه وبخفت عيناه وهمّ بالوثوب ، ثم تماسك وهو  
مقلقل . ثم قال لأشعب : هات ما عندك ، فأخرج خُفين خُفّين قد نُقبا وتقرّشا  
وتفتتا ، فقال : قوم ، فقال : خُفّا الأمير يطا بهما الروضة ، ويعلوهما متبر النبي  
صلى الله عليه وسلم ! أربعون ديناراً ، فقال : ضَعُهما بين يديه . ثم قال للأعرابي :  
أضُم اليك متاعك ، وقال لبعض الأعوان : آمِضْ مع الأعرابي وأقبض ما بقى لنا  
عليه من ثمن المتاع ، وهو عشرون ديناراً . فوثب الأعرابي فأخذ القماش فضرِب  
به وجوه القوم لا يالو في شدّة الرمي ، ثم قال له : أتدري في أى شيء أموت ؟ قال  
لا ، قال : لم أدرك أباك حيّاً فأشرك والله في دمه إذ ولّد مثلك ! ثم نهض كالجنون  
حتى أخذ برأس بعبه ، وضخّ أبان حتى سقط ، وضحك من كان معه . فكان  
الأعرابي بعد ذلك إذا لقي أشعب يقول له : هلمّ إلى يابن الخبيثة ، حتى أكافئك  
على تقويمك المتاع يوم قومت ، فيهرب منه أشعب .

ونقل الزبير بن بكار عن عمه : تظلمت امرأة أشعب منه إلى أبي بكر بن محمد  
ابن عمرو بن حزم ، فقالت : لا يدعني هذا من كثرة الجماع ، فقال له أشعب : أتراني  
أعْلِف ولا أركب ؟ فلتكفف ضرمتها لأكفّ أبرى .

(١) في الأصل «خلقة» وهو خطأ ، قال : ثوب خلق وجبة خلق بغير ماء .

(٢) كذا في الأغانى . وفي الأصول : «كيف لا أدركت» .

(٣) كذا في الأغانى . وفي الأصول : «قيمتك» ، وهو تحريف .

وقال المدائني : حدثني شيخ من أهل المدينة قال : كانت امرأة شديدة العين ، لا تنظر الى شيء فستحسنه إلا عاتته ؛ فدخلت على أشعب وهو في الموت ، وهو يقول لأبيه : يا بنية ، إذا أنا مت فلا تندبيني ، والناس يسمعونك ، ويقولين : واأبنا ، أندبك للصوم والصلاة ، للفقہ والقرآن ، فيكذب الناس ويلعنوني . ثم ألفت فرأى المرأة ، فغطى وجهه بكفه وقال لها : يا فلانة ، بالله إن كنت استحسنيت شيئا مما أنا فيه ، فصل على النبي صلى الله عليه وسلم ولا تهلكيني ؛ فغضبت المرأة وقالت : صغيت حينك ! وفي أي شيء أنت مما يستحسن ؟ أنت في آخر رمق ! قال : قد صليت ، ولكن قلت لئلا تكوني قد استحسنيت خفة الموت على<sup>(١)</sup> ومهولة التزع ، فبشتت ما أنا فيه . فخرجت من عنده وهي تسبه ، ومضحك من حوله من كلامه ومات .

### ذكر شيء من نوادر أبي دلامة

١٠

هو أبو دلامة زائد بن الجون . وزند بالنون . وهو كوفي ، أسود ، مولى لبني أسد ؛ كان أبوه عبدا لرجل منهم يقال له قصاب قص ، فأعتقه . وأدرك آخر زمن بني أمية ولم يكن له نباحة في أيامهم ، ونبغ في أيام بني العباس ، فانقطع إلى أبي العباس السفاح وأبي جعفر المنصور والمهدى ، وكانوا يقدّمونه ويفضّلونه ويستطيّبون مجالسته ونوادره .

١٥

قال أبو الفرج الأصفهاني : كان أبو دلامة رديء المذهب ، مرتبكا للعارم ، مضيقا للفروض ، متجاهرا بذلك ؛ وكان يعلم هذا منه ويعرف به ، فيتجأ عنه للطف محله . وله أخبار وأشعار ليس هذا موضع ذكرها ، وإنما ثبت في هذا الموضع ما له من نادرة أو حكاية مستظرفة . فمن ذلك أنه دخل على أبي جعفر المنصور ،

(١) كذا في الأصل . وفي الأصول : « ولكن قد لا تكونين » وهو محرف .

٢٠

وكان المنصور قد أمر أصحابه بلبس السواد والقلائس الطوال، <sup>(١)</sup> تُدعم ببيدان من داخلها، وأن يعلقوا السيوف في المناطق، ويكتبوا على ظهورهم: (فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ). فلما دخل عليه أبو دلامة في هذا الزى قال له المنصور: ما حالك؟ قال: شر حال يا أمير المؤمنين، وجهي في نصفي، وسيفي في آسفي، وقد صبغت بالسواد ثيابي ونبتت كتاب الله وراء ظهري؛ ثم أنشد:

وكنا نرى منة من إمامنا \* بغامت بطول زاده في القلائس

تراها على هام الرجال كأنها \* دنانير يهود جلت بالبرائس <sup>(٢)</sup>

فضحك منه المنصور وأعفاه وحذره من ذلك، وقال: إياك أن يسمع هذا منك أحد.

وحكى عنه: أنه كان واقفا بين يدي السفاح أو المنصور، فقال له: سلفي حاجتك؟ فقال أبو دلامة: كلب صيد؛ قال: أعطوه إياه. قال: ودابة أصيد عليها. قال: أعطوه. قال: وغلام يقود الكلب ويتصيد به؛ قال: أعطوه غلاما. قال: وجارية تصلح لنا الصيد وتطعمنا منه؛ قال: أعطوه جارية. قال: هؤلاء يا أمير المؤمنين عيال فلا بد لهم من دار يسكنونها؛ قال: أعطوه دارا تجمعهم. قال: فإن لم يكن ضيعة لمن أين يعيشون؟ قال: قد أقطعتك مائة جريب غامرة <sup>(٣)</sup> ومائة جريب غامرة. قال: وما الغامرة؟ قال: ما لا نبات فيه. قال: قد أقطعتك يا أمير المؤمنين خمسمائة ألف جريب غامرة من فيافي بني أسد. فضحك وقال:

(١) كذا في الأغاني (ج ٩ ص ١ طبع بولاق). وفي الأصول: «ودعم».

(٢) كذا في الأغاني. وفي الأصول: «ديار» وهو تحريف.

(٣) في الأغاني: «صيدك».

(٤) الجريب: مقدار معين من مساحة الأرض.

أجعلوا المساكين كلها عامرة . قال : فَأَذِنُ لِي أَنْ أَقْبَلَ يَدَكَ ؛ قال : أما هذه فدعها ، فَإِنِّي لَا أَفْعَلُ . قال : والله ما منعت عيالي شيئا أقلّ عليهم ضررا منها .

وروى : أنه دخل على المنصور فأنشده قصيدته التي يقول فيها :

- إِنَّ الْخَلِيطَ أَجَلُوا الْبَيْنَ فَأَتَّعَمُوا \* وَزَوَّدَكَ خَبَالًا بَلَسَ مَا صَنَعُوا  
 والله يعلم أن كادت ، لينهم \* يوم الفراق ، حصاة القلب تصدع  
 عَجِبْتُ مِنْ صَبِيئِي يَوْمًا وَأَمَّهُمْ \* أُمُّ الدَّلَامَةِ لَمَّا هَاجَهَا الْجَزَعُ  
 لَا بَارِكَ اللَّهُ فِيهَا مِنْ مُنْبَهَةٍ \* هَبَّتْ تَلُومَ عِيَالِي بَعْدَ مَا هَجَعُوا  
 وَنَحْنُ مُشْتَبِهَوِ الْأَلْوَانِ ، أَوْجَعْنَا \* سَنُودَ قُبَاحٍ ، وَفِي أَسْمَانِنَا شُعُوعُ  
 إِذَا تَسَكَّتَ إِلَى الْجُوعِ ، قُلْتُ لَهَا \* مَا هَاجَ جُوعَكَ إِلَّا الرِّىَ - وَالشَّبَعُ<sup>(١)</sup>  
 أَذَابَكَ الْجُوعُ مَذْهَارَاتٍ عَيَالِنَا \* عَلَى الْخَلِيفَةِ مِنْهُ الرِّىَ وَالشَّبَعُ  
 لَا وَالَّذِي يَا أَسِيرَ الْمُؤْمِنِينَ قَضَى \* لَكَ الْخِلَافَةَ فِي أَسَابِهَا الرِّىَ  
 مَا زِلْتُ أُخْلِصُهَا كَسْبِي فَتَاكَلَهُ \* دُونِي وَدُونِ عِيَالِي ثُمَّ تَضَطَّجِعُ<sup>(٢)</sup>  
 شَوْهَاءَ مَشْنَأَةٍ فِي بَطْنِهَا مُجَلُّ<sup>(٣)</sup> \* وَفِي الْمَقَاصِلِ مِنْ أَوْصَافِهَا قَدْعُ<sup>(٤)</sup>  
 ذَكَرْتُهَا بِكِتَابِ اللَّهِ حُرْمَتِنَا \* وَلَمْ تَكُنْ بِكِتَابِ اللَّهِ تَرْتِجِعُ  
 فَأَنْتَرَقَطْتُمْ ثُمَّ قَالَتْ وَهِيَ مُغْضِبَةٌ<sup>(٥)</sup> \* أَأَنْتِ تَسْلُوكُ كِتَابَ اللَّهِ يَا لُكْعُ<sup>(٦)</sup>

(١) ورد هذا البيت في الأصول : « قالت أذا بك قد مارت الخ ... » وهو محريف . وقد أورد صاحب الأغانى هذا البيت على أنه رواية أخرى في البيت قبله وهي الرواية الجليدة . ولذلك كانا نصلحى القافية .

(٢) مشاة : قبيحة . (٣) النجل : حطم البطن وأسترخاه .

(٤) القدح : احواج الرىخ في اليد أو الريل .

(٥) كترطمت : رفست أفعها أستكجرا أرضها .

(٦) كذا في الأغانى . وفي الأصول : « مصيبة » وهو محريف .

- أَخْرَجَ نَبَّحَ لَنَا مَالًا وَمَزْدَمَةً \* كَمَا لِحِيرَاتِ مَالٍ وَمُزْدَرَعٍ  
وَأَخَذَ خَلِيفَتَنَا حَتَّى بِسَالَةٍ \* إِنَّ الْخَلِيفَةَ لِلسُّؤَالِ يَخْذَعُ
- قال : فضحك أبو جعفر وقال : أرضوها عنه بما تثنى حريب عامرة - وروى بمقالة  
حريب عامرة وعامرة - فقال : أنا أقطعك يا أمير المؤمنين أربعة آلاف حريب عامرة  
فيما بين الحيرة والتجف ، وإن شئت زدتك . فضحك وقال : أجمعوها كلها عامرة .
- قال : ولبَّ توفى السقاح دخل أبو دلامة على المنصور والناس عنده يعزونه ، فقال :  
أَسَمِيتَ بِالْأَنْبَارِ يَا بَنَ مُحَمَّدٍ \* لَمْ تَسْتَطِعْ عَنْ عَقْرِهَا تَحْوِيلًا  
وَيْلَ طَلِيكَ وَوَيْلَ أَهْلِ كُلِّهِمْ \* وَيْلًا وَعَوَّلًا فِي الْحَيَاةِ طَوِيلًا  
فَلْتَبْكِينَ لَكَ السَّمَاءُ بِسَبْرَةٍ \* وَلْتَبْكِينَ لَكَ الرِّجَالُ عَوِيلًا  
مَاتَ النَّدَى إِذْ مَتَ يَا بَنَ مُحَمَّدٍ \* بِفَعْلَتِهِ لَكَ فِي التَّرَابِ جَدِيلًا
- إِنِّي سَأَلْتُ النَّاسَ بِعَدِكَ كُلَّهُمْ \* فَوَجَدْتُ أَسْمَحَ مِنْ سَأَلَتُ خَيْلًا  
أَلِشَقَوْتُ أَنْتَ بِعَدِكَ لَتِي \* تَدْعُ الْعَزِيزُ مِنَ الرِّجَالِ ذَلِيلًا ؟  
فَلَا خَلِيفَ عَيْنَ حَقِّ بَرَةٍ \* تَالَهُ مَا أُعْطِيتُ بِعَدِكَ سَوْلًا
- قال : فابكى الناس قوله . فغضب المنصور غضبًا شديدًا وقال : إن مممكتك تشبه  
هذه القصيدة لأقطع لسانك . قال : يا أمير المؤمنين ، إن أبا العباس أمير المؤمنين  
كان لي مكرما ، وهو الذي جاء بي من البدو ، كما جاء الله بإخوة يوسف إليه ، فقل كما  
قال يوسف : ( لَا تَقْرِبْ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ) . فسرى عن  
المنصور وقال : قد أفلناك يا أبا دلامة ، فسل حاجتك . قال : يا أمير المؤمنين ، قد كان  
أبو العباس أمر لي بعشرة آلاف درهم وخمسين ثوبا وهو مريض ولم أقبضها . فقال  
المنصور : ومن يعلم ذلك ؟ قال : هؤلاء ( وأشار إلى جماعة ممن حضروا ) فوثب سليمان  
ابن جهماد وأبو الجهم فقالا : صَدَقَ أَبُو دَلَامَةَ ، نَحْنُ نَعْلَمُ ذَلِكَ . فقال المنصور لأبي

أيوب الخازن [وهو مفيظ] : ياسليان أَدفعها إليه وسيره الى هذا الطاغية (يعنى عبد الله بن عليّ ، وكان قد خرج بالشام وأظهر الخلاف) فوثب أبو دلامة وقال : يا أمير المؤمنين ، أُعيدك بالله أن أخرج معهم ، والله إني مشغوم . قال المنصور : إمض فإن يُعني يغلب شؤمك . فقال : يا أمير المؤمنين ، والله ما أحب أن يخرج ذلك مني حل مثل هذا العسكر ، فإني لا أدري أيهما يغلب : يملك أو شؤمي ، إلّا أني بنفسي أوثق وأعرف وأطول تجربة . فقال : دعني وهذا ، فمالك من الخروج به . قال : فإني أصدّقك الآن ، شهدت والله تسعة عشر حركاً كلها هُزمت ، وكنت سبها ، فإن شئت الآن على بصيرة أن يكون عسرك تمام العشرين فاقبل . فضحك المنصور وأمره أن يتخلّف مع جيمي بن موسى بالكوفة .

- ١٠ وعن جعفر بن حسين اللّهيّ قال : حدثني أبو دلامة قال : أتني بني المنصور أو المهديّ وأنا مسكران ، خلف ليُخرجني في بحث حرب ، فأخرجني مع رَوْح بن حاتم المهلّبيّ لقتال الشّراء . فلما ألتقي الجمعان قلت لروح : أما والله لو أتكى فرسك ومضى سلاحك لأثرت في صدّوك اليوم أثراً ترتضيه ! فضحك وقال : والله العظيم لأدفعن اليك ذلك ولأخذتك بالوفاء بشرطك ؛ فنزل عن فرسه ونزع سلاحه ودفع ذلك إليّ ، ودعا بغيره فاستبدل به . فلما حصل ذلك في يدي قلت : أيها الأمير .
- ١٥ هذا مقام المائد بك ، وقد قلت أبايانا فاسمهما . قال : هات ، فأنشدته :
- إني أستجرك أن أقدم في الوعى \* ليُطاعرب وتبازل ويضراب  
فهب السيوف رأيتها مشهورة \* وتركتها ومضيت في المضارب  
ماذا تحول لما يحى ولا يرى \* من بادرات الموت بالشّباب

(١) زيادة من الألفاظ .

(٢) الشراء : الخوارج الذين شربوا أنفسهم [أي باعوا] في طاعة الله بالجنة .



فقال : دع هذا عنك ، وبرز رجل من الخوارج يدعو الى المبارزة فقال :  
 اخرج اليه يا أبا دلامة . فقال : أئسلك الله أيها الأمير في دمي . فقال : والله  
 لتخرجن ! فقلت : أيها الأمير ، فإنه أول يوم من الآخرة وآخر يوم من الدنيا ، وأنا  
 والله جالس ما تتبعني جارحة من الجوع ، فترى بشيء آكله ثم أخرج ، فأمرني  
 برغيفين ودجاجة ، فأخذت ذلك وبرزت عن الصف . فلما رآني الشاري أقبل  
 نحوي وعليه فرو قد أصابه المطر فابتل ، وأصابته الشمس فاففعل وعيناه <sup>(١)</sup> تقدان ،  
 فأسرع إلى ، فقلت : على يسلك يا هذا ! فوقف ، فقلت : أتهتل من لابقائك ؟  
 قال لا . قلت : أئستحل أن تقتل رجلا على دينك ؟ قال لا . قلت : أفتستحل  
 ذلك قبل أن تدعو من يقاتله الى دينك ؟ قال : لا ، فاذهب حتى الى لعنة الله ،  
 فقلت : لا أفعل أو تسمع مني . قال : قل . فقلت : هل كانت بيننا عداوة أو ريرة  
 أو تعرفني بحال تحفيظك على أو تعلم ببنى وبين أهلك ويرا ؟ قال : لا والله ، قلت :  
 ولا أنا والله لك إلا على جميل [الرأي] ، فإني لأهواك وأتقل منحك وأدين دينك  
 وأريد السوء لمن أرادك . فقال : يا هذا ، جزاك الله خيرا فانصرف . قلت : إن لم ي  
 زادنا أريد أن آكله وأريد مؤاكتك لتتوكد المودة بيننا ويرى أهل المسلمين هوانهم  
 علينا ، قال : فافعل . فتقدمت اليه حتى أختلفت . أعتاق دوابنا وجمعنا أرجلنا على  
 معاريها وجعلنا ناكل والناس قد غلبوا ضحكا . فلما استوفيتنا ودعني ، ثم قلت له :  
 إن هذا الجاهل ، إن ألفت على طلب المبارزة تدبني اليك تتصب وتضعني ، فإن  
 رأيت ألا تبرز اليوم فافعل . قال : قد فعلت ، فأبصر وأنصرفت . فقلت لروح :  
 أما أنا فقد كفيتك قرني ، فقل لغيري يكفيك قرنه كما كفيتك . ونرج آخريدعو  
 الى البراز ، فقال لي : اخرج اليه ، فقلت :

إني أعوذ بروح أن يُقدمني \* إلى القتال فتخزي بي بنو أسيد  
إن البراز إلى الأقران أعلسه \* مما يفوق بين الروح والجسد  
قد حلفتك المنايا اذ رُصدت لها \* وأصبحت لجميع الخلق كالرصد  
إن المهلب حب الموت أورتكم \* فما ورثت اختيار الموت عن أحد  
لو أن لي مهجة أخرى بلدت بها \* لكنها خلقت فرداً فلم أجِد  
قال : فضحك روح وأصغى .

قال : وشرب أبو دلامة في بعض الحانات وسكر ، فمشى وهو يميل ، فلقبه  
السنس فأخذه ؛ فقيل له : من أنت ؟ وما دينك ؟ فقال :

ديني على دين بني العباس \* ما تحمى الطين على القُرطاس  
إذا اصطبحت أرباباً بالكنس \* فقد أدار شربها برامى  
فهل بما قلت لكم من باس \*

فأخذوه ونرقوا ثيابه وساجه ، وأتى به إلى أبي جعفر ، فأمر بحبسه مع الدجاج  
في بيت . فلما أفاق جعل ينادى غلامه مرةً وجاريته أخرى فلا يجيبه أحد ، وهو  
مع ذلك يسمع صنوت الدجاج ورفاه الديك<sup>(١)</sup> . فلما أكثر قال له السجنان :  
به شاك ؟ قال : ويحك ! من أنت ؟ وأين أنا ؟ قال : أنت في الخلس ، وأنا فلان  
السجان . قال : ومن حبسني ؟ قال : أمير المؤمنين . قال : ومن نرق طيلسانى ؟  
قال : الخرس . فطلب أنت يأتيه بدواة وقرطاس ، ففعل فأناه ، فكتب إلى  
أبي جعفر المنصور يقول :

أمير المؤمنين قد تك نفسي \* علام حبستني ونرقت ساجي



أمن صباه ضافية المزاج \* كأن شعاعها لمب السراج  
وقد طيفت بنار الله حتى \* لقد صارت من الطيف النضاج  
تتش لها القلوب وتشتبهها \* اذا برزت تفرق في الزجاج  
أفاد الى السجون بغير جرم \* كأنى بعض عمال الخراج  
فلو معهم حُيِسْتُ لكان سهلا \* ولكنى حُيِسْتُ مع الدجاج  
وقد كانت تُخبرنى ذنوبى \* بأنى من عفاك غير ناج  
على أنى واث لاقيت شراً \* لخيرك بعد ذاك الشر راجى

فاستدماه المنصور وقال : أين حُيِسْتَ يا أبا دُلَامة ؟ قال : مع الدجاج . قال :  
فأكنت تصنع ؟ قال : أفوق<sup>(١)</sup> معهم الى الصباح ، فضحك وغلَّ سبيله وأمر له  
بجائزة . فلما خرج قال الربيع : إنه شرب الخمر يا أمير المؤمنين ، أما سمعت قوله :  
وقهد طيفت بنار الله ؟ ( يعنى الشمس ) قال : لا والله ، ما عَيتُ إلا نار الله  
الموقدة التى تَطْلِع على قواد الربيع . فضحك المنصور وقال : خذها يا ربيع ولا تعاود  
التعوض له .

وروى عن المدائنى قال : دخل أبو دُلَامة على المهدي وعنده إسماعيل بن حل  
وعيسى بن موسى والعباس بن محمد بن إبراهيم الإمام وجماحة من بنى هاشم ، فقال  
له المهدي : أنا أعطى الله عهداً إن لم تهجُ واحداً ممن فى البيت ، لأقطعن لسانك  
أو لأضربن عنقك . ففطر اليه القوم ، وكلما نظر إلى أحد منهم غمز به بأن حل  
رضاك . قال أبو دُلَامة : فعلت أنى قد وقعت وأنها عزمة من عزماته لا بد  
منها ، فلم أر أحداً أحق بالهجرة منى ولا ادعى الى السلامة من هجمه نفسى ، فقلت :  
ألا أبلغ لديك أبا دُلَامة \* فليست من الكرام ولا كرامه

(١) أفوق : أصبح .

إذا لبس العمامة كان قِرْدًا \* وخنزيرًا إذا نزع العمامة

جمعت دَمَامَةً وجمعت لَوْمًا \* كذلك اللؤم تتبعه الدمامة

فإن تك قد أصبحت نعيمَ دنيا \* فلا تفرح فقد دنت القيامة

فضحك القوم ولم يبق منهم أحد إلا أجاهه .

- قال : ونُخرج المهديّ وعليّ بن سليمان إلى الصيد ، فسنع لها قطع من ظباء ، فأرسلت الكلاب وأجريت الخيل ، ورمى المهديّ مهما فأصاب ظبيا ، ورمى عليّ بن سليمان فأصاب بعض الكلاب فقتله ؛ فقال أبو دلّامة :

قد رمى المهديّ ظيياً \* شكّ بالسهم فؤاده

وعليّ بن سليما \* ن رمى كلباً فصاده

- ١٠ فهنيئاً لهما نكلٌ أمرئى يا كل زاده

فضحك المهديّ حتى كاد يسقط عن سرجه ، وقال : صدق والله أبو دلّامة ، وأمر له بمائة سنية ؛ فلقب عليّ بن سليمان بعد ذلك صائد الكلب ، فغلب عليه .

قال : وتوفيت حمادة بنت عيسى ، وحضر المنصور جنازتها ؛ فلما وقف على حُفرتها قال لأبي دلّامة : ما أمددت لهذه الحفرة ؟ قال : أبنة عمك يا أمير المؤمنين حمادة بنت عيسى يمّاء بها الساعة فتدفن فيها . فضحك المنصور حتى قُلب واستوجهه .

- ١٥ قال الهيثم بن عديّ رحمه الله عليه : حُجّت الخيزران ، فلما خرجت ، صاح أبو دلّامة : جعلني الله فداك ، الله في أمرى ! فقالت : من هذا ؟ قالوا : أبو دلّامة . فقالت : سلوه ما أمره ؛ قالوا له : ما أمرك ؟ قال : أدنوني من تيملها ؛ قالت أدنوه ؛ فأدنى ، فقال لها : أيتها السيدة ، إنى شيخ كبير وأجرك في عظيم . قالت :

(١) كذا في الأغاني . وفي الأصل : « قلت قردا » .

فله ! قال : تَهَيَّئِي جاريةً من جَوَارِيكَ تُؤَسِّنِي ، وَتَرْفُقُ بِي وَتُرِيحُنِي مِنْ عَجْوزٍ عِنْدِي ؛  
فَدَأْكَلْتُ رِفْدِي ، وَأَطَالَتُ كَدِّي ؛ فَقَدْ عَافَ جِلْدِي جِلْدَهَا ، وَتَشَوَّقْتُ فَقْدَهَا .  
فَضَحَكَتُ الْخِيزَانُ وَقَالَتْ : سَوْفَ أَمْرُوكَ بِمَا سَأَلْتُ . فَلَبَّأَ رَجَعْتُ تَلْقَاهَا وَأَذْكُرُهَا  
وَنُحِرَجُ مَعَهَا إِلَى بَنَدَادٍ ، فَأَقَامَ حَتَّى غَرَضُ <sup>(١)</sup> . ثُمَّ دَخَلَ عَلَى أُمِّ عَيْيِدَةَ حَاضِنَةَ مُوسَى  
وَهَارُونَ فَدَفَعَ إِلَيْهَا رَقْعَةً قَدْ كَتَبَ بِهَا إِلَى الْخِيزَانِ ، فِيهَا :

أَبْلِسِي سَيِّدَتِي بِاللَّهِ يَا أُمُّ عَيْيِدَةَ  
أَنْهَا أَرْشَدَهَا اللَّهُ وَإِنْ كَانَتْ رَشِيدَةً  
وَعِدَّتِي قَبْلَ أَنْ تَخْرُجَ لِحَجٍّ وَلِيَدِهِ  
فَأَتَيْتُ وَأَرْسَلْتُ بِعَشْرِينَ قَصِيدَةً  
كَلْبَ أَخْلَقْنِ أَخْلَقْتُ لَهَا أُخْرَى جَدِيدَةً  
لَسَ فِي بَيْتِي لِقَائُكَ فِرَاشِي مِنْ قَعِيدَةٍ  
ضَرِيرَةٍ عَجْفَاءَ عَجْوزٍ \* سَاقَهَا مِثْلَ الْقَدِيدَةِ  
وَجْهَهَا أَقْبَحَ مِنْ حَوْ \* تَطَرَّى فِي عَصِيدَةٍ  
مَا حَيَاةٍ مَعَ أَثْنَى \* مِثْلَ عَرِيضِي بِسَعِيدَةٍ

فَلَبَّأَ قُرِئَتْ طَلِبُهَا ، فَضَحَكَتُ وَدَعَتْ بِجَارِيَةٍ مِنْ جَوَارِيهَا فَاتَمَّةَ الْجَمَالِ ، فَقَالَتْ لَهَا :  
خُذِي كُلَّ مَالِكَ فِي قَصْرِي ، فَفَعَلْتُ ؛ ثُمَّ دَعَتْ بَعْضَ الْخُدَمِ وَقَالَتْ لَهُ : سَأَلْتُهَا  
إِلَى أَبِي دُلَامَةَ . فَانْطَلَقَ الْخُدَامُ بِهَا فَلَمْ يَصَادِفْهُ فِي مَتَرَلِهِ ؛ فَقَالَ لَأَمْرَأَتِهِ : إِذَا رَجَعَ  
أَبُودَلَامَةُ فَادْفَعِيهَا إِلَيْهِ وَقُولِي لَهُ : تَقُولُ لَكَ السَّيِّدَةُ : أَحْسِنِي مُخَيَّبَةً هَذِهِ الْجَارِيَةَ فَقَدْ  
أَمَرْتُكَ بِهَا . فَقَالَتْ لَهُ نَعَمْ . فَلَبَّأَ خَرَجَ الْخُدَامُ دَخَلَ أَبْنَاهُ دُلَامَةَ فَوَجَدَ أُمَّهُ  
تَبْكِي ؛ فَسَأَلَهَا عَنْ خَبَرِهَا فَأَخْبَرَتْهُ وَقَالَتْ : إِنْ أَرَدْتُ أَنْ تَهْنِئَ يَوْمًا مِنَ الْأَيَّامِ فَالْيَوْمَ .

(١) غرض : مل وجيز .

- قال : قولى ما شئت فإنى أفعله . قالت : تدخل عليها فتعلمها أنك مالكها وتطوؤها  
تحتزمها عليه وإلا ذهبت بعقله بخفانى وجفاك ، ففعل ودخل الى الجارية فوطئها  
ووافقها ذلك منه ، ونخرج . فدخل أبو دلامة فقال لأمرأته : أين الجارية ؟ قالت :  
فى ذلك البيت ، فدخل اليها شيخ محطم ذاهب ، فمد يده اليها وذهب ليقبلها ، فقالت :  
مالك ويمحك ! تتح ! وإلا لعلمتك لطمه دققت منها أفك . فقال لها : أبهذا أوصيتك  
السيدة ؟ قالت : إنما بشت بى الى قى من هيئته وحاله كيت وكيت ، وقد كان  
عندى ألفا ونال منى حاجته . فلم أنه قد دعى من أم دُلّامة وآبها . فخرج أبو دلامة  
الى دُلّامة فلطمه وليسه وحلف ألا يفارقه إلا الى المهدي<sup>(١)</sup> . فغضى به ملبيا حتى  
وقف بباب المهدي ، فعرف خبره ؛ وأنه جاء بأبنه على تلك الحال . فأمر بإدخاله  
فلما دخل قال : مالك ؟ قال : فعل بى هذا ابن الخبيثة ما لم يفعله ولد بأبيه ، ولا يرضينى  
إلا أن تقتله . قال : ويمحك ! وما فعل بك ؟ فأخبره الخبر ؛ فضحك حتى استلقى  
ثم جلس . فقال له أبو دلامة : أعجبك فعله فتضحك منه ؟ ! فقال : على بالسيف  
والنطع . فقال له دُلّامة : قد سمعت قوله يا أمير المؤمنين ، فاسمع تحمى . قال :  
هات ! قال : هذا الشيخ أصفق الناس وجها ، هو يفعل بأقى منذ أربعين سنة  
ما غضبته ، وفعلت أنا يماريته مرة واحدة غضب وصنع بى ما ترى . فضحك  
المهدي أشد من مضحك الأول ، ثم قال : دعها له يا أبا دُلّامة ، وأنا أعطيك خيرا  
منها ؛ قال : على أن تختبأها لى بين السماء والأرض وإلا قتل بها والله كما فعل بهذه ؛  
فتقدم الى دُلّامة ألا يماود مثل فعله ، وحلف أنه إن ماود قتله ، ثم وهب له جارية .

(١) كذا فى الأغانى . ولبيه : جمع ثياب به حنط صدره ونحوه . وفى الأصول : « وتلب به »

وتلب بالثوب : تحزم به رضى غير لامة .

قال عبد الله بن صالح رحمه الله : جاء ابن أبي دُلّامة يوما الى أبيه وهو في محفل من جيرانه وعشيرته بخلس بين يديه ، ثم أقبل على الجماعة فقال لهم : إنا شيعي كما ترون قد كبر سنه ورقّ جلده ودقّ عظمه ، وبنا الى حياته حاجة شديدة ، فلا أزال أشير عليه بالشئ يمسك ريقه ويبقى قوته فيخالفني فيه ، وإنّي أسألكم أن تسألوه قضاء حاجة لي أذكرها بحضوركم فيها صلاح جسمه وبقاء حياته ، فاستغفوني بمسألته معي .

فقالوا : نفعل حبا وكرامة ؟ ثم أقبلوا على أبي دُلّامة بالسّتم فتناولوه بالعتاب حتى رضى أبنته وهو ساكت ، قال : قولوا للثقيث قليل ما يريد ، فستعلمون أنه لم يأت إلا بليّة . فقالوا له : قل ؛ فقال : إن أبي لما قتله كثرة الجماع ، فتعاونوني حتى أخصيه ، فلن يقطعه عن ذلك غير الخصاء فيكون أصحّ بحسمه وأطول لعمره . فسيجوا بما أتى به وضحكوا . ثم قالوا لأبي دُلّامة : قد سمعت فأجب . قال : قد سمعت أتم فمؤتكم أنه لم يأت بخير . قالوا : فما عندك في هذا ؟ قال : قد جعلتُ أنه حكما فيما بيني وبينه ، فقوموا بنا اليها . فقاموا بأجمعهم ودخلوا اليها ، وقصّ أبو دُلّامة القصة عليها وقال : قد حكمتك . فاقبلت على الجماعة فقالت : إن أبني هذا أبقاه الله قد نصبح أباه ولم يأل جهدا ، وما أنا الى بقاء أبيه أحوج مني الى بقاءه ، وهذا أمر لم يقع به تجربة منا ولا جرى بمثله عادة لنا ، وما أشك في معرفته بذلك ، فليبدأ بنفسه فليخصنا ،

فإذا حوّن ورأينا ذلك قد أثر عليه أثرا محمودا استعمله أبوه . فضحك أبوه والقوم وأنصرفوا يسحبون من خبيثهم جميعا .

ومنهم أبو صدقة .

(١) كذا في الأغاني . وفي الأصول : « ما أنا إلا ال » .

## ذكر شيء من نواذر أبي صدقة

- هو أبو صدقة مسكين بن صدقة من أهل المدينة مولى لقريش . قال أبو الفرج :  
 وكان مليح الغناء طيب الصوت كثير الرواية صالح الصنعة ، من أكثر الناس نادرة  
 وأخفهم روجا وأشدهم طمعا وألحهم مسألة ، وهو من المغنين الذين أقدمهم الرشيد  
 من الجحاز في أيامه . قيل : إنه حوت على كثرة إلحاحه في المسألة ، فقال : وما ينبغي  
 من ذلك ، وأسمى مسكين وكنتي أبو صدقة وأبقي فاقة وأبني صدقة ، فمن أحق  
 بهذا مني ؟ وكان الرشيد يعبت به كثيرا ، فقال ذات يوم لمسرور : قل لأبن جامع  
 وإبراهيم الموصلي وزيد بن دحمان وززل وبرصوما وأبن أبي حريم المديني : إذا رأيتموني  
 قد طابت نفسي ، فليسال كل واحد منكم حاجة ، مقدارها مقدار صلته ، وذكر لكل  
 واحد منهم مبلغ ذلك ، وأمرهم أن يكتبوا أمرهم عن أبي صدقة ، فقال لهم مسرور  
 ما أمر به الرشيد . ثم أذن الرشيد لأبي صدقة قبل إذنه لهم . فلما جلس قال له :  
 يا أبا صدقة ، لقد أجهزني بكثرة مسألتك وأنا في هذا اليوم سحر وأحببت أن أفتج  
 وأفرح ، ولست آمن أن تنقص علي مجلسي بمسألتك ، فلما أن تعفني أن تسألني اليوم  
 حاجة وإلا فانصرف . فقال له : لست من يومي هذا إلى شهر أسألك حاجة . فقال  
 له الرشيد : أما إذ شرطت لي هذا على نفسك فقد اشتريت منك حوائجك بنجمائة  
 دينار وهاهي ذه نغذها طيبة معجلة ، فإن سألني شيئا بعدها من هذا اليوم فلا لوم علي  
 إن لم أصلك سنة بشيء . فقال : نعم وستين . فقال له الرشيد : زدني في الويقة .  
 فقال : قد جعلت أمر أتم صدقة في يدك فطلقها متى شئت ، إن شئت واحدة  
 وإن شئت ألفا إن سألتك في يومي هذا حاجة ، وأشهدت الله ومن حضر علي  
 ذلك . فدفع إليه المال ، ثم أذن للجساء والمغنين فدخلوا وشرب القوم . فلما طابت  
 نفس الرشيد ، قال له ابن جامع : يا أمير المؤمنين ، قد نلت منك ما لم تبلغه أمتي ،

- وكثر إحسانك إلى حتى كبت أعدائي وقتلتهم، وليس لي بمكة دار تشبه حالي، فإن رأى أمير المؤمنين أن يأمر لي بمال أبني به دارا وأفرشها بياقيه لأفقا عيون أعدائي وأزهي نفوسهم فعل . فقال له : وكم قدرت لذلك؟ قال : أربعة آلاف دينار، فأمر له بها . وقام إبراهيم الموصلي فقال : يا أمير المؤمنين، قد ظهرت نعمتك على وصل الكبار من ولدي، وفي أصاغرهم من أحتاج [إلى] ختانه، وفيهم صفار أحتاج أن أتخذ لهم خدما، فإن رأى أمير المؤمنين أن يحسن معونتي على ذلك فعل . فأمر له بمثل ما أمر به لابن جامع . وجعل كل واحد منهم يقول في الثناء ما يحضره ويسأل حاجته على قدر جائزته، وأبو صدقة ينظر إلى الأموال تُفرق بينا وشمالا، فوثب قائما ورمى بالدنانير من كفه وقال الرشيد : ألقني أقال الله عزك . فقال الرشيد : لا أفعل .
- ١٠ بفعل يستطفه ويضطرب ويلج والرشيد يضحك ويقول : مالي إلى ذلك سبيل، الشرط أنك . فلما عجل صبره أخذ الدنانير ورمى بها بين يدي الرشيد وقال : ها كمها قد ردتها عليك وزدتك أتم صدقة فطلقها واحدة إن شئت وإن شئت ألقا . وإن لم تلحقني بجوائز القوم فالخفي بجائزة هذا البارد عمرو الغزالي . وكانت جائزته ثلاثة آلاف دينار . فضحك حتى استلقى ثم رد عليه الخمسمائة دينار وأمر له بألف أخرى معها، وكان ذلك أكثر ما أخذه منذ خدمه إلى أن مات، رحمة الله عليهم .
- ١٥ وروى أبو الفرج عن أبي إسحاق قال : ميطرنا ونحن مع الرشيد بالرقعة مع الفجر فاتصل إلى غد ذلك اليوم، وعرفنا خبر الرشيد أنه مقيم عند أم ولده المعصية صهر، فتشاغلنا عنه في منازلنا . فلما كان من غد جاءنا رسول الرشيد فحضرنا جميعا، وأقبل يسأل كل واحد منا عن يومه الماضي وما صنع فيه، فيخبره إلى أن آتته
- ٢٠ (١) زيادة من الأغاني (ج ٢١ ص ١٠٨ طبع أوربا) . وقد جاء الكلام فيه هكذا : «وفي أصاغرهم من قد بلغ وأريد تربيته، ومن أصاغرهم من أحتاج إلى أن أظهره ... الخ» .

إلى جعفر بن يحيى، فسأله عن خبره فقال له : كان عندي أبو زكار الأعشى وأبو صدقة ، وكان أبو زكار يكتب غني صوتاً ، لم يفرغ منه حتى يأخذه أبو صدقة ، فإذا انتهى الدور إليه أعاده وحكى أبا زكار فيه وحركاته وشماله ، ويغطى أبو زكار لذلك فيجئ ويموت غيظاً ويشتم أبا صدقة كل الشتم حتى يضجر ، وهو لا يجيبه ولا يدع العيب به وأنا أحضك من ذلك ، إلى أن توسطنا الشرب وسبنا من عبثه به ، فقلت له : دع هذا عنك وغن غناك . فغنى رَمَلًا ذكر أنه من صناعته ، فطربت له والله يا أمير المؤمنين طرباً ما أذكر أني طربت مثله منذ حين وهو :

تنتنى بفاحم اللون جعدي \* وبغير مكانه نظم دُر  
وبوجه كأنه طلعة البد \* رومين في طرفها نكت يهيج

فقلت له : أحسنت والله يا أبا صدقة ! فلم أسكت من هذه الكلمة حتى قال :  
يا سيدي إني قد بنيت داراً أنفقت عليها جميع مالي وما أددت لها فرشاً فأفرشها لي . فتعافلت عنه ، وعاود الفناء فتعمدت أن قلت : أحسنت ، فسألني لتعافلت ؛ فقال : يا سيدي ، هذا التغافل متى حدث لك ؟ سألك بالله وبحق أبيك عليك إلا أجبتني من كلامي ولو بستم . فأقبلت عليه وقلت له : أنت والله بنيف ، أسكت يا بنيف ، وأكففت عن هذه المسألة الملحة . فوثب من بين يدي ، فقلت : إنه قد نرجح الحاجة ، فإذا هو قد نزع ثيابه ويجرد منها خوفاً من أن يتبل ووقف تحت السماء لا يواريه شيء والمطر يأخذه ورفع رأسه وقال : يا رب أنت تعلم أني مله ولست ناعماً ، وعبدك الذي قد رفعت وأحوجني إلى خدمته يقول لي : أحسنت لا يقول لي : أسأت ، وأنا منذ جلست أقول له : بنيت ولا أقول له : هدمت ، فيحلف

(١) في الأصول : « منذ حين وزمان » ولا معنى لذكر كلمة « زمان » وهي غير موجودة في الألفاظ .

(٢) كما في الألفاظ . وفي الأصول : « لأن قلت » .



بك جراءة عليك أنى بغيض، فاحكم بينى وبينه فأنت خير الحاكمين . فغلبنى الضحك  
وأمرت به فتصغى، وجهدت به أن يفتنى فأمتنع، حتى حلفت له بحياتك أنى أفرش  
له داره يا أمير المؤمنين، وخدحته فلم أؤم له بما أفرشها . فقال له الرشيد : طيب والله !  
الآن تم لنا به اللهو، أدعه فإنه إذا رآك سوف يتعجزك الفرش لأنك حلفت له  
بحياتى فهو يقتضيك ذاك بحضرتى ليكون أوفى له ، فقل له : أنا أفرشها لك بالبورى<sup>(١)</sup>  
وحاكمه الى . ثم دعا به فحضر، فلما استقر فى المجلس قال لجعفر : الفرش الذى  
حلفت بحياة أمير المؤمنين أنك تفرش به دارى، تقدم به . فقال له جعفر : اختره  
إن شئت فرشها لك بالبورى وإن شئت فبالبردى من الحصر، فصاح وأضطرب .  
فقال له الرشيد : وكيف كانت القصة ؟ فأخبره، فقال له : أخطأت يا أبا صدقة  
إذ لم تسم النوع ولا حددت القيمة ، فإذا فرشها لك بالبردى أو بما دون ذلك فقد بر<sup>(٢)</sup>  
فى يمينه ، وإنما خدمك ولم تفطن أنت ولا توقفت وضيعت حقاك . فسكت ثم قال :  
نوفر أيضا البردى والبورى عليه أعزّه الله . وغنى المغنون حتى انتهى الدور اليه ، فأخذ  
يفتى غناء الملاحين والبنائين والسقائين وما يجرى مجراه من الغناء . فقال له الرشيد : أى  
شئ هذا الغناء ؟ قال : من فرش داره بالبورى والبردى فهذا الغناء كثير منه ،  
[وكثير]<sup>(٣)</sup> أيضا لمن هذه صلته . فضحك الرشيد وطرب وصفق وأمر له بألف دينار  
من ماله ، وقال له : أفرش دارك بهذه . فقال : وحياتك يا أمير المؤمنين لا أخذها  
أو تحكم لى على جعفر بما وعدنى وإلا مت والله أسفا لفوات ما حصل فى طمعى  
ووعدت به ، فحكم له على جعفر بمئة دينار أخرى ، فأمر له جعفر بها .

(١) البورى جمع بورى وهو الحصر المسوج .

(٢) كذا فى الأغاني . وفى الأصول : « وتحد »

(٣) زيادة عن الأغاني .

### ذكر شيء من نوادر الأقيشر<sup>(١)</sup>

- هو أبو معرض المغيرة بن عبد الله بن معرض بن عمرو بن معرض بن أسد بن نزيمة بن مدركة بن الياس بن مضر . والأقيشر لقب غلب عليه لأنه كان أحمر الوجه أقيشر . قال أبو الفرج الأصفهاني : وعمر الأقيشر عمرا طويلا ، ولعله ولد في الجاهلية ونشأ في الإسلام ، وكان أبعد بني أسد نسبا . قال : وكان كوفيا خليعا ماجنا مدمنا للمعر . وهو الذي يقول لنفسه :

- فأت أبا معرض إذ حسا \* من الزاح كاسا على المنبر  
خطيب ليب أبو معرض \* فإن ليم في المنبر لم يصبر  
أحل الحوام أبو معرض \* فصار خليعا على المكبر  
يحب اللثام ويحى الكرام \* وإن أقصروا عنه لم يقصر

- قال : وكان الأقيشر حنينا لا يأتي النساء ، وكان كثيرا ما يصف ذلك من نفسه .  
بجلس إليه يوما رجل من قيس ، فأنشده الأقيشر :

- ولقد أروح بمشرف ذي منعة \* عسر المصكزة ماؤه يتقصد<sup>(٢)</sup>  
مريح ، يطير من المراح لما به \* ويكاد جلد لها به يتقلد

- ثم قال الرجل : أتبهر الشعر؟ قال نعم . قال : لسانا وصفت . قال : فوسا .  
قال : أفكنت لو رأيت تركبه؟ قال : إى والله ، وثنى عطفه فكشف عن أيره وقال :  
هذا وصفت ، فقم فاركه . فوثب الرجل عن مجلسه وجعل يقول : قبلك الله من  
جلس سائر اليوم .

(١) الأقيشر هو مصغر أقشر وهو الشديد الحمرة .

(٢) رواية الأغاني : « ويكاد جلده به يتقلد » .

قال : وشرب الأقيشر في بيت تخار بالحيرة ، بغشاء الشرط ليأخذه ، فتحز  
منهم وأخلق الباب وقال : لست أشرب فإسيلكم علي ؟ قالوا : قد رأينا العس  
في كفك وأنت تشرب . فقال : إنما شربت من لبن لقحة لصاحب هذه الدار ، فما  
برحوا حتى أخذوا منه درهمين . فقال :

إنما لقحتنا باطية<sup>(١)</sup> \* فإذا ما نجت كانت تحب  
لبن أصفر صاف لونه \* يزع الباسور من عجب الذنب<sup>(٢)</sup>  
إنما نشرب من أموالنا \* فسلوا الشرطي ما هذا الغضب ؟

وروى أبو الفرج الأصفهاني عن أبي عمرو الشيباني وغيره قال : كان الأقيشر  
لا يسأل أحدا أكثر من خمسة دراهم ، يجعل درهمين للشراب ودرهما للطعام  
ودرهمين في كراهه ينزل إلى الحيرة . وكان له جار يكنى أبا المضاء ، له بغل يركبه ،  
فكان يعطيه درهمين ويأخذ بغله فيركبه إلى الحيرة حتى يأتي به بيت الخمار فيترل  
عنه ويربطه ، ثم يجلس للشرب حتى يمي ثم يركبه . وله في ذلك أشعار كثيرة .

قال : فأتى يوما من الأيام بيت الخمار الذي كان يأتيه فلم يحده لجعل ينتظره .  
ودخلت الدار امرأة عبادية ، فقال لها : ما فعل فلان ؟ قالت : مضى في حاجته  
وأنا أمرأته ، فما تريد ؟ وقيل بل قالت له : إنما أتم حنين الخمار الذي كان يمامله  
وقالت : ما تريد ؟ قال : نبيذا . قالت : بكم ؟ قال : بدرهمين . قالت : هلم درهميك  
وأتظرنى . قال : لا بل أكون معك . قالت : أنت وذالك . فأخذت الدرهمين  
وتبعها ، فأدخلته دارا لها بابان دخلت من أحدهما ونجرت من الآخر وتركته .  
فلما طال جلوسه ، نرج إليه بعض أهل الدار وقال : ما الذي يجلسك ؟ فأخبرهم ،

(١) الباطية : إناة من الزجاج تنمرى موضع بين الشرب ينترون منه .

(٢) العجب : أصل الذنب .

فقالوا له : تلك امرأة عتالة ، فلم أنه خدع وأنصرف الى نهاره فأخبره بالقصة وقال : أيسئني اليوم وأسقني ، ففعل . وأنشأ الأقبشريقول :

(١) لا تفرز ذوات خُف سوانا \* بمد أخت العباد أم حنين  
وعدتنا بدرهمين نيلنا \* أو طلاءً ممجلاً غير دين  
ثم ألوت بالدرهمين جميعا \* يا لقوى لضيفة الدرهمين  
عاهدت زوجها وقد قال : إني \* سوف أؤدو لحاجتي ولديني  
فدعت كالصمان أبيض جَلدا \* وأفر الأير مرسل الخصبين  
قال : ما أبرُذا هُديت ، فقالت : \* سوف أعطيك أجره مرتين  
فابدأ الآن بالسفاح فلما \* ساقفه أرضته بالأجرين  
تلها<sup>(٢)</sup> للبين ثم أنتطاه<sup>(٣)</sup> \* حريم الأير ألجج الخالين  
بيننا ذاك منهما وهي تموى \* ظهره بالبناث والمعصمين  
جاءها زوجها ، وقد شام فيها \* ذا أنتصاب موثق الأخدعين  
فتأسى وقال : ويل طسويل \* لحنين من عار أم حنين

قال : بخاءه حنين الخمار ، فقال : ما هذا ؟ ما أردت إلا هجائي وهجاء أمي .  
قال : أخذت مني درهمين ولم تعطيني شرا . قال : لا والله ، ما تصرفك أمي ،  
ولا أخذت منك شيئا قط ، فأنظر الى أمي ، فإن كانت هي صاحبتك غرمت لك  
الدرهمين . قال : لا والله ، ما أعرف غير أم حنين وأبنها ، فإن كانت أهلك فإياها

(١) وردت هذه الآيات في النسختين الأصليين والأغالي ربا بحر يرف في النسختين والأغالي وقد رجعت ما هو أقرب الى الصواب من كلتا النسختين والأغالي .

(٢) تلها : ألقاها .

(٣) العارم : القوى الشديد .

أعنى، وإن كانت أم حنين أخرى فأياها أعنى. فقال : إذا لا يفرق الناس بينهما؟! قال : ما على إذا، أترى درهمي يضيعان؟ فقال له : هلم إذا أغرمهما لك وأقيم ما تحتاج إليه، لا بارك الله لك، وفعل .

قال وتزوج الأقيشر أبنه عم له يقال لها الرباب ، على أربعة آلاف درهم — ويقال : على عشرة آلاف درهم — فأتى قومه فسألم فلم يعطوه شيئاً، فأتى ابن رأس البغل وهو دهبان الصين<sup>(٢)</sup>، وكان مجوسياً، فسأله فأعطاه الصدأ كاملاً؛ فقال :

كفاني المجوسى<sup>(٣)</sup> "هم" الرباب \* فدنى للمجوسى خالٍ وعم  
شهدت بانك "رطب اللسان"<sup>(٤)</sup> \* "وأنت بمصر" جواد خضم  
وأنت سيد أهل الجحيم \* إذا ما ترديت فيمن ظلم  
تجاور هامان<sup>(٥)</sup> في قصرها \* وفرعون والمكتنى بالحكم

فقال له المجوسى : ويحك ! سألت قومك فما أعطوك شيئاً ، وجفتى فأعطيتك بغيرتي هذا القول ولم أفلت من شرك ! قال : أو ما ترضى أن جعلتك مع الملوك وقرين أبى جهل ؟ قال : ثم جاء الى عكرمة بن ربیع التميمي ، فسأله فلم يعطه؟ شيئاً؛ فقال فيه :

سألت ربيعة من شربها \* إيا ثم أما فقالوا لى  
فقلت لأعلم من شركم \* وأجعل للسب فيه سيمه

(١) كذا في الأغانى (ج ١٠ ص ٩٢ طبع بولاق) . وفي الأصول : «ال» وهو محريف .

(٢) الدهقان (بالكسر والغم) : رئيس الإقليم .

(٣) في الأغانى : «مهر» .

(٤) كذا في الأغانى . وفي الأصول : «بظر اللسان» .

(٥) في الأغانى : «قارون» .

فقالوا لِعِمْرَةَ المخزيات \* وما ذا يرى الناس في عِمْرَةَ

فإن يك عبدا زكاه \* فما خير ذا فيه من مكرمة

قال ابن الكلبي : وشرب الأقيشر فسقط وبدت عورته ، وأمرأة تنظر إليه  
فضحكت منه وأقبلت عليه تلومه وتقول له : ألا تستحي يا شيخ أن تبلغ بنفسك  
هذه الحال ! فرفع رأسه إليها وأنشأ يقول :

تقول : يا شيخ أما تستحي \* من شريك الخمر على المكبر

فقلت : لو بأكرت مشمولة \* صبيها مثل الفرس الأشقر

رحمت وفي رجليك عقالة \* وقد بدا هيك من المثر<sup>(١)</sup>

قال الأصمعي : قال عبد الملك بن مروان للأقيشر : أنشدني أبياتك في الخمر؛

فأنشده قوله :

ترك القذى من دونها وهي دونه \* لوجه أخيا في الإناء قطوب

كبت إذا نجت وفي الكأس وردة<sup>(٢)</sup> \* لها في عظام الشاربين ديب

فقال له : أحسدت والله يا أبا معرض ! لقد أجدت في وصفها ، وأظنك قد  
شربتها . فقال : والله يا أمير المؤمنين ، إنه ليريني معرفتك بها . قال : وكان الأقيشر

يأتي إخوانا له فيسألهم فيعطونه ، فأتى رجلا منهم فأمر له بمئة مائة درهم فأخذها  
ومضى إلى الحانة فدفعها إلى صاحبها ، وقال له : أتم لي ما أحتاج إليه ، ففعل .  
فانضم إليه رفقاء له فلم يزل معهم حتى نفدت الدراهم ، فأأثم بعد إنفاقها فاحتملوه  
يوما ويوما . فلما أتاهم في اليوم الثالث نظروا إليه من بعيد ، فقالوا لصاحب  
الحانة : أبعده بنا إلى الغرفة ، وأعلم الأقيشر أننا لم نأت اليوم ، ففعل . فلما جاء

(١) الخمر : الفرج .

(٢) في الألفاظ : "نفتت" .

الأقشير أعلمه بما قالوا، فعلم أنه لا فرج له عند صاحب الحانة إلا برهن، فطرح إليه بعض ثيابه وقال له : أقم لي ما أحتاج إليه، ففعل . فلما أخذ منه الشراب أخذ يقول :

يا خليلي أسقياني كأسا \* ثم كأسا حتى أنثر ثعاسا  
إن في الغرفة التي فوق رأسي \* لأناسا يُجَادِصُونَ أَناسا  
يشربون الممتقِّ الراحِ صرفا \* ثم لا يرفعون للزور راسا<sup>(١)</sup>

قال : فلما سمع أصحابه هذا الشعر، فدَّوَّه بآبائهم وأمهاتهم، ثم قالوا له : إنا أن تصعد إلينا ولما أن نزل إليك، فصعد إليهم .

ومرَّ الأقشير بجمارة بالحينة يقال لها دومة ، فنزل عندها وأشتري منها نبيذاً،

ثم قال : جودى الشراب حتى أجودَّ لك المدح ففعلت؛ فأنشأ يقول :

ألا يا دوم دام ك النعم \* وأسمُرِّمْ لهُ مُسْتَقِيمٌ<sup>(٢)</sup>  
شديدُ الأميرِ يَبْضُ حالياء \* يُحِمُّ كَانَهُ رَجُلٌ سَقِيمٌ  
يروِّيه الشرابُ فيزدهيه \* وينفخ فيه شيطانٌ رَجِيمٌ

قال : فسُرَّتْ به الجمارة وقالت : ما قال في أحد أحسن من هذا ولا أمر إلى منه .

قال : وكان يختلف إلى رجل من بني تميم وكان يجرى عليه في كل شهر عشرة دراهم،

بغائه مرة فوجده قد أصيب بآبائه ، فردَّته أمرأته عنه ، ثم عاد بعد ذلك بيومين

فردَّته عنه أيضا ؛ فكتب إليه يتي شعر ودفع الرقعة إليها وقال : أوصليها إليه ؛

فقرأها ، فاذا فيها :

ألا أبلغُ لديك أبا هشام \* فإني الزنج أبرُّها الشَّامُ

(١) الزور : جمع زائر، كراكب وراكب .

(٢) كذا في الأغاني . وفي الأصول : « مثل » وهو محريف .

عِدَاتُكَ فِي الْحَلَالِ عِدَاتُ صَدِيقٍ \* فَهَلْ سَمَنْتَ كَمَا سَمِنَ الْمَسْلُوكُ

فلما قرأ الرقعة أمر برقه وقال : لقد سممت وما بقي إلا الهزال إن تأخرت ، فأمر له بها وزادها خمسة دراهم .

وكان الأفيشر مع شرفه وشعره يرضيه السير ويسخطه . وأخباره كثيرة ونوادره

- مشهورة ، وفيما أوردناه منها كفاية . ومات الأفيشر قتيلًا . وقيل : إنه مدح  
عبد الله بن إسحاق بن طلحة بن عبيد الله فلم يمطه شيئًا فهجاه ، فزعموا أن غلمانا  
لعبد الله بن إسحاق قتلوه ، فاجتمع بنو أسد وأدعوا عليه قتل الأفيشر ، فأقتدى منهم  
بديته . وقال ابن الكلبي : كان الأفيشر مولمًا بهجاء عبد الله بن إسحاق ومدح  
أخيه زكريا . فقال لغلماناه : ألا تريوني منه ! فانطلقوا فجمعوا برما وقصبا  
بظهر الكوفة وجعلوه في وسط <sup>(١)</sup> إبرة ، وأقبل الأفيشر سكرانًا من الحيرة على بغل  
أبي المضاء المكارى ، فأنزلوه عن البغل وشدوه رباطًا ثم وضعوه في تلك الإبرة وأهلبوا  
النار في القصب والبحرقات ، ولم يعلم من قتله . والله أعلم .

### ذكر شيء من نوادر ابن سيابة

- هو إبراهيم بن سيابة مولى بني هاشم . كان يقال : إن جدّه حجام أعتقه بعض  
الهاشميين . فقدمه إبراهيم الموصلي وأبنته إسحاق لأنه مدحهما فرعما من قدره وغنى  
بشعره ونوفاً بذكوره . وكان خليفاً ماجناً حسن النادرة ، وكان يرمى بالأبسة . وله  
نوادر نذكر منها نبذةً فيما رواه أبو الفرج الأصفهاني . منها ما رواه عن إسحاق الموصلي  
قال : أتى إبراهيم ابن سيابة وهو سكران أبنا لسوار بن عبد الله القاضي أمرد ،  
فعاثقه وقبله ، وكانت معه دابة يقال لها رخاص ، فقيل لها : إنه لم يقبله تقبيل

(١) الإبرة : موضع النار .



التسليم، وإغما قبله شهوة، فليحتته الداية فشتته وأسمعت كل ما يكره، وهجره الغلام بعد ذلك؛ فقال :

لئن لثمتك ميراً \* فأبصرني رَحَاصُ  
وقال في ذاك قوم \* على انتقاصي حِرَاصُ  
هَجَرَتِي وَأَتَتْنِي \* شَيْمَةَ وَأَتَقَاصُ  
فهاك فاقْتَصَّ مِنِّي \* إِنْجَالُخِرُوحَ قِصَاصُ

وقد قيل : إن رَحَاصَ هذه كانت مَقْنِيَةً كان الغلام يهاها، وإنه سبكر ونام، فقبله ابن سَيَّابَةَ . فلما آذبه قال للغنية : ليت شعري ! ما كان خبرك مع ابن سَيَّابَةَ ؟ فقالت له : سَلَّ عن خبرك أنت معه، وحدثته بالقصة؛ فهجره الغلام، فقال هذا الشعر .

وقال إسحاق بن إبراهيم : كان ابن سَيَّابَةَ عندنا يوماً مع جماعة تَحَثَّتْ ونقشاد وهو يُلشد شيئاً من شعره، فتحرك فضرط فضرب بيده على آسته فزكرت وقال : إما أن تسكني حتى أتكلم، وإما أن تشكلمي حتى أسكت .

وقال أبو هُفَّان : غمز ابن سَيَّابَةَ يوماً غلاماً أمرده، فأجابه ومضى به إلى منزله فأكل وجلسا يشربان . فقال له الغلام : أنت ابن سَيَّابَةَ الزنديق ؟ قال نعم . قال : أحب أن تبليني الزندقة؛ قال : أفعل وكرامة؛ ثم بطمه على بطنه فلما تمكن منه أوجع فيه بشدة؛ فصاح الغلام : أوه ! أى شيء هذا ؟ ويحك ! قال : سألتني أن أعلمك الزندقة، وهذا أول باب من شرائعها .

وقال جعفر الكاتب : قال لي إبراهيم بن سَيَّابَةَ الشاعر : إذا كان عند جيرانك جنازة وليس في بيتك دقيق فلا تحضر الجنازة، فإن المصيبة عندك أكبر منها عند القوم، وبيتك أولى بالمأم من بيتهم . وقال سليمان بن يحيى بن معاذ :

قَدِمَ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ بْنِ سَيَّابَةَ بَنِي سَابُورَ فَأَنزَلَتْهُ عَلَىٰ، بِغَاءَ لَيْلَةٍ مِنَ اللَّيَالِي لِجَعَلِ يَصْبِيحُ :  
يَا أَبَا أَيُّوبَ، نَخْشِيتُ أَنْ يَكُونَ قَدْ غَشِيَهُ شَيْءٌ، فَقُلْتُ : مَا تَسْأَلُ ؟ فَقَالَ :

• أَعْيَانِي الشَّادِنُ الرَّيْبُ •

قُلْتُ بِمَاذَا ؟ فَقَالَ :

• أَكْتُبُ أَشْكَو فَلَائِيحُ •

قُلْتُ : دَارِهِ وَدَوَاهِ، فَقَالَ :

مَنْ أَبْنَى شَفَاءَ قَلْبِي • وَإِنَّمَا دَائِي الطَّيِّبُ

قُلْتُ : لَا دَوَاءَ إِذَا إِلَّا أَنْ يَفْرَجَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عَنْكَ . فَقَالَ :

يَا رَبِّ فَرِّجْ إِذَا وَجَّعَ • فَإِنَّكَ السَّمْعُ الْحَيُّ

ثُمَّ أَنْصَرَفَ . وَقَدْ تَقَدَّمتْ هَذِهِ الْحِكَايَةُ . وَالسَّلَامُ .

ذَكَرْتُ شَيْءًا مِنْ نَوَادِرِ مَطْبُوعِ بْنِ إِيَّاسَ الْكُتَّانِيِّ وَأَخْبَارِهِ

قَالَ أَبُو الْفَرَجِ الْأَصْفَهَانِيُّ : هُوَ شَاعِرٌ مِنْ مَغْضَرِي الدُّوَلَتَيْنِ الْأُمَوِيَّةِ

وَالْعَبَّاسِيَّةِ . كَانَ ظَرْفًا خَلِيمًا مَاجِنًا حُلُوَ الْعَشْرَةِ مَلِيحَ النَّادِرَةِ قَالَ : وَكَانَ مَتَبِّحًا

فِي دِينِهِ بِالزُّنْدَقَةِ . وَكَانَ مَوْلَدُهُ وَمَنْشُؤُهُ بِالْكُوفَةِ، وَكَانَ مُنْقَطِعًا إِلَى الْوَلِيدِ بْنِ

عَبْدِ الْمَلِكِ، ثُمَّ اتَّصَلَ بِخِدْمَةِ الْوَلِيدِ بْنِ يَزِيدَ . وَكَانَ سَهْبَ ذَلِكَ مَا حَكَى عَنْ حَكَمِ

الْوَادِي الْمَغْنِيِّ، قَالَ : غَنِيَتِ الْوَلِيدُ بْنُ يَزِيدَ وَهُوَ غَلَامٌ حَدِيثُ السِّنِّ بِشِعْرِ مَطْبُوعِ بْنِ

أَيَّاسَ وَهُوَ :

أَكْلِيهَا الْوَأْنَ • وَوَجْهَهَا فَتَّانُ

وَحُلْمُهَا فَرِيدُ • لَيْسَ لَهُ جِرَانُ

إِذَا مَشَتْ تَتَلَّتْ • كَأَنَّهَا تَعْبَانُ

قَدْ جِدَلَتْ بِغَامَتِ • كَأَنَّهَا حِنَانُ

فطرب حتى زحف عن مجلسه الى ، واستمادنى الصوت حتى <sup>(١)</sup>صَحِلَ صوتي ؛  
ثم قال : ويحك ! من يقول هذا ؟ فقلت : عبدك يا أمير المؤمنين أرضاه لخدمتك .  
قال : ومن هو ؟ قلت : مطيع بن إياس . قال : وأين هو ؟ قلت : بالكوفة ؛ فأمر  
أن يُجَلَّأ إليه مع البريد ، فُجِّمَ إليه ؛ فسأله عن الشعر فقال : من يقول هذا ؟ فقال :  
عبدك أنا يا أمير المؤمنين . فقال له : أدن مني ، فدنا منه فضمَّه الوليد إليه وقبَّلَ فاه  
وبين عيديه ، وقبل مطيع رجليه والأرض بين يديه ؛ ثم أدناه حتى جلس في أقرب  
المجالس إليه ، وأصطحب معه أسبوط متوالى الأيام على هذا الصوت . وكان في خلال  
الدولة الأموية ينقطع الى أولياتها وهلماتها ، ثم أقطع في الدولة العباسية الى جعفر  
أبن أبي جعفر المنصور فكان معه حتى مات جعفر . ومات مطيع في خلافة الهادي  
بعد ثلاثة أشهر مضت منها . وله نوادر وأخبار مستظرفة هذا موضع ذكرها ،  
فلتقتصر هاهنا من أخبارها عليها دون غيرها .

فمن ذلك ما حكاه التوفلي قال : كان مطيع فيا بلغني ما بونا ، فدخل عليه قومه  
فلاموه على فعله وقالوا له : أنت في أدبك وسؤددك وشعرك وشرfk وتزعم بهذه  
الفاحشة القذرة ! فلو أقصرت عنها ! فقال : جربوه أتم ودعوه إن كنتم صادقين .  
فأنصرفوا عنه وقالوا : قبح الله فعلك وعذرك ، وتركوه .

قال : ووقف مطيع على أبي الميمر وهو رجل من أصحاب المعلل الخدام ،  
بجعل يعبث به ويمازحه ، وكان كثير العبث الى أن قال :

ألا أبلغ لديك أبا الميمر \* أراني الله في آستك نصف أيرى

فقال له أبو الميمر : يا أبا سلمى ، لو جُذِّت بالأبركة لأحدٍ لُجِّدت به لي لما بيننا  
من الصداقة ، ولكنك لحبك له لا تريده كله إلا لك . فأنغمه ، ولم يماود العبث به .

قال : سقط لمطيع حائط ، فقال له بعض أصحابه : أحمد الله على السلامة .  
قال : أحمد الله أنت إذ لم تترك هذه ، ولم يصبك غباره ، ولم تغرم أجرة بنائه .

ومن أخباره ما رواه أبو الفرج الأصفهاني بإسناده إلى عبد الملك المرواني عن  
مطيع بن إياس ، قال : قال لي حماد بن عمار يوما : هل لك أن أريك "خُشَّة" صديقي  
وهي المعروفة بظبية الوادي ؟ قلت نعم . قال : إنك إن فعلت عندها وخبت عينك<sup>(١)</sup>  
في النظر أفسدتها على . فقلت : لا والله لا أتكلم بكلمة تسوءك ولا أمرتك . فمضى بي  
وقال : والله لئن خالفت ما قلت لأخرجتك . قال : قلت : إن خالفت إلى ما تكره  
فاصبر بي ما أحببت . قال : أمض بنا فمضينا ، فأدخلني على أحسن خلق الله وأظرفهم  
وأحسنهم وجها . فلما رأيته أخذني الزم<sup>(٢)</sup> ، وفطن لي فقال : آسكت يابن الزانية ،  
فسكت قليلا ، فلحقتني ولحظتها لحظة أخرى ففضب ووضع قلنسوته عن رأسه ،  
وكانت صلته حمراء كأنها آسست فردا فلما وضعها وجدت للكلام موضعا ، فقلت :

وإن السوءة السوما \* يا حماد عن خُشَّة

عن الأثرجة الغض \* والتفاحة الهشة

فالتفت إلى وقال : فعلت يابن الزانية ! فقالت له : أحسن ، فوالله ما بلغ  
صفتك بعد ، فما تريد منه ! فقال لها : يا زانية ! فسجته وتجاوزا ، فشقت قميصه  
وبصقت في وجهه وقالت له : ما يُصادقك ويدع مثل هذا إلا زانية ، ونرجنا  
وقد لقي كلَّ بلاء ، وقال لي : ألم أقل لك يابن الزانية : إنك ستفسد على مجلسي !  
فأمسكت عن جوابه ، وجعل يهجوني ويسبني ويشكوني إلى أصحابنا ، فقالوا لي :  
أجه ودعنا وإياه ، فقلت :

(١) كذا في الأغاني (ج ١٢ ص ٨٢ طبع بولاق) وفي الأصول : « إنك إن بدت هنا

وحقت حينك في النظر... الخ » . (٢) الزم : الدهش .

ألا يا غلية الوادى \* وذات الجسد الرادى  
وزين المصير والدار \* وزين الحى والتادى  
وذات الميعم العنيد \* وذات الميعم البادى  
أما بالله تستحي \* بين من خلّة حماد  
فحماد فنى ليس \* بذى عن فتقادى  
ولا مال ولا طريف \* ولا حظ لمزاد  
فتسوى وأتقى الله \* وتبقى جبل عجراد  
فقد ميزت بالحسن \* عن الخلق بأفراد  
وهذا البين قد حُم \* بغودى لى بالزاد

- ١٠ قال : فآخذ أصحابنا رقما فكتبوا الأبيات فيها وألقوها في الطريق، ونجرت أنا فلم أدخل عليهم ذلك اليوم، فلما رأها وقرأها قال لهم : يا أولاد الزنا فعلها ابن الزانية وساعدتموه ؟ قال : وأخذها حكم الوادى ففنى بها، فلم يبق بالكوفة سقاء ولا طحان ولا مكار إلا غنى فيها ثم غبت مدة وقدمت فأتانى فاسلم على حتى قال لى :  
أما بالله تستحي \* بين من خلّة حماد  
١٥ قتلنى قتلك الله ! والله ما كلننى حتى الساعة . قال : قلت : اللهم أدم هجرها له وسوء رأيها فيه وأسقه عليها وأخوه بها ؛ فشتننى ساعة . قال مطيع : ثم قلت له : قم أمض بنا حتى أريك أختى — وكانت لمطيع صديقة يسميها أختى وتسميها أنى، وكانت مغنية — فلما خرجت إلينا، دعوت قيمة لما فأسررت إليها فى أن تصلىح لنا طعاما وشرابا، وعرفت أن الذى معى حماد فضحكت . ثم أخذت صاحبتي فى الغناء وقد علمت بموضعه وعرفت، فكان أول ما غنت :

أما بالله تستحي \* بين من خلّة حماد

(١) كذا فى الأظنى . وفى الأصول : «خلط» وهو محريف .

فقال لها : يا زانية ! وأقبل عليّ وقال : وأنت يا زاني يا بن الزانية ! أسررت هذا الى قيمتها ! فقلت : لا والله كذبت . وشامتته صاحبتى ساعة ثم قامت فدخلت ، وجعل يتغيظ عليّ . فقلت : أنت ترى أنى أمرتها أن تنفى بما غنت ؟ فقال : أرى ذلك وأظنه ظناً لا والله ولكنى أثيقته . فخلعت له بالطلاق علي بطلان ظنه وأنصرفنا .

- وحكى قال يحيى بن زياد المحاربي لمطيع وكان صديقاً له : أنطلق بنا الى فلانة صديقتى ، فإن بنى وبينها مفاضصة لتصلح بيننا وبئس المصلح والله أنت . قال : فدخلنا عليها ، فأقبلا يتعابان ومطيع ساكتٌ ، حتى اذا أكثر قال يحيى : ما يسكتك ؟<sup>(١)</sup>  
أسكت الله فأنتك ! قال مطيع :<sup>(٢)</sup>

أنت معتلة عليه وما زالا \* ل مهيناً لنفسه فى رضاك

- فأعجب يحيى وهش له . فقال مطيع :

فدعيه وواصل ابن إياس \* جعلت نفسه الغداة فداك

فقام يحيى اليه بوسادة فى البيت فما زال يحلد بها رأسه ويقول : ألهذا جئت بك يا بن الزانية ! ومطيع يفتوت حتى ملّ يحيى ، والحارية تضحك منهما ، ثم تركه .<sup>(٣)</sup>

وروى عن محمد بن الفضل السكونى قال : رفع صاحب الخبر الى المنصور أن

- مطيع بن إياس زنديق وأنه يلزم أبنة جعفر وجماعة من أهل بيته ، ويوشك أن يفسد أديانهم أو يؤتسبوا الى مذهبه . فقال له المهدى : أنا به عارف ، أما الزندقة فليس من أهلها ، ولكنه خبيث الدين فاسق مستحل للحارم ، قال : فأحضره وأنه عن مصيبة جعفر وسائر أهله ، فأحضره المهدى وقال له : يا خبيث يا فاسق ! لقد

(١) فى الأصول : « شخطا » ، والتصويب عن الأغانى .

(٢) التامة : الصوت . وأسكت الله تعالى ثأته أى أماته .

(٣) عزت الرجل : قال واخوته .

(٤) كذا فى الأغانى . وفى الأصول : « ونها » وهو لا يستقيم مع السياق .

- أفسدت أئى ومن تصعبه من أهل ، والله لقد بلغت أئهم يتقارعون عليك ، ولا يتم لهم سرور إلا بك ، وقد غررتهم وشهرتهم فى الناس ، ولولا أئى شهدت لك عند أمير المؤمنين بالبراءة بما نسبته إليه من الزندقة ، لقد كان أمر بضرب عنقك !
- ٧٨ ياربيع أضربه مائة سوط وأحبسه . قال : ولم يا سيدى ؟ قال : لائك سيكر نعيم
- قد أفسدت أهل كلهم بصحبتك . فقال له : إن أذنت لى وسمعت احتجاجت .
- فقال له : قل ، فقال : أنا أمرؤ شاعر ، وسوق إنما تنفق مع الملوك وقد كسدت عندكم ، وأنا فى أيامكم مطرّج<sup>(١)</sup> ، وقد رضىت منها مع سعتها للناس جميعا بالأكل على مائدة أخيك ، لا يتبع ذلك غيره ، وأصفيته على ذلك شكرى وشعرى ، فإن كان ذلك ظالما عندك تبئت منه . فاطرق المهدي ثم رفع رأسه فقال : قد رفع إلى صاحب الخبر أنك تتماجن على السؤال ، وتضحك منهم . قال : لا والله ما ذاك من فصل ولا شأنى ولا جرى منى قط إلا مرة واحدة ، فإن سألنا أئى أعترضنى وقد عبرت الجسر على بفتى ، فظننى من الجند فرفع عصاه فى وجهى ، ثم صاح : اللهم صفّر الخليفة لأن يعطى للجند أرواقهم فيشتروا من التجار الأمتعة وتربح التجار عليهم فتدثر أموالهم فتعجب فيها الزكاة عليهم فيتصدّقوا على منها . فنفرت بفتى من صياحيه ورفيئه عصاه فى وجهى حتى كدت أسقط فى الماء . فقلت : يا هذا ، ما رأيت أكثر فضولا منك ، سئل الله أن يرزقك ولا تجعل بينك وبينه هذه الحوالات والوسائط التى لا يحتاج إليها فإن هذه المسائل فضول . فضحك الناس منه ورفع على الخبر [أقول له هذا] . فضحك المهدي وقال : خلّوه ولا يضرب ولا يحبس . فقال له : أدخل عليك لموجدة وأخرج عن رضا وتبرا ساحتى وأنصرف بلا جائزة ا قال :
- ٢٠ (١) كذا فى الأغانى . وفى الأصول : « عل » .  
(٢) كذا فى الأغانى . وفى الأصول : « سلوح » بالواو وهو تصحيف .  
(٣) زيادة عن الأغانى (ج ١٢ ص ١١ طبع بولاق) .

لا يجوز هذا، اعطوه مائتي دينار، ولا يعلم أمير المؤمنين فتجند عنده ذنوبه، وقال له: أخرج عن بغداد ودع صحبة جعفر حتى ينسالك أمير المؤمنين، ثم عد إلى . فقال له: فأين أقصد؟ قال: أكتب إلى سليمان بن علي فيوليك عملا ويحسن اليك، قال: قد رضيت. فوفد إلى سليمان بكتاب المهدي فولاه الصدقة بالبصرة، وكان عليها داود بن أبي هند فعزله به .

- وقال السكوني عفا الله عنه: كان بالكوفة رجل يقال له أبو الإصبع، له قبان، وكان له ابن وضى الوجه حسن الصورة يقال له إصبع، لم يكن بالكوفة أحسن منه وجها. وكان يحيى بن زياد ومطيع بن إياس وحماد مجرد وضرابهم يالفونه ويعشقونه ويستظفرونه، وكلهم كان يعشق ابنه إصبع. حتى كان يوم نيروز، وعزم أبو الإصبع على أن يصطحب مع يحيى بن زياد، وكان يحيى قد أهدى له من الليل جدها ودجاجة وفاكهة وشرابا، فقال أبو الإصبع لجواريه: إن يحيى بن زياد يزورنا اليوم فأعِدْن له ما يصلح لثله. ووجه بغلمان له ثلاثين في حوائجه، وبعت ابنه إصبع إلى يحيى يدعوهم ويسأله التعجيل. فلما جاءه أستاذن له الغلام فقال له يحيى: قل له يدخل، فإذا دخل فتح أنت وأغلق الباب، ولا تدعه يخرج إلا بإذني، ففعل الغلام ودخل إصبع فأدّى رسالة أبيه. فلما فرغ راوده يحيى عن نفسه فأمتنع، فبادره يحيى وعاركه حتى صرعه، ثم رام حلّ تكنته فلم يقدر عليها فقطعها ثم فعل به. فلما فرغ أخرج من تحت مصلّاه أربعين ديناراً فأعطاه إياها فأخذها، وقال له يحيى: أمض لاني بالأثر، فخرج إصبع. ووافى مطيع يحيى فرأه يتبخّر ويتطبّب ويتربّن. فقال له مطيع: كيف أصبحت؟ فشمخ بأنفه ولم يجبه وقطب حاجبيه وتنفخ. فقال له: ويحك مالك! أنزل عليك الوحى، أم كنتك الملائكة، أم يبيع لك بالخلافه؟ وهو يوبى برأسه: لا لا! في كلّ كلامه. فقال له: كأنك والله فعلت



بإصبع ! فقال : إى والله ، الساعة فعلت به وأنا اليوم فى دعوة أبىه . فقال مطيع :  
 أمرأته طالق إن فارقتك حتى أقبل متاعك ، فأبداه له يحيى فقبله . ثم قال له : كيف  
 قدرت عليه ؟ لحدته يحيى بما جرى وقص عليه القصة . وقام يمضى الى منزل  
 أبى الإصبع ، فتبعه مطيع ، فقال : ما تصنع معى والرجل لم يدعك ، وإنما يريد الخلوة  
 معى ؟ فقال : أشيتك الى بابى وتحدث . فضى معه حتى دخل يحيى وأغلق الباب  
 فى وجه مطيع ، فصر ساعه ثم دق الباب وأستاذن ، فخرج اليه رسول قال له : يقول  
 لك : أنا اليوم على شغل ولم أتفرغ معه لك فأعذرنى . قال : فأبعت إلى بدواة  
 وقرطاس ففعل ، فكتب مطيع الى أبى إصبع :

١٨٨

يا أبا الإصبع لا زلت على \* كل حال ناعماً متعباً  
 لا تصيرنى فى الودكن \* قطع التكة قطعاً شتماً  
 وأنى ما ينتهى لم يلتسه \* خيفة أو حفظ حق ضيماً  
 لو ترى الإصبع ملق تحته \* مستكيناً نهجلاً قد خضماً  
 وله دفع عليه عجل \* شيق ، ساطك ما قد صتماً  
 فادع بالإصبع وأعلم حاله \* سترى أمراً قبيحاً شتماً

١٥ فلما قرأها أبو الإصبع قال ليحيى : فعلتها يا بن الزانية ! قال : لا والله ! فغضب  
 بيده الى تكة ابنه فأراها مقطوعة وأيقن يحيى بالقضيحة ، فلكأ الغلام . فقال يحيى :  
 قد كان الذى كان ، وسى اليك مطيع ابن الزانية ! وهذا والله أبى وهو أفره من  
 أبئك ، وأنا عربى ابن عربية وأنت نبطى ابن نبطية ، فافضل بابنى عشر مرات  
 مكان المرة الواحدة التى فعلت بابنك ، فتكون قد ربحت الدنانير وللواحدة عشر  
 مرات . فظبيك وضحك الجوارى وسكن غضب أبى الإصبع ، وقال لابنه :  
 ٢٠ هات الدنانير يا بن الفاعلة ، فرمى بها اليه وقام . وقال يحيى : والله لا يدخل مطيع

الساعي ابن الزانية . فقال أبو الإصبع وجواربه : والله ليدخلن فقد نصحننا وغششتنا ، فادخل فدخل وجلس يشرب معهم ويحيي يشتمه بكل لسان وهو يضحك .  
وأخبره في هذا الباب كثيرة أغضبنا عن كثير منها .

### ذكر شيء من نوادر أبي الشبل

- هو حاصم بن وهب بن البرأجم . مولده الكوفة . نشأ وتآدب بالبصرة . وفد إلى سامراء أيام المتوكل ومدحه . وكان طيباً كثير الغزل والنوادر والمجون . فنفق عند المتوكل وخدمه واختص به وأمدحه بقوله :

أقبل فأنلير مُقبِل • وأتركي قول المَعْلَل

وُلقي بالنتج إن • أبصرت وجه المتوكل

- ١٠ • مَلِكٌ يُنصف يا ظا • لمتي فينا ويعيد

فهو الغاية والمأ • مول يرحوه المؤمل

فأمر له بثلاثين ألف درهم . وله أخبار مستظرفة تتضمن شعراً ونوادر تدل على ظرفه منذ كرمها طرفاً . فمن ذلك ما حكى عنه : أنه مدح مالك بن طوق ، وقدر أن يعطيه ألف درهم . فبعث إليه بصرة مختومة فيها مائة دينار ، فظن أنها دراهم فردها إليه وكتب معها :

- ١٥ • فليت الذي جادت به كف مالك • ومالك مدسوسان في آست أم مالك

وكانت إلى يوم القيامة في آستها • فأيسر مفقود وأيسر هالك

وكان مالك يومئذ أميراً على الأهواز . فلما قرأ الرقعة أمر بإحضاره فأحضر وقال : ما هذا ؟ ظلمتنا وأعتديت علينا . فقال : قدّرت عندك ألف درهم فوصلتني بمائة

- ٢٠ • (١) سامراء : لغة في سرمن رأى ، وهي مدينة كانت بين بغداد وبغداد .

درهم . فقال : أنتحها ، ففتحها فإذا فيها مائة دينار ، فقال : ألقني أيها الأمير . فقال :  
قد أفلتت ولك كل ماتحب أبدا ما بقيت وقصدتني .

قال : وكان له جار طيب أحق ، فمات فوثاه فقال :

قد بكاه بول المريض بدمع \* واكف فوق مقتلته ذروف  
ثم شقت جيوهين التواريد \* رُعليه ونحن توح اللهيف  
يا كساد انليار شبر والأثم \* راص طرا ويا كساد السفوف  
كنت تمثني مع القوى فان جا \* ضعيف لم تكثر بالضعيف .  
لهف نفعي على صنوف رقاما \* يت تولت منه وعقل يحيف

وقال أبو الشبل : كان خالد بن يزيد بن هبيرة يشرب النبيذ ، وكان يشانا ،  
وكانت له جارية صفراء مغنية يقال لها لقب ، كانت تشانا معه ، وكنت أحب بها  
كثيرا ، فقام مولاها يوما الى الخابية يستقي نبيذا ، فاذا قبضه قد أنشق ، فقلت فيه :

(١٥)

قالت له لقب يوما وجاد لها \* بالشعر في باب فعلان ومفعول  
أما القميص فقد أزرى الزمان به \* فليت شعري ما حال السراويل

قال أبو الشبل : وكانت أم خالد هذا ضراطة تضطر على صوت العبدان وغيرها  
في الإيقاع . فقلت فيه :

في الحى من لاعدت خلته \* فنى إذا ما قطعته وصلا  
له عجوز بالحقيق أبصر من \* أبصرته ضاربا ومرعجا  
نادمته مرة وكنت فنى \* مازلت أهوى وأشتهى النزلا  
حتى إذا ما أمالها سكر \* يبعث في قلبها لها مثلا

- ٢٠ (١) كذا في الأغاني (ج ١٣ ص ٢٣ طبع بولاق) . وفي الأصول : « الجاية » وهو محريف .  
(٢) في الأغاني : « أردى » .  
(٣) المحقق : الضراط . (٤) كذا في الأغاني . وفي الأصل : « شمت » .

اتَّكَأَتْ يَسْرَةً وَقَدْ خَرَفَتْ <sup>(١)</sup> \* أَشْرَاجُهَا كَيْ تَقْشُومَ الرَّمْلَا

فَلَمْ تَزَلْ لِمَسْتَهَا تَطَارُحُنِي \* اِسْمَعْ إِلَى مَنْ يَسْمُونِي الْمِلَلَا

وقال محمد بن المرزبان : كنت أرى أبا الشبل كثيرا عند أبي ، وكان إذا حضر  
أخضك الشكلي بنواذره . فقال له أبي يوما : حثثا ببعض نوادرِكَ وطرائفِكَ .

- قال نعم . من طرائف أموري أنت أبني ذنبي بجارية مسندية لبعض جيرانني ،  
لخبت وولدت ، وكانت قيمة الجارية عشرين دينارا . فقال : يا أبت ، الصبي والله  
أبني ، فساومت فيه فقبل لي : خمسون دينارا . فقلت له : ويحك ! كنت تمنهني وهي  
حبل فأشترتها بعشرين دينارا وزبح الفضل بين الثنتين ! وأمست عن المساومة  
بالصبي حتى أشتريته من القوم بما أرادوا . ثم أحبلها ثانيا فولدت ابنا آخر ، بغاء  
يسألني أن أبتاه ، فقلت : عليك لعنة الله ، أي شيء حملك على أن تحبل هذه ،  
هلا عزلت عنها ! فقال : إني لا أستحل العزل . ثم أقبل على جماعة عندي فجعل  
يقول : شيخ كبير يأمرني بالعزل ويستحلّه . فقلت له : يابن الزانية ! تستحل الزنا  
وتخرج من العزل ! فضحكك منه . وقلنا له : وأي شيء أيضا ؟ قال : دخلت أنا  
ومحمود الوزاق إلى جاره اليهودي نتحار ، فقلت : أريد تحرا بنت عسرقه أنضجها  
المجبر . فأنرج لنا شيئا عجيبا ، فأبتعناه منه وشربنا . فقلت أشرب معنا ، فقال :  
لا أستحل شرب الخمر . فقال لي محمود : ويحك ! هل رأيت أعجب من هذا !  
يهودي يخرج من شرب الخمر ونشرها ونحن مسلمون ! فقلت : أجل ! والله  
لا نفلح أبدا ولا يعبا الله بنا . ثم شربنا حتى سكرنا وقتنا بالليل ففعلنا بأبنته وأمراته  
وأخته ، وسرقنا ثيابها ، ونزينا في تيفارات النيزد وأنصرفنا <sup>(٢)</sup> .
- قال : وكان أبو الشبل يسهب بقينة كانت لهشام الصحوى الضريقال لها

(١) خرفت : أمارت وصرفت . (٢) التيفارات : جمع تيفار وهو الخوض .

خنساء ، وكانت تقول الشعر . فعبث بها يوما فأفرط حتى أغضبها فقالت له :  
ليت شعري ! بأى شيء نذل ؟ أنا والله أشعر منك ، ولئن شئت لأهجونك حتى  
أفضحك ، فأقبل عليها وقال :

خنساء قد أفرطت علينا • وليس منها لنا مجير  
تاهت بأشعارها علينا • كأنما ناكها جرير  
قال : فنجلت حتى بان ذلك عليها وأمسكت عن جوابه .

### ذكر شيء من نوادر حمزة بن يئز الحنفي

كان شاعرا من شعراء الدولة الأموية ، وهو كوفي خليج ماجن . وكان منقطعا  
إلى المهلب بن أبي صفرة وولده ، ثم إلى أبيات بن الوليد وبلال بن أبي بردة ،  
وأكتسب بالشعر من هؤلاء مالا عظيما . يقال : إنه أخذ بالشعر من مال وشاء  
ورقيق ومُحَلَّلان وغير ذلك ألف ألف درهم . وله نوادر ، منها ما حكاه أبو الفرج  
الأصمغاني عنه :

أنه كان يسامر عبد الملك بن بشر بن مروان ، وكان عبد الملك يعيب به عيبا  
شديدا . فوجه إليه ليلة برسول وقال : خذه على أي حالة وجدته ، وأحلقه وغلظ عليه  
الأيمن على ذلك . فعصى الرسول فهجم عليه فوجده يريد أن يدخل الخلاء ، فقال له :  
أجب الأمير . فقال : ويحك ! إني أكلت طعاما كثيرا وشربت نبيذا حلوا وأخذني  
بطني . فقال : والله ما تفارقني أو أمضي بك إليه ولو سلحت في ثيابك . فلهجد  
في الخلاص فلم يقدر عليه . ومضى به ، فوجده قاعدا في طارئة له وجارية جميلة<sup>(١)</sup>

(١) الطارئة : بيت من خشب كالقبة .

- جالسة بين يديه، وكان يحفظها، تسجّر الندّ<sup>(١)</sup>. فجلس حمزة يجادته وهو يعالج ما هو فيه. قال حمزة: فعرضت لى ربح فقلت: أسرحها وأستريح لعل ربحها لا يظهر مع هذا الندّ، فأطلقها، فغلبت والله ربح البخور وخمرته. فقال: ما هذا يا حمزة؟ فقلت: على عهد الله وميثاقه وعلى المشى والهدى إن كنت فعلتها! وما هذا إلا عمل هذه الجارية الفاجرة. فغضب، وتجلت الجارية لما قدرت على الكلام. ثم جاءت حتى أسرى فسرحتها، فسقط والله ربحها. فقال: ما هذا؟ ويلك! أنت والله الآفة. فقلت: أصرأتى طالق ثلاثاً إن كنت فعلتها. فقال: وهذه اليمين لازمة إن كنت فعلتها، وما هو إلا عمل هذه الجارية، وقال لها: ما قصبتك؟ ويلك! قومي إلى الخلاء إن كنت تجهدين شيئاً. فزاد تجملها، وطمعت فيها فسرحت الثالثة فسقط من ربحها ما لم يكن في الحساب. فغضب عبد الملك حتى كاد يخرج من بيته، ثم قال: يا حمزة، خذ بيد الزانية فقد وهبتها لك وأمض، فقد نقصت على ليلتى. فأخذت بيدها ونرجت. فلقينى خادم له فقال: ما تريد أن تصنع؟ فقلت له: أمض بهذه الجارية. فقال: لا تفعل، فوالله لئن فعلت ليغيظنك بغضاً لا تنفع به بعده أبداً، وهذه مائتا دينار خذها ودع هذه الجارية فإنه يحفظها، وسيندم على هبته إياها لك. فأيدت
- إلا بغضاً مائة دينار. فقال: ليس غير ما ذكرت لك. فأخذتها وتركت الجارية. فلما كان بعد ثلاث دعانى عبد الملك. فلما قربت من داره لقينى الخادم وقال لى: هل لك فى مائة أخرى وتقول ما لا يضرك ولعله ينفعك؟ قلت: وما ذاك؟ قال: إذا دخلت قاذج القسّوات الثلاث وأنسبها إلى نفسك وأنضح عن الجارية ما قرقتها به. فأخذتها ودخلت على عبد الملك. فلما وقفت بين يديه قلت له: الأمان حتى

(١) تسجّر: محرق. (٢) كذا فى الأمانى. وفى الأصل: «وماذا». ٢٠  
(٣) انضح: أى أدفع منها.

أخبرك بخبر يسرك ويضحكك . قال : لك الأمان . فقلت : أرايت ليلة كذا وكذا  
وما جرى ؟ قال نعم . قلت : فعلت وعلى إن كان فسا تلك القسوات غيرى .  
فضحك حتى سقط على قفاه وقال : ويك ! فلم لم تخبرنى ؟ قال فقلت : أردت  
بذلك خصالاً ، منها أنى تمثت ففضيت حاجتى وقد كان رسولك متعنى من ذلك .  
ومنها أنى أخذت جاريتك . ومنها أنى كافأتك على أذاك لى بمثله . قال :  
وأين الجارية ؟ قلت : ما برحت من دارك ولا نرجت حتى سلمتها الى فلان  
الخدام وأخذت مائتى دينار . فمر بذلك وأمر لى بمائتى دينار أخرى ، وقال :  
هذه لجميل فعلك فى وترتك أخذ الجارية . قال حمزة : ودخلت إليه يوماً وكان  
له غلام لم ير الناس أثنى إبطاً منه . فقال لى : يا حمزة ، سابق غلامى هذا حتى  
يفوج صنانكا ، فأبكا كان صناناه أثنى فله مائة دينار . فطعمت فى المائة ويئت  
منها لما أحسنه من ثمن إبط الغلام ، فقلت : أفعل . وتعادينا ساعة فسبقتى ،  
فسلحت فى يدى ثم طليت إبطى بالسلاح ، وقد كان عبد الملك جعل يبلنا حكا ، فلما  
دنا الغلام منه وشبه وشب وقال : هذا والله لا يشاكه شىء . فصاحت به : لا تعجل  
على بالحكم ، مكانك ! ثم دنوت منه فألقيت أنفه إبطى حتى صابت أنه قد خالط  
دماقه وأنا ممسك رأسه تحت يدى ، فصاح : الموت والله ! هذا بالكُفِ أثنبه  
منه بالإبط . فضحك عبد الملك ثم قال : أضحكت له ؟ قال نعم ، فأخذت الدنانير .  
قال : ودخلت يوماً على سليمان بن عبد الملك . فلما مثلت بين يديه قلت :  
رأيتك فى المنام شئت تحرراً \* على بتقسماً وقضيت دينى  
فصدق يافدتك النفس رؤيا \* رأتها فى المنام لديك عني

قال سليمان : يا غلام ، أدخلك خزانة الكنوة وأشتى عليه كل ثوب خز بنفسجي ،  
نفرجت كافي مشجب<sup>(١)</sup> . ثم قال : كم دينك ؟ قلت : عشرة آلاف ، فأمر لي بها  
وما أعلم والله أنني رأيت من ذلك شيئاً .

### ذكر شيء من نوادر أبي العيناء عفا الله عنه

- هو محمد بن القاسم بن خلاد بن ياسر بن سليمان ، من بني حنيفة أهل الإمامة .  
وأسير ياسر في سبأ في خلافة المنصور . فلما صار في يد المنصور أعظمه ، فهم موالي  
بني هاشم . وكان أبو العيناء ضريير البصر ، يقال : إن جدّه الأكبر لقي علي بن  
أبي طالب رضي الله عنه فأساء مخاطبته فدعا عليه وعلى ولده بالعمى ، فكل من عمي  
منهم فهو صحيح النسب . وهو ممن أشتهر بالمجون ، وله نوادر وحكايات مستطرفة ،  
ومراسلات عجبية ، سأورد منها طرفاً ، وأسطر طرفاً . فمن ذلك : أن بعض الرؤساء  
قال له : يا أبا العيناء ، لو مئت لرقص الناس طرباً وسروراً . فقال بديهة :

أردت مئمتي فأجبت مئتي \* بحمد الله ذلك لا بمئتيك  
فلا تمك وانكسأ أبداً بعلمي \* فقد يأتي القضاء بغير عميك

- ثم قال : أجل ! الناس قد ذهبوا ، فلوراني الموتى لطربوا لدخول مثل سليم ،  
وحلول عظمى لسيم ، ووصول فضلى اليهم ؛ فما زال الموتى يشطونكم ويرمونكم بكم .  
وقال : وأتصلت أشغال أبي الصقر الوزير ، فأنخر توقيعه من أبي العيناء  
برسومه . فكتب إليه : رقتي ، أطال الله بقاء الوزير ، رقعة من علم شفاك  
فأطرح عدلك ؛ وحقق أمرك فهبط عدرك . أما والليل إذا صمسم ، فالبنان  
لبنان الدنان ، وملاسمات الحسان ، وأما والصبيح إذا تنفس ، فالبنان للبنان ،

(١) المشجب : غشبات تصب لتوضع عليها الثياب .



(١)

ومؤامرات السلطان؛ فَنَ أبو العيناء القرنان ! . فوقع أبو الصِّفر تحت سطوره : لكل طعام مكان ، ولكل مُعَوِّز إِمكان ؛ وقد وقعتا لك بالرسوم ، وجعلنا لك حَقًّا من المقسوم ؛ وكَفَّينا أنفسنا حُدْرَكَ الذي هو تمزير ، ولسانك الذي هو تمحذير . والسلام .

ثم لقيه أبو العيناء في صدر موكيه فقال : طاعةُ شَيْمَكِ لسلطان كَرَمِكَ ، أَرَمْتُكَ الصبر على ذنوبي إليك ، وَيَجْنِي خُلُقِي طَيْبِكَ . فقال أبو الصبر : كبير حسناتك ، يستغرق يسير سبائتك . فدعا له وأنصرف شاكرًا . قال : وبسط أبو العيناء لسانه حل أهله في بعض الدواوين . فقال له فتي من أبناء الكتَّاب كانت فيه جرأة : كلَّ الناس لك يا أبا العيناء زوجة ، وأنت زوجة أبي عليّ البصير . فقال له أبو العيناء : قد ملكنا عصمتك بيقين خَوَّاك ، ثم نظرت في شكوك دعواك ، وقد طلقت الناس كلهم سواك ؛ ذلك أدنى أَلَّا نَعُول ، وفيسك ما يروى الفحول ، ويتجاوز السؤل . قال : ففضحه بهذا الكلام ، فلم يُجِبْهُ . قال : وكان في بنى الجراح فتي خلیع ماجن فأراد العبث بأبي العيناء ؛ فنهاه نصحاءه فأبى ؛ فقالوا : شاك . فقال له : يا أبا العيناء ، متى أسلمت ؟ فقال : حين آمن أهلُك وأبوك الذين لم يؤدِّبوك . فقال له الفتي : إنَّما قد علمتُ أنَّك ما أسلمت . فقال أبو العيناء : شهادتُك لأهلك ١٥ دعوى ، وشهادتي عليهم بلوى ، وسترى أئى السلطانين أقوى ، وأئى الشيطانين أغوى ؛ وسيلم أهلُك ، ما جنى عليهم جهلُك . قال : فأنابه أبوه فتبرأ من ذنْبته ، ودفعه إليه برَّته . فقال له أبو العيناء : قد وهبتُ جورَه لَمَدْلِكَ ، وتصدَّقتُ بِمُتَمِّعِهِ على عقلك .

ومن أخبار أبي العيناء أيضا : أنَّ محمد بن عبید الله بن خاقان حمله على بردون ٢٠

- زعم أنه غير فاره، فكتب إلى أبيه : أعلم الوزير أمره الله تعالى أنك أبا علي محمد أراد أن يبرئ فقني، وأن يركبني فأرجلني ! أمر لي بدابة تحف للثيرة، وتعثر بالبعرة، كالقضيبي اليابس تحفا، وكالعاشق المحمود دقا، يساعد أعلاه لأسفله، حياقه مقرون بسعالة، فلو أمسك لترجيت، أو أفرد لتمزيت، ولكنه يجمعهما في الطريق المعمور، والمجلس المشهور، كأنه خطيب مرشد، أو شاعر مئشد، تضحك من فعله
- اللسان، ويتناهى من فعله الصبيان، فمن صائح يصيح : داوه بالطباشير، ومن قائل يقول : تق له من الشعر. قد حفظ الأشعار، وروى الأخبار، ولحق العلماء في الأمصار، فلو أعين بنطق، (روى بحق وصدق، عن جابر الجعفي، وعاصم الشامي). وإنما أثبت من كتابه الأعمور، الذي إذا اختار لنفسه أطاب وأكثر، وإذا اختار لغيره أخبت وأضر. فإن رأى الوزير أن يُبدلني ويرمى بمركوب يضعحكني كما يضعك مني، يحو بحسنه وفرحته، ما سطره العيب بقبحه ودمايته.
- ولست أرد كرامة، سرجه ولحامة، لأن الوزير أكرم من أن يسلب ما يهديه، أو ينقض ما يمضيه. فوجه إليه عبيد الله برذونا من براذنه بسرجه ولحامة. ثم اجتمع محمد بن عبيد الله عند أبيه. فقال عبيد الله لأبي العيناء : شكوت دابة محمد، وقد أخبرني إنه ليشتريه منك الآن بمائة دينار، وما هذا ثمنه فلا يشتكي. فقال : أمر الله الوزير لو لم أكذب مستريدا، لم أنصرف مستفيدا. وإني وإياه لكما قالت امرأة العزيز: (الآن حصحص الحق أنا وأودته عن نفسه وإنه لمن الصادقين). فضحك عبيد الله وقال : جنتك الداحضة، بلاحتك وظرفك أبلغ من حجة فرك البالغة. ودخل أبو العيناء على أبي الصقر وكان قد تأثر عنه، فقال : ما أتراك هنا؟ قال: سرق حماري.
- قال: وكيف سرق؟ قال: لم أكن مع اللص فأخبرك. قال: فلم تأت على غيره؟

قال : أبعدنى عن الشراء قلّة يسارى ، وكريهت ذلّة المكارى ، ومنة الموارى . قال :  
وصار يوما الى باب صاعد بن محمد ، فقيل له : هو مشغول يصلى ، فقال : لكلّ جديد  
لذة . وكان صاعد نصرانياً قبل الوزارة . وقال له صاعد يوما : ما الذى أتركه هنا ؟  
قال : بقى . قال : وكيف ؟ قالت لى : يا أبت ، قد كنت تغدو من عندنا فتأتى  
بالخلعة السرية ، والجايزة السنية ، ثم أنت الآن تغدو مُسَدِّفاً ، وترجع مُعْتِفاً ، فإلى من ؟  
قلت : إلى أبى العلاء ذى الدرايتين . قالت : أمطيك ؟ قلت : لا . قالت : أفيسقمك ؟  
قلت : لا . قالت : أرفع مجلسك ؟ قلت : لا . قالت : يا أبت لم تعبدُ ما لا يسمع  
ولا يُبصر ولا يفنى عنك شيئاً ! .

ولأبى العيناء مع المتوكل أخبار وحكايات ، فمنها أن المتوكل على الله قال  
له يوماً : يا أبا العيناء ، هل رأيت طالبياً حسن الوجه قط ؟ قال : يا أمير المؤمنين ،  
أرأيت أحداً يسأل ضريراً عن هذا ؟ قال : لم تكن ضريراً فيما تقدم ، وإنما سألتك  
عما سلف . قال : نعم ، رأيت منهم ببغداد منذ ثلاثين سنة قفى مارأيت أجمل منه !  
قال المتوكل : تجده كان مؤاجراً ويحك قواداً عليه . فقال أبو العيناء : أو فرضتُ  
لهذا يا أمير المؤمنين ! أترأى أدع موالى على كثرتهم وأقود على الغرياء ! قال :  
أسكت يا مابون . قال : مولى القوم منهم . فقال المتوكل : أردت أن أشتى به منهم  
فاشتى لهم منى . وقال له رجل من بنى هاشم : بلغنى أنك بقاء . قال : ولم أنكرت ذلك  
مع قول رسول الله صلى الله عليه وسلم : " مولى القوم منهم " ؟ قال : إنك دعى فينا .  
قال : بنائى صحح نسبي فيكم . وسأل أبو العيناء بالاحظ كتابا الى محمد بن عبد الملك  
فى شفاعته لصاحب له ، فكتب الكتاب وناول الرجل ، فعاد به الى أبى العيناء وقال :  
قد أسعف . قال : فهل قرأته ؟ قال : لا ، لأنه مخنوم . قال : ويحك ! فقبضه لا يكون  
صحيفة المتأسس . فقبضه فاذا فيه : مؤصل كتابى سألنى فيه أبو العيناء ، وقد عرفت

- سفهه وبذاه لسانه، وما أراه لمعروفك أهلاً . فإن أحسنت إليه فلا تحسبه على يدا، وإن لم تحسن إليه لم أعدّه عليك ذنباً، والسلام . فركب أبو العيناء إلى الجاحظ وقال له : قد قرأت الكتاب يا أبا عثمان . فنجّل الجاحظ وقال : يا أبا العيناء، هذه علامتي فيمن أعنى به . قال : فإذا بلغك أنّ صاحبي قد شتمك فأعلم أنها علامته فيمن شكر معروفه . وقال أبو العيناء : مررت يوماً بدرب بسامراء؛ فقال لي غلامى : يا مولاي، في الدرب حمل صمين والدرب خال . فأمرته أن يأخذه وغطيته بطيأساني وصرت به إلى منزلي . فلما كان من الغد جاءني رُقعة من بعض رؤساء ذلك الدرب مكتوب فيها : جُعلت فداك، ضاع لنا بالأمس حمل، فأخبرني صهيان دَرَبنا أنك أنت سَرَقته، فأمر برده متفضلاً . قال أبو العيناء : فكتبت إليه : أى سيحان الله ! ما أعجبَ هذا الأمر ! مشايخ دَرَبنا يزعمون أنك بقاء وأكذبهم ولا أصدقهم ، ١٠ وتصدق أنت صهيان دربكم أنى سرقت الحمل ! . قال فسكت وما طاودني . ولأبى العيناء أخبار كثيرة وحكايات مشهورة قد أوردنا منها ما يدخل في هذا الباب وتركنا ما سواه .

### ذكر ما ورد في كراهة المزاح

- ١٥ روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : «مَنْ مَزَحَ اسْتَخِفَّ بِهِ» . وقال حكيم : خير المزاح لا يُنال ، وشره لا يُقال ؛ سكرات الموت به مُحْدَقَة ، وعيون الأجل إليه مُحْدَقَة . وقال آخر : تجنب شؤم المزاح ونكد المزاح ؛ فإنهما بابان إذا نُتِحَا لم يُتَلَقَا إلا بسد حسر ، وغلان إذا لَقِيا لم يشجَا غير حُزْر . وقالوا : المزاح يضع قدر الشريف، ويذهب هيبة الجليل . وقالوا : لا تقبل ما يسوءك طاحله، ويضرّك آجله . وقالوا : إياك وما يُستَقْبَح من الكلام ، فإنه يُنْفَرُ هنك ٢٠ الكرام، ويُحَسَّرُ عليك اللئام . وقال عمر بن عبد العزيز : اتَّقُوا المزاح ، فإنها حَقِيقَة

تورث ضغينة . وقال حكيم لأبنته : يا بتي ، إياك والمزاح ، فإنه يذهب بيهاء الوجه ويحط من المرومة . قال شاعر :

❦

إكزة لنفسك ما لفيرك تكزة \* وأقل لنفسك فعل من يستزه  
وأرفع بصمتك عنك سيأت الوري \* خوف الجواب فإنه بك أشبه  
ودع الفكاهة بالمزاح فإنها \* تُودي وتُسقط من بها يتفكه  
وقيل :

الآرب قول قد جرى من مازج \* فساق إليه الموت في طرف الجبل  
فأنت مزاح المرء في خير حينه \* دليل على فرط الحماقة والجهل  
وقيل :

فإياك إياك المزاح فإنه \* يجري عليك الطفل والرجل الندلا  
ويذهب ماء الوجه بعد بهائه \* ويورث بعد العز صاحبه ذلا

وقال بعض البلغاء : المزاح تعرف ، والاقتصاد فيه عَرف ، والإفراط فيه ندامة . وقالوا : من كثر مزحه لم يسلم من استخفاف به أو حقد عليه . ويقال : أكثر أسباب القطيعة المزاح . وإن كان لا غنى للنفس عنه للجَمان<sup>(١)</sup> ، فليكن بمقدار الملح في الطعام . قال أبو الفتح البستي رحمه الله :

أفد طبعك المكود بالهم راحة \* تراخ وعقله بشيء من المزج  
ولكن إذا أعطيته المزج فليكن \* بمقدار ما يُعطى الطعام من الملح  
وقيل :

إحزح بمقدار الطلاقة واجتنب \* مزحا تضاف به الى سوء الأدب  
لا تُنضبن أحا إذا مازحته \* إن المزاح على مقدمة التقصّب  
وقيل :

مازح صديقك ما أحب مزاها \* وتوق منه في المزاح زحاحا

(١) الجمان (بالفتح) : الراحة .

فلربما مزَّح الصديقُ بمزحة \* كانت لبدء صداوةٍ مفتاحا  
وقال سعيد بن العاص لولده: يا بني، اقتصد في مزحك، فإن الإفراط فيه يذهب  
البهاء، ويُحرِّق السفهاء. ويقال: المزاح أوله فرح، وآخره ترح. قال أبو العاتية:  
وترى الفتى يلقي أخاه ويخذله \* في بعض منطيقه بما لا يُغفرُ  
ويقول كنتُ ملاحاً وملاحاً \* هيات! نارك في الحشا تتسعرُ  
ألقيتها وطفقتَ تضحك لاهياً \* وفؤاده مما به ينفطرُ  
أوما علمت ومثلُ جهلك غالبٌ \* أن المزاح هو السببُ الأكبرُ  
فهذه نبذة مما قيل في الفكاهات والمجون، يفرح لها قلب المحزون، وتزول عنه  
الشجون. فلنذكر ما قيل مما يناسب هذا الباب من أشعار المزاحين.

- ١٠ ذكر شيء من الشعر المناسب لهذا الباب والداخل فيه  
وسنورد في هذا الفصل من أشعار هذا الفن، ما رُفقت معانيه في حُلل أنفاسها  
على صفحات أطراسها، وأهلت مغانيه بما أودعه لسانُ القلم صدرَ قرطاسها من  
بديع إيناسها. يُضحك سامعه وإن كان كِلًا. ويستوفيه وإن كان عَجَلًا. هذا مع  
ما فيه من كُحش القول الذي إذا تأملته في موضعه كان أزين من عقود اللآلئ،  
وإن لمحتَه في غيره كان أفقر من ظلم الليالي. نسأل الله المساعدة لكتابه وقائله،  
ومستمعه وناقله. فمن ذلك ما كتب به ابن حجاج لمن شرب دواء:

يا أبا أحمد بنفسي أفديك \* وأهلي من سائر الأمواءِ  
كيف كان أنحطاً طَجَّسك في طاء <sup>(١)</sup> \* عِ شرب الدواء يوم الدواءِ  
كيف أُمى سِبَّالٌ مَبْعُوكُ الند <sup>(٢)</sup> \* ل خريقاً في المترة الصفراءِ

وقال الحسن بن هانيء يصف نفسه بمعرفة صناعة الدب :

إذا همج النيامُ نغفلُ عني \* وعمن كان يصلح للدبيب  
فإني عالمٌ قطرُ أريب \* ولم يُحرك مثلُ قتي أريب  
ألدُّ النيك تأخذه سراراً \* بمنع الحب أو منيع الرقيب  
أبليتُ بشادنٍ أحوى ربيب \* بعيد في مودته قريب  
كان تمطف الأعطاف منه \* قضيب مأل في أملى كليب  
خلفتُ بمقد الزار منه \* وما أرتابت ظنون المستريب  
جفئتُ بخفية في الردف أبري \* على ما شئت من لين وطيب  
فلما أشتد للشيق اضطرابي \* ودفع من دلالة قضبي  
تلبت حين أمطره تهابي \* وأنكر حالي ورأى وثوبي  
وقام ينهني ويمشط قدرى \* فقلت له ترفق يا حبيبي

وقال :

يا حبذا ليلة نيمتُ بها \* أشرب فضل الحبيب في القدح  
سأله قبلة بغداد بها \* فلم أصدق بها من الفرج  
ثم ترقيت فوق منبره \* بأنعم الأنف يرب الجليح

وقال :

ومنتبه من نومه بعد تجمعة \* وقد دبَّ رب البيت شوقاً إلى الساق  
فادخل فيه مثل أسود سائل \* أصم من الحيات ليس له راق  
أشقى لرتق الإبت من حد شفرة \* وأنفذ في الخصى من رُج مزراق

(١) الجليح : المحسار الشعر من جانبي الرأس .

(٢) الرج : الحديدة في أسفل الرع .

فقلت له لما تَوَزَّكَ فَوَقَّه \* وأطرق عند الرَّمزِ آيَةً إطراق  
نشدتك ألا تُفَيِّنُ مُقَصِّراً \* ولا مشفقاً لي غير موضع إشفاق  
وقال :

لَلْعَلْمَةِ يَلْطَمُنِي أَمْرَدٌ \* تأخذ مني العين والقصفا  
أطيب من تُفَاحِيهِ مِنْ يَدَي \* ذى لِحْيَةٍ مُحْشَوَةٍ مَسْكَا  
وقال أيضا :

أَرَفُضْ أَخُوهُ مِنْ نَسَكٍ \* وأزِمَ حَبِيَّةً مِنْ قَتَك  
وأضرب بأبرك خصمه \* وبه عِجْمٌ فِي السَّكَك  
وإذا لقيت مُهْفَهَقًا \* فَأَسْأَلُكَ بِهِ أَتَى سَلَك  
وأهْبُبْ عَلَيْهِ مِنْعًا \* وَأَبْرُكْ عَلَيْهِ إِنْ بَرَك  
وأصْهَلْ عَلَيْهِ مُجِيحًا \* فَعَلَّ الْعِنَاقَ عَلَى الرَّمَك<sup>(١)</sup>  
وَأَسْقِ الْمَلَّاحَ بِكَاسِهِ \* وَأَنْصِبْ لِشَارِدِهِمْ شَرْك  
واشقق سراويلهم \* لا تَنْتَظِرْ حُلَّ التُّكَّك  
وقال أيضا :

وَمُشْتَرِكٍ فِيهِ إِذَا الْوَهْمُ نَالَهُ \* نَحْنُثُ أَنْثَى وَأَحْدَالُ فُلَام  
تَمْطِيئُهُ وَاللَّيْلُ مُرِيخٌ سُدُولُهُ \* وَأَكْتَفَاهُ مَحْفُوفَةٌ بِظِلَام  
وخالسته كَأَسِينِ رِيْقَاوَقْهَوَّةٍ \* مَعْتَقَةٌ تُحْبِتُ<sup>(٢)</sup> بِمَاءِ غَمَام  
وقال أيضا :

يَا أَبَا الْقَاسِمِ قَلْبِي \* بِكَ صَبَّ مَسْتَهَام  
بِأَبِي مَرْبُوكِ الصَّعْبِ الَّذِي لَيْسَ يَرَام  
٢٠

(١) الرمك : جمع رمكة وهي الفرس أو البرذنة تتخذ للنسل . (٢) حجت : مزجت .



سَرَّجُهُ كَالَّذِي لَوْثًا \* نَاعِمُ الْقَسْرِ رُكَامُ  
وبدادات<sup>(١)</sup> يميلا \* نَ إِذَا أَشْتَدَّ الْحِزَامُ  
طَبِيتُ، وَالْعَفَّةُ عَنْ هَدْ \* يَبِيلُ خَدَيْكَ حَرَامُ<sup>(٢)</sup>  
أَبْدَا تَمَشَّقُ فِي هَا \* تَلِكُ مِنْ جَسِيٍّ لَامُ

وقال أيضا :

يَا فِتْنَةً سَبَقَتْ إِلَى قِيَّةٍ \* لِقَتْلِ عَرَابِ مَسَاكِينِ  
إِذَا رَأَوْهُ صَهَلُوا نَحْوَهُ \* يَحْكُونُ أَصْوَاتَ الْبَرَاذِينِ  
كَأَنَّهُ لَفْظِيهِ إِذَا أَحْضَمْتَنَا \* وَالْأَيْرُفِيهَا عَقْدُ عَشْرِينَ

وقال أيضا :

وَعَزَّالٍ حَاطَبُهُ الرَّاحَ حَتَّى \* قَتَرْتُ مِنْهُ مُقْلَةً وَلِسَانًا  
قَالَ لَا تُسْكِرْنِي بِحِيَاتِي \* قُلْتُ لَا بَدَأُ أَنْ تُرَى سَكَرَانَا  
إِنَّ لِي حَاجَةً إِلَيْكَ إِذَا نِمَ \* مَتَّ وَإِنْ شِئْتَ فَأَقْضِيهَا يَغْطَانَا  
فَتَلَكَّا تَلَكُّوْا فِي أَنْفَخَاتٍ \* ثُمَّ أَصْنَى لِمَا أَرَدْتُ فَكَانَا

وقال أيضا :

قَالُوا أَغْتَسِلَ وَجَبَ الطُّهْرِ وَالْكُفُوسِ تَدَوُّرُ  
فَقُلْتُ سَوْفَ فَقَالُوا \* تَرَكْتُ الصَّلَاةَ كَبِيرُ  
فَقُلْتُ أَكْبَرُ مِنْهُ \* ظَلَمْتُ يَنَّاكَ غَرِيرُ  
إِنْ قُلْتُ لَمْ يَنْتَظِرُنِي \* وَغَابَ عَنِّي السَّرُورُ  
وَمَا لَمْثَلِ صَلَاةٍ \* لِأَنْتَ فِسْقِي شَهِيرُ

(١) البدادان : متى بداد، وهو ذلك المشغول تحت السرج والقباء أروها انخرجان .

(٢) كذا في مجون أبي نواس (طبع مصر سنة ١٣١٦) وفي الأصول :

طَبِيتُ بِالْفَقَةِ عَنْ تَقْيِيلِ خَدَيْكَ لَرَامُ

وقد وردت هذه الأبيات في مجونه بزادات ما عتلاف كثير عما هنا .

فأقصروا عن ملاهى \* فإنسى معذور  
إن الجناية ممن \* جئت منه ظهور

قال ابن سكرة الهائمي شاعر اليتيمة :

قد قلت لما مررتي معرضاً \* كالبدر تحت الفسق الداجي  
يهتر في مشيته متعباً \* من كفل كاللوح رجاج  
ويسل على حل سراويله \* فانه شد على طاج

وقال ابن الرومي :

يا طيب الثغر والمُحاجة \* إفيض لنا حاجة بمحاجة  
خذ من دنائيرنا وبعنا \* نيكاً ودعنا من اللجاجة  
عرج علينا نصيب فداء \* ونعمل العود والزجاجة  
يا حسن الوجه لا تسمع \* فيفسد الحسن بالمحاجة

وقال ابن سكرة :

أيا من كله قر \* وكل لحاظه حور  
لقد طالت عدائك لي \* وأيامي بها قصر  
متى في البرج تحصل كي \* تزيّف ويهدر الذكر  
وتلشأ بيننا قبل \* يلير لناها شر

وقال أيضا :

أحببتُ بداراً ماله مشية \* في الحسن إلا أنه جاني  
أحور في مقلته حجة \* للعين والشين مع الغاف  
وفي أرتجاج الردف داج إلى \* نون وياه قبل ما كاف  
سألته الوصل فلم يجنّهم \* وقال قدّم قدسك الوافي

(١) كذا في اليتيمة وفي الأصل «بديها كاف» وهو محرف .

وقال أيضا :

أيها التركي ما عندك \* لك للصَّبِّ التحيل  
هل الى ما يستر القُر \* طلق عني من سبيل<sup>(١)</sup>  
أشتمى ذاك وأخشى \* صولة الليث الثقيل

وقال أيضا :

إني بُليتُ بشايدٍ غنج \* حسن الشمال وافر الكفل  
يبنى الدرام وهي مُعوذة \* عندى لحيل غير متصل  
مُسْتَحْجَمُ الألفاظ أجهل ما \* يُبْدَى ويجهل فهمه غزَل

وقال أيضا :

باليلة ليس فيها \* الى الفقاح سبيل<sup>(٢)</sup>  
طالت على ذى احتياج \* له كُدَّ طويل<sup>(٣)</sup>  
مسكجٌ تتوالى \* دموعه وتسيل  
رُقاده في الدياحى \* حتى يبك قليل  
مُؤْتَرٍّ مستقيم \* عليه رأسٌ ثقيل  
أزَلُّهُ خائفٌ سوء \* يطيب عنه الرحيل

وقال ابن سكرة أيضا في أصرح :

قالوا بُليتُ بأصرح فاجبتهم \* الصبُّ يحث في غصون البان  
ماذا على إذا أكتنختُ شمائلًا \* ورَوايدًا تُنفى عن الكُثبان  
إني أُحِبُّ جلوسه وأُریده \* للنيك لا للجرى في الميدان

(٢) الفقاح : جمع قنعة وهي حلقة الدبر .

(١) الترقى : قباء فرطاق واحد .

(٣) القنعة : الذكر الشديد الإنعاط .

في كلِّ عضوٍ منه حُسنٌ كاملٌ • ما ضُرِّفَ إن زَلَّتِ القَدَمَانِ

وقال أيضا :

سائنه في صحوة قُبلة • فردني والموت في رديه

حتى إذا السُّكْرُ لَوَى جِيده • قُبَلته ألفا بلا حمده

وقال :

إذا لم يكن للأثرِ بَحْثٌ تَمَدَّرْتُ • عليه جهاتُ النيك من كلِّ ناحية

حُرِمْتُ الغزالُ الواسطى بِحِرْقِي • فدسعة أرى فوق خُصْيَيْهِ جارية

وقال أيضا :

عَشِقْتُ لِلْغَيْبِ قَبِيَّةً عَطَفْتُ • قلبي بالحسن كلِّ مُنْعَطِفِ

وَرُمْتُ نِيكًا لَهَا وَكَيْفَ بِهِ • لولا سَفَاهِي والبذع من حِرْفِي

فَلْتَأْرِقْني بالشريف فأَبْسَبْتُ • عن لؤلؤ ما أَعْتَرَى إلى صَدْفِي

مُحِبًّا وَأَبَدْتُ كَالْقَعْبِ عَصَّ لَهُ • أرى على يَتَضَفُّه من الأَسْفِي

وَصَقَفْتُ حَسُولَهُ تَحْسَرُنِي • وهو كَنِيفُ المَجَسِّ كَالْمَدْفِي

حتى إذا ما رَبا له ذَكَرِي • وطال حتى علا على صَكْنِي

قَالَتْ بِحَقِّي طَلَبُكَ تَطْمَعُ أَنْ • تُوَلِّجَ في ذا بالشعرِ والشَّرْفِي

تَأَلَّه لَا نِيَكْتَنِي بِقَائِيَةٍ • وَلَا بِشِعْرِ فَاَنْسَلْ أَوْ قَفِي

وَأَسْبَلْتُ ثَوْبًا طَلَبَهُ لَمْ • أَمْلِكْ سَلْوًا وَبِجْ بِي صَكْنِي

فَعَجَّتْ حَمَا وَالْأَيُّرُ يُشِدُّنِي • يَتَا وَيَكِي بِأَدَمِ ذُرْفِي

”قَالَ لِي الشَّوْقُ قَبِّ تِلْثِمِهِ • فَمِنْ حِنْدَارِ الرَّقِيبِ لَمْ أَغْفِي“

وقال أيضا :

لَنَجْمَةٍ حَنْدِي حَلِيقٌ يَطْوُلُ • رَأَى أَبْسُولَ فُكَاكِدِ تَبَوُّلِ

فلما نهضت أنافى الكتاب \* وجاء الهداية وجاء الرسول  
وقالت تقول بنا يافنى \* قفقت وأعظت لم لا أقول  
وقال أحمد بن محمد الأنطاكي :

كل يوم أنا من أه \* يرى في أمر نجاب  
ليس يُخْلِصني من هم وحن وأكتاب  
لم يدع لي ذهاب إلا رماه بالذهب  
وأبتداء الشوم أن يد \* حل في أمر الشباب  
هل يجيرني منه \* أهل وقى وصحابي

وقال أبو عبد الله محمد بن الحسن الحجاج :  
صمدت لما وجع الليل داج \* بأحطف للبريدة من صباب  
والصق في المياصر من قراد \* وأوقع في المقاذر من ذباب  
[وقال أيضا :<sup>(١)</sup>

ضربت ونحن بكبرا \* فشمعت من الغروب  
وفست على ربح الثما \* ل فالحقها بالجنوب  
ومسحت مبقلة أمتها \* فوجدتها التي بجريب  
جاءت إلى وجوفها \* ينبل ولا قدر الزريب  
فسلقت بيضى في أسها \* وشويت في حرها قضيب

وقال :

ذات رحم يُسقى الفراغات صرفا \* من عصير الخصى بغير مزاج

(١) في بعض الأصول : «أبو عبد الله الحسين بن محمد بن الحجاج» . وفي البيضة : «أبو عبد الله الحسين بن أحمد بن حجاج» . وفي ترجمته بتاريخ أبي حلال الصابي الملقب بتاريخ الوزراء ص ٢٠ : «أبو عبد الله الحسين بن أحمد» .  
(٢) الزيادة التي بين هاتين البلايتين [ . . . ] ناعمة من الأصل وتوجد في النسخ

بات دكشباب فَيْشَقِي فِي نَحْرَاهَا \* يَخْلُطُ الدَّوْغِبَاجُ بِالزَّرِيرِبَاجِ  
وقال أيضا :

لَمَّا أَتَيْتَنِي بِاللَّيْلِ مُقْبِلَةً \* وَتَوْبَهَا بِالْخِرَاءِ قَدْ أَتَتْهَا  
تَرْكُضُ مِثْلَ الْحِصَانِ نَافِرَةً \* وَمَنْ يَرَى الْحِصَانَ إِنْ نَفَرَ  
مَدَّ ذِرَاعِي فِي صَدْرِهَا كَلْبًا \* وَشَدَّ أَيْرَى فِي سُرْمِهَا نَفَرًا

وقال أيضا :

وَأَفْسَرَةُ الرَّدْفِ فَهِيَ يُثْقِلُهَا \* لَطِيفَةُ الْكَشْحِ نِصْوَةُ الْخَضِرِ<sup>(١)</sup>  
طَعْمُ نَحْرَاهَا وَطَعْمُ قَيْشَلَتِي \* يُشَبِّهُ طَعْمَ اللَّبَاءِ مَعَ التَّمْرِ<sup>(٢)</sup>  
لَوْلَمْ أَشْتَبْ بِسُفْرِ طَانِيَا \* مَا طَابَ لِلنَّاسِ كُلِّهِمْ شَعْرِي  
قَبِيلَ لَا يَرَى وَقَدْ رَأَوْهُ وَلَا أَلَّ \* يَهَارِبُ بَعْدَ الْحَصُولِ فِي الْأَنْشُرِ  
يَشْتَدُّ بَعْدَ الْعِشَاءِ إِلَى حِرْيَا \* حَلَوًا بِلَا حِشْمَةٍ وَلَا فِكْرٍ  
مَا لَكَ هُوَذَا يَطِيرُ قَلْتُ لَمْ \* أَطِيرُ مُسْتَعِجِلًا إِلَى وَكْرِي

وقال وكتب بها عن بعض الرؤساء وقد عرضت عليه جارية وصف حسنها  
ليقلبها فأمره بالجواب، فكتب:

يَا ذَا الَّذِي جَاءَ بِحِيرَلِهِ \* فِي السَّرِّ يَهْدِيهِ إِلَى أَيْرِي  
عَلَّ شَغْلُ الْمَهْمِ الَّذِي \* تَرَاهُ فَاطْلُبُ نَائِكَا خَيْرِي

وقال :

حَقِيقَةُ السُّرْمِ وَلَكِنَّا أَلَّ \* بِنِظَرَاءِ شِيرَازِيَةِ الْمَفْرِقِ  
قَالَتْ لَا يَرَى بَعْدَ مَا صَبَّ فِي \* نَوَاتِهَا أَكْثَرَ مِنْ دُورِقِ

(١) النِصْوَةُ : المَهْرُورَةُ .

(٢) اللَّبَاءُ : مَهْلِكٌ مَهْلِكَةٌ جَاءَا الشَّرَّ : أَوَّلُ الْبَلَاءِ .

أَوْحَشْتَنِي أَسَى قَلْبِي مَتَى \* تَوَسَّسَهُ يَأْخُذُ<sup>(١)</sup> الْفَلَقُ  
فَقَالَ هَيْبَاتٍ وَهَلْ يَرْجِعُ اللَّصُّ إِذَا فَتَرَ مِنَ الْمُطَيَّقِ<sup>(٢)</sup>  
وَقَالَ أَيْضًا :

قَوْمِي تَحْتِي فَلَسْتِ مِنْ شَانِي \* قَوْمِي أَنْهَى لَا يَرَاكَ شَيْطَانِي  
لَا كَانَ دَهْرٌ عَلَيْكَ حَصْنِي \* وَلَا زَمَانٌ عَلَيْكَ الْبَيْتُ الْبَلْخَانِي  
قَسَدْتِ نَفْسِينَ فَوْقَ طَنْفَسِي \* مَا يَنْ رَا حَى وَيَنْ رِيحَانِي  
لَمَّا عَدِمْنَا مِنَ الْكَيْفِ وَقَدْ \* حَضَرَتِ الْإِبْنَاتِ وَرَدَّائِنِ<sup>(٣)</sup>  
وَقَالَ :

يَأْسَادِي مَا أَمْسَقَ دِينِي \* شَيْءٌ كَثَلَ الْحَرِ السَّمِينِ  
كَمَا أَرَاهُ يَزُولُ عَقْلِي \* عَنِّي وَيَسْتَادِنِي جَنُونِي  
وَأَشْتَهِي أَنْ أَغْوَسَ فِيهِ \* مِنْ مَشِيطِ رَجُلٍ إِلَى جَبِينِي  
وَكَلَّمَا شِلْتَ مِنْهُ رَأْسِي \* رُزِقْتُ قَوْمًا يَتَوَصَّوْنِي  
وَقَالَ ابْنُ سَكْرَةَ الْهَاشِمِي :

رَبِّ عَجُوزٍ مُسْتَمِيَّةٍ \* سَلَفِيَةِ اللَّوْنِ سَلَوِيَّةٍ  
حَاجِيَةٍ، إِذَا أَمْسَقَتْ \* أَبَدَتْ نَسَايَا ابْنُوسِيَّةٍ  
ذَاتِ حِرٍّ عَنِيلَةٍ<sup>(٤)</sup> بَارِزٍ \* كَمَرْقَبٍ فِي وَسْطِ بَرِيَّةٍ  
وَشِعْرَةٍ بِالْقَمَلِ مَنْظُومَةٍ \* كَالْوَدْعِ فِي عَقْصَةِ كُرْدِيَّةٍ  
يَقْتَرِ ذَاكَ الصَّدْعُ عَنْ بَطْرَاهَا \* كَقَفْزِ حَقْنٍ عَلَى رِيَّةٍ  
مُسِنَّةٍ تَصْبُو إِلَى أَمْرِدٍ \* فَهِيَ عَلَى الْعَامَةِ لُوطِيَّةٍ

(١) الفلق : طائر طويل النقب . (٢) المطبق : السجن تحت الأرض .

(٣) بنات وردان : دراب حراء اللون وأكثر ما تكون في الحمامات وفي الكنف .

(٤) العنيل : البظر .

وقال ابن حجاج :

فلم أزل وهي إلى جاني \* كظلية عفرَاء وحشية  
أنب مثل التيس فوق أسننها \* وفي عند النيك تيسسية

وقال أيضا :

فتاة كالمهاة تروق عيني \* مشاهدتها وتفتن من رآها  
تكاد ترد للجبوب أركا \* وتحدث للفن المئين باها

وقال :

يا عني السفلى لي سادتي \* قد شهدت بالزور فاستعري  
وأينكي عليها كلما سُرحت \* في أسنى بلمع سليس أصفر

وقال أيضا :

إياك والعفة لإصكا \* إياك أن تُفسد مفاكا  
أنت بخير يا أبا جعفر \* مادمت صلب الأيرنياكا  
فبك ولو أملك وأصقع ولو \* أباك إن لامك في ذاك

وقال أبو بكر محمد الخوارزمي :

فسا الشيخ بهزا وفي كفه \* شراب فأنشاه لوما فنيما  
فقال لي الدخل والخرج لي \* فادخلت راحا وأخرجت ريجا

وقال أبو القاسم التتيني :

لنا شيخ بفقصته مؤاسي \* ويخلق شاريه بالمؤاسي<sup>(٢)</sup>  
إذا بايئه في جنح ليل \* فسافسو فساء فهو قاسي

(١) المجهوب : الذي أبتذل ذكره وخصه به .

(٢) المؤاسي : جمع مؤاسى وهي الآلة يخلق بها .



وقال ابن مسكوة :

وبات في السطح معي صاحب \* من أكرم الناس ذوى الفضل  
أفسو فيفسو فهو لى مُسعد \* وإنما أُملي ويستمل

وقال أبو نؤاس :

نُكّا رسول حنان \* والرائى فيما فعلنا  
فكان خبزًا يملح \* قبل الطعام أكلنا

وقال علي بن حصين الإشبيلي :

قلت نشوانًا وقامت \* في تهادٍ وثقنى  
ونضيت عنها قيصًا \* ثم لما ضاجعتنى  
قلبت بطنًا لبطن \* قلت لا ظهرا لبطن  
فأثنت في بحلي قا \* ثلة عند الثنى  
أنا حانوت وجهي \* من قلطان شئت وأزين

وقال أبو العلاء بدیع الزمان عفا الله عنه :

لا زلت أجد أو أنيك مُشوّها \* ووجوه ولدان الجنان مُجَاهي  
لا أستطيع إذا تخرج ردقهم \* إلا الأسنى وتفسس الأواء  
إني رأيت البتلك يوما كلهم \* خصوا يطيب مناخر وشفاه  
لم أدر أى خصالم أحلى هوى \* وبأيهم يلهو فؤاد الألفى  
بغضابة الأرداف أم برشاقة الأعطاف أم بحلاوة الأنواء  
تأهوا على من ناكهم وتعزّزوا \* ويمزّ نيك الأمرد النباه

## الباب الرابع

## من القسم الثالث من الفن الثاني

- في النحر وتحريمها وأقانتها وجنباياتها وأسمائها، وأخبار من تنزه عنها في الجاهلية،  
ومن حُد فيها من الأشراف، ومن أشتهر بها، وليس ثوب الخلعة بسببها،  
وما قيل فيها من جِد الشعر، وما قيل في وصف آلاتها وآيتيها، وما قيل  
في مبادرة اللذات، وما وُصفت به المجالس وما يجري هذا المجرى

## ذكر ما قيل في النحر وتحريمها

- أجمع الناس على أنَّ النحر المحرمة في كتاب الله عزَّ وجلَّ هي المتَّخذة من عصير  
العنب بعد أن يَغلي ويُقْلِف بالزبد من غير أن يمسَّها نارٌ. وإذا أَقْلِبَتْ بنفسها وتخلَّت  
طهرت من غير أن يُتَسَبَّب في ذلك بشيء يُلْقَى فيها . وطهارتها إذا غلبت عليها  
النجاسة وفارقتها النشوة . والنحر المتَّخذة أيضا من التمر لقول النبي صلى الله عليه وسلم  
ليما رواه مسلم في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه : «النحر من هاتين الشجرتين  
النخلة والعنب» . وفي حديث آخر : «من هاتين الشجرتين الكرمة والنخلة» . وعن  
عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال : سمعت عمر رضي الله عنه على منبر رسول الله  
صلى الله عليه وسلم يقول : «أما بعد، أيها الناس، إنه نزل تحريمُ النحر وهي من  
نمسية، من التمر والعنب والسل والحنطة والشعير» . والنحر ما خامر العقل .  
ولا خلاف بين أحد من الأئمة في أن النحر حرام، لما ورد في ذلك من الكتاب  
والسنة . أما ما ورد في كتاب الله عزَّ وجلَّ فأربع آيات، منها ما يقتضي الإباحة،  
ومنها ما يقتضي الكراهة والتحريم . فأقول ما نزل فيها بمكة قوله عزَّ وجلَّ : ﴿ وَيَنْهَى

تَمَرَاتِ الْبَيْخِيلِ وَالْأَعْنَابِ تَحْتِدُونَ مِنْهُ سَكْرًا وَرِزْقًا حَسَنًا. فكان المسلمون يشربونها يومئذ وهي حلالٌ لهم . ثم أنزل الله عز وجل بالمدينة : ( يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا ) نزلت هذه الآية في عمر بن الخطاب ومعاذ بن جبل وتغير من الأنصار أتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا : يا رسول الله ، أفتنا في الخمر والميسر فإنهما مذهبٌ للعقل مسلبةٌ لآل ، فانزل الله تعالى هذه الآية ؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن ربيم هتلم في تحريم الخمر » . فتركها قوم للإثم الكبير وقالوا : لا حاجة لنا في شربها ولا في شيء فيه إثم كبير ، وشربها قوم لقوله تعالى : ( وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ ) . وكانوا يستمتعون بمنافعها ويقبضون مآثمها ؛ إلى أن صنع عبد الرحمن بن عوف طعاما فدعا ناسا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأتاهم بخمر فشربوا وسكروا وحضرت صلاة المغرب ، فقدموا بعضهم ليصلي بهم ؛ فقرأ قل يا أيها الكافرون أعبد ما تعبدون إلى آخر السورة بحذف " لا " فانزل الله عز وجل . ( يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى حَتَّى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ ) فحزم السكر في أوقات الصلاة . فقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه : إن الله عز وجل تقارب في النهى عن شرب الخمر وما أراه إلا سيحزمها . فلما نزلت هذه الآية تركها قوم ، وقالوا : لا خير في شيء يحول بيننا وبين الصلاة . وقال قوم : نشربها ونجلس في بيوتنا ؛ فكانوا يتركونها وقت الصلاة ويشربونها في غير حين الصلاة ؛ إلى أن شربها رجلٌ من المسلمين ، فجعل ينوح على قتلى بدر ويقول :

ثُمًّا بِالسَّلَامَةِ أَمْ بِكَرٍ \* وهل لى بعد رهطك من سلام  
فَدَرِي أَصْطَبِخُ بِكَرًا فَإِنِ \* رأيت الموات كَفَّتَ عَنْ هِشَامِ  
وَوَدَّ بَنُو الْمُفْصِرَةِ لَوْ فَدَوْهُ \* بِأَلْفٍ مِنْ رَجَالٍ أَوْ سَوَامِ

في أبيات أخر . فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فجاء قزما يجوز رداءه حتى انتهى إليه ، ورفع شتا كان في يده ليضربه ؛ فلما عاينه الرجل قال : أعوذ بالله من غضب الله وغضب رسوله ، والله لا أطعمها أبدا ؛ ثم نزلت آية التحريم وهي قوله عز وجل : ( **لَا تَأْكُلْ أَيْدِي الشَّيْطَانِ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي أَنْفُسِكُمْ وَالْكَافِرِينَ يَصُدُّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ قَهْلَ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ** ) . وروى أن هذه الآية نزلت في شأن حمزة بن عبد المطلب ، وكان نزولها وتحريم الخمر في شهر ربيع الأول سنة أربع من الهجرة .

وكان من خبر حمزة بن عبد المطلب ما رواه مسلم بن الحجاج بن مسلم في صحيحه عن علي بن أبي طالب رضى الله عنه قال : أصبت شارقا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في مقام يوم بدر ، وأعطاني رسول الله صلى الله عليه وسلم شارقا أخرى من الخبث . قال علي : فلما أردت أن أبتى بها طمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم وأعدت رجلا صواغا من بني قينقاع يرتحل معي فتأق بإذني أردت أن أبيعها من الصواغين فاستعين به علي وليمة عرسى . فبينما أنا أجمع لشارقي متاعا من الأقتاب والغرائر والاهبال ، وشارفاي متاخنان إلى جنب شجرة رجل من الأنصار ورجعت حين جمعت ما جمعت ، فإذا شارفاي قد أجبت أستمنهما ويقرت خواصرهما وأخذ من أبحاذهما ، فلم أملك نفسي حين رأيت ذلك المنظر منهما [ أن ] قلت : من فعل هذا ؟ قالوا : فعله حمزة بن عبد المطلب وهو في هذا البيت في شرب من الأنصار ، فغته قينة وأصحابه ، فقالت في غنائها :

• ألا يا حمز للشرف التواء •

٢٠

(١) الشارف : المسحة الحمراء من النوق .

(٢) بنو قينقاع (فتح) القاف وتثلاث النون) : شعب من اليهود الذين كانوا بالمدينة .

(٣) الإذخر : حشيشة طبية الرائحة يسقف بها البيوت فوق الخشب . (٤) زيادة يقتضيها السياق .

لم يذكر مسلم في صحيحه من الشعر غير ما ذكرناه . والأبيات التي غنت بها :  
 ألا يا حزل للشرف<sup>(١)</sup> التواء \* وهن معقلات بالفناء  
 ضع السكين في اللبائ منها \* فضر جهر حمزة بالدماء  
 وعجل من شرائعها كبابا \* ملهوجة على وجه الصلاة<sup>(٢)</sup>  
 وأصلح من أطايبها طيحا \* لشريك من قديد أو شواء  
 فانت أبا عماره المربى \* لكشف الضر عنها والبلاء

١٠٥ فقام حمزة بالسيف فاجتبأ أسنمتها وبقر خواصرهما وأخذ من أكبادهما .  
 فقال علي : فأطلقت حتى أدخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعنده زيد بن  
 حارثة . قال : فعرف رسول الله صلى الله عليه وسلم في وجهي الذي لقيت ، فقال  
 رسول الله صلى الله عليه وسلم : " مالك ؟ " قلت : يا رسول الله ، ما رأيت كاليوم  
 قط ، هذا حمزة على ناقتي فأجبت أسنمتها وبقر خواصرهما وما هو ذا في بيت نعه  
 شرب . فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بردائه فأرتداه ثم انطلق يمشي وأتبعته أنا  
 وزيد بن حارثة حتى جاء الباب الذي فيه حمزة ، فاستأذن فأذنوا له ، فإذا هم شرب ،  
 فطفيق رسول الله صلى الله عليه وسلم يلوم حمزة فيما فعل وإذا حمزة حمرة عيناه ، فنظر  
 حمزة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم صعد النظر إلى ركبتيه ثم صعد النظر إلى  
 سترته ثم صعد النظر فنظر إلى وجهه ، فقال حمزة : وهل أتم إلا عبدا لأبي ! فعرف  
 رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه يميل ، فنكص رسول الله صلى الله عليه وسلم على عقبيه  
 القهقري ونرج ونرجنا معه . وفي حديث آخر : أت رسول الله صلى الله عليه وسلم  
 قال لعل : " إن عمك قد يميل وهما لك على " فغرمهما رسول الله صلى الله عليه وسلم

(١) الشرف : جمع شارف وهي الناقة المسنة كما تقدم قريبا .

(٢) ملهوجة : غير ناضجة .

لعلّ . فلما أصبح حمزة فدا على رسول الله صلى الله عليه وسلم يعتذر . فقال : «ممة يا حمّ فقد سألتُ الله عفواً عنك» . قالوا : وأخذ عتيان بن مالك صنيعاً ودعا رجلاً من المساكين ، منهم سعد بن أبي وقاص <sup>(١)</sup> ، وكان قد شوى لهم رأس بعير فاكلوا منه وشربوا الخمر حتى أخذت منهم ، ثم إنهم أقتضوا عند ذلك وأنسبوا ويتأشدوا الأشعار ، وأنشد سعد قصيدة فيها هجاء الأنصار وغرّ لقومه ، فقام رجل من الأنصار • فأخذ حتى البعير فضرب به رأس سعد فشبهه شجرة موصحة . فانطلق سعد الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وشكا اليه الأنصار . فقال عمر رضى الله عنه : اللهم بين لنا رأيك في الخمر بيانا شافياً ، فأنزل الله عز وجل تحريم الخمر في سورة المائدة (إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُدْرِكَكَ بِالْخَمْرِ وَالْمَيْمُونِ) . قال عمر : اتينا يارب . وقيل : إنها حرمت بعد غزوة الأحزاب بأيام في ذى القعدة سنة خمس من الهجرة . والله أعلم . ١٠ قال أنس رضى الله عنه : حرمت ولم يكن للعرب يومئذ عيش أعجب منها ، وما حرّم عليهم شيء أشد من الخمر . قال : فأخرجنا الحباب الى الطريق فصبها ما فيها ، فلما من كمرحبه ، ومنا من غسله بالماء والطين ، ولقد خودرت أزقة المدينة بعد ذلك حيناً ، كلما مطرت استبان فيها لون الخمر وفاحت ريحها .

١٥ وقال أنس بن مالك رضى الله عنه : كنت ساق القوم يوم حرمت الخمر <sup>(٢)</sup> في بيت أبي طلحة ، وماشاهم إلا فيضيغ البسرا والتمر ، فإذا مناد ينادى ، فقال القوم : أخرج فأنظر ، فإذا مناد ينادى : ألا إنا نخر قد حرمت ، قال : بخرت في سكك المدينة . فقال لى أبو طلحة : أخرج فأهرقها فهرقتها . فقالوا أو قال بعضهم : قُتِل فلان ! قُتِل فلان ! وهى في بطونهم ، فأنزل الله عز وجل : (لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا كَلِمُوا إِذَا مَا اتَّقَوْا وَآمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ) . ٢٠

(١) فى الأصل : «فتم» . (٢) التضيغ : نيل يعمل من البسرا والتمر .

- وأما ماورد في تحريمها في كتاب الله وبيئته السنة، فالأحاديث متضافرة في تحريمها . فمن ذلك ما روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « من مات وهو مدمنٌ نحر لى الله وهو كهايد وثن » . وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا يدخل الجنة مدمنٌ نحر » . وأما من زعم أنها تباح للتداوى بها فيرد عليه ذلك ما صحح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أن طارق بن سويد الجعفي سأل النبي صلى الله عليه وسلم عن الخمر فنهاه أو كرهه أن يصنعها، وقال : إنما أصنعها للدواء، فقال : « إنما ليست بدواء ولكنه داء » . وعنه صلى الله عليه وسلم وقد سأله رجل قديم من جیشان ( وجیشان من اليمن ) فسأل النبي صلى الله عليه وسلم عن شراب يشربونه بأرضهم من الذرة يقال له المزرة؛ فقال النبي صلى الله عليه وسلم : « أو مسكر هو » قال نعم . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « كل مسكر حرام إن على الله عهداً لمن يشرب المسكر أن يسقيه من طينة الخلبال » . فقالوا : يا رسول الله، وما طينة الخلبال ؟ قال : « عرق أهل النار » . وعن ابن عمر رضى الله عنهما عن رسول الله صلى الله عليه وسلم : « كل مسكر نحر وكل مسكر حرام ومن شرب الخمر في الدنيا فمات وهو يدمنها لم يتب لم يشربها في الآخرة » وفي لفظ : « حرمها في الآخرة فلم يسقها » وفي لفظ : « إلا أن يتوب » . وعن عبد الله بن عباس رضى الله عنهما قال : حرمت الخمر قليلاً وكثيرها وما أسكر من كل شراب . وعنه رضى الله عنه : من مره أن يحرم ما حرم الله ورسوله فليحرم النبيذ . وعن أبي هريرة رضى الله عنه : أت رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « لا يزنى الزانى حين يزنى وهو مؤمن ولا يشرب الشارب حين يشرب وهو مؤمن ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن » أخرجه البخارى في صحيحه والله سبحانه وتعالى أعلم، وحسبنا الله ونعم الوكيل .



### ذكر ما قيل في إباحة المطبوخ

- والمطبوخ يسمى الطلاء وهو الذي طُبِخَ حتى ذهب ثلثاه وبقي ثلثه . سُمِّيَ بذلك لأنه شبه بطلاء الإبل في تَحْنِئِهِ وسواده . وقد اختلف العلماء في المطبوخ ، فقال بعضهم : كلَّ عَصِيرٍ طُبِخَ حتى ذهب نصفه فهو حلالٌ إلا أنه يُكْرَهُ ، وإن طُبِخَ حتى ذهب ثلثاه وبقي ثلثه فهو حلالٌ مباحٌ شرعياً وبيعُهُ إلا أن السكر منه حرام . ومجتهم في ذلك ما روى : أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه كتب إلى بعض عماله : أن أرزق المساكين من الطلاء ما ذهب ثلثاه وبقي ثلثه . وعن عبد الله بن يزيد الخطمي قال : كتب إلينا عمر بن الخطاب رضى الله عنه : أما بعد ، فاطبخوا شرباً لكم حتى يذهب منه نصيب الشيطان في عود الكرم ، فإن له اثنين ولكم واحد . وعن أنس بن مالك رضى الله عنه : أن نوحاً عليه السلام لما نازعه الشيطان في عود الكرم فقال هذا : لى ، وقال هذا : لى ؛ فاصطلحا على أن نوحاً لثلاث وللشيطان ثلثها . وسئل سميد بن المسيب : ما الشراب الذى أحله عمر رضى الله عنه ؟ فقال : الذى يطبخ حتى يذهب ثلثاه ويبقى ثلثه . وحكى أن أبا موسى الأشعري وأبا الدرداء كانا يشربان من الطلاء ما ذهب ثلثاه وبقي ثلثه . وصل الجملة فجموع هذه الأخبار في مثلث لم يسكر البتة . ودليل ذلك ما حكي عن عبد الله بن عبد الملك ابن الطفيل الخزرجي قال : كتب إلينا عمر بن عبد العزيز : ألا تشربوا من الطلاء حتى يذهب ثلثاه ويبقى ثلثه ، وكلَّ مسكرٍ حرامٌ . هذا الذى عليه أكثر العلماء . وقال قوم : إذا طُبِخَ العَصِيرُ أدنى الطبخ صار حلالاً ، وهو قول إسماعيل بن علية

(١) الثفن : الخلط .

(٢) الخلط من الشراب : الذى طبخ حتى ذهب ثلثاه .



وبشر المريسى وجماعة من أهل العراق . وذهب بعضهم الى أن الطلاء الذى رُخِّص فيه إنما هو الرب والدبس<sup>(١)</sup> . والله عز وجل أعلم .

### ذكر آفات الخمر وجنباياتها

وآفات الخمر وجنباياتها كثيرة، لأنها أتم الكبائر . وأول آفاتنا أنها تذهب العقل، وأفضل ما فى الإنسان عقله ، وتحسن القبيح وتبيح الحسن . قال أبو نؤاس الحسن ابن هانى عفا الله عنه ورحمه وغفر له ما أسلف :

إسقى حتى ترانى • بحسنا عندي القبيح

وقال أيضا :

إسقى صرنا حيا • ترك الشيخ صبيا  
وتربه القى رشدا • وتربه الرشيد قبا

وقال أبو العلي :

رأيت المدامة غلبة • تُهيج للسره أشواقه  
تسى من المراء تاديه • ولكن تحسن أخلاقه  
وانقش ما للفسق لئه • وذو اللب يحكره إنفاقه  
وقد مت أميس بها ميتة • وما يشتهى الموت من ذاقه

قالوا : وإنما قيل لمشارب الرجل نديم ، من الندامة ؛ لأن الرجل معاقرة الكأس اذا سكر تكلم بما يندم عليه وفعل ما يندم عليه ، ف قيل لمن شارب « نادمه » لأنه فعل مثل فعله فهو نديم له ، كما يقال : جالسه فهو جليس له . والمعاقرة : المدين ، كأنه لزم حفر الشيء أى نادمه . وقد شرب أصحاب الشراب يسوء المهدي وقلة الحفاظ ،

(١) الرب : ما يطلع من القرء ، أو سلاطة عتارة كل مرة بعد اعتصارها . والدبس : عمل الخمر .

وقالوا : صاحب الشراب صديقك ما استغفنت عنه حتى تفتقر، وما عوفيت حتى تُتَكَب، وما فلت دنانك حتى تُتَزَف، وما راوك بعيونهم حتى يفقدوك، قال بعض الشعراء عفا الله تعالى عنه :

أرى كلَّ قومٍ يحفظون حريمهم \* وليس لأصحاب النبيذ حريمٌ  
إذا جثَّهم حيوك ألقا ورجبوا \* وإن غبت عنهم ساعة فذمُّ  
إخاؤهم مادارت الكأس بينهم \* وكلُّهم رثُّ الوصال مستومٌ  
فهذا بياني لم أقل بجهالة \* ولعكفي بالقاسقين علمٌ

- قيل : سقى قومٌ أعرابيةً مسكرا، فقالت : أيشرب نساؤكم هذا الشراب ؟  
قالوا نعم . قالت : فما يدرى أحدكم من أبوه . وقال قصي بن كلاب لبيته :  
اجتنبوا الخمر فإنه يصلح الأبدان ويفسد الأذهان . وقيل لعدي بن حاتم : مالك  
لا تشرب النبيذ ؟ قال : معاذ الله ! أصبح حليم قوم وأمسى سفيهم . وقيل لأعرابي :  
مالك لا تشرب النبيذ ؟ قال : لا أشرب ما يشرب عقلي . وقيل لعثمان بن عفان :  
ما منعك من شرب الخمر في الجاهلية ولا حرج عليك ؟ قال : إني رأيتها تُذهب العقل  
جملةً وما رأيت شيئا يذهب جملةً ويعود جملةً . وقال عبد العزيز بن مروان لنصيب  
أبن رباح : هل لك فيما يثير المحادثة ؟ يريد المنادامة ، فقال : أصلح الله الأمير !  
الشعرُ مفقودٌ واللونُ مُرَمَدٌ ، ولم أقعد اليك بكرم عنصر ولا بحسن منظر ، وإنما هو  
عقلٌ ولساني ، فإن رأيت ألا تفزق بينهما فافعل . ودخل نصيبٌ هذا على عبد الملك  
أبن مروان فأنشده فاستحسن جيد الملك شعره فوصله ، ثم دعا بالطعام فطعم معه .  
فقال له عبد الملك : هل لك [ أن ] تتأدِم عليه ؟ قال : يا أمير المؤمنين ، تأمئني . قال : قد  
أراك . قال : يا أمير المؤمنين ، جلدي أسود وخلق مشوهٌ ووجهي قبيحٌ ولست

في منصب ، وإنما بلغ بي مجالستك ومؤاكتك عقل ، وأنا أكره أن أدخل عليه ما ينقصه . فأعجبه كلامه وأصفاه .

وقال الحسن : لو كان العقل عَرَضاً لتغالى الناس في ثمنه ؛ فالعجب لمن يشتري بماله شيئاً ليشره فيذهب عقله ! .

وقال الوليد بن عبد الملك للحجاج بن يوسف في وفدة وفداه عليه وقد أكل : هل لك في الشراب ؟ قال : يا أمير المؤمنين ، ليس بحرام ما أحلت ، ولكن أمتنع أهل عملي ، وأكره أن أخالف قول العبد الصالح وهو قوله تعالى : ﴿ وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَتَخَلَّفَكُمْ إِلَى مَا أَنْتُمْ عَنْهُ ﴾ .

وقالوا : للبيذ حدان ، حد لا هم معه ، وحد لا عقل معه ؛ ففليك بالأول وأتق الثاني .

ومن آفات الخمر أفتضاح شاربيها بريحتها عند من يحتشم منه ويتقيه ويحافه فلا يستطيع مع وجود ريحها إنكار شربها . والأولاة تحذ بالاسئسكاه ؛ لأن ثمارها شبت في الفم اليوم واليومين بعد تركها . فمن شربها ساعة وهو يحتشم من الناس أن يظهر ذلك عليه أحتاج الى الانقطاع في بيته بعد زوال السكر وأوبة العقل حتى تزول الرائحة . وقد تحايل الذين يشربون الخمر على قطع ريحها من الفم وعاالجوا ذلك بأدوية صنموها يستعملونها بعد شربها . فأجود ما صنعوه من هذه الأدوية أن يؤخذ من الخمر والبسباسة والسعد والحناح والقرنفل أجزاءً متساوية وجرمان من الصمغ ، ويُدق .

(١) حوشيب طيه السلام . (٢) البسباسة : قشر جوزة الهند .

(٣) السعد : نبات له أصل تحت الأرض أسود طيب الرائحة .

(٤) الحناح : نبات طيب الرائحة ، ويقال له : " الراسن " .

ذلك ويحبل بماء الورد ويستعمل منه فإنه يقطع رائحة الخمر من الفم، كما زعموا .  
وقد نظم بعض الشعراء هذه المفردات في أربعة أبيات فقال :

مُرٌّ وبَسَامَةٌ ومُسْعِدٌ \* إلى جَنَاحٍ وماءٍ وَرِيدٍ  
ينظّمها الصمغُ إن تَلَاهُ \* قَرَقُلُ الهندِ نظمٌ عَقِيدٍ  
أجزاؤها كُلُّها سَوَاءٌ \* والصمغُ جَرَّانٌ، لا تَعْدِي  
فيه لَذِي مِرَّةٍ شَفَاءٌ \* وضوئُ مَرِيضٍ وحَفَظٌ وَدٌّ

### ذكر أسماء الخمر من حين تُعَصَّر إلى أن تُشْرَبَ

- الخمر إذا عَصِرَ فاسم ما يسيل منه قبل أن تطأه الرجل : السَّلَافُ ؛ وأصله من  
السَّلف وهو المتقدم من كل شيء ، وهو في مثل ذلك الخمر طوم أيضا . ويقال للذي  
يعصر بالأقدام : العَصِيرُ ، والموضع الذي يُعَصَرُ فيه : المَعَصِرَة . والنَّظْلُ : ما عَصَرَ  
فيه السَّلَافُ ؛ ويقال للعاصر : النَّاطِلُ ، ثم يُعْرَضُ المَصِيرُ حتى يفل فاذا غلغلهو حمرة ،  
وقيل : سميت حمرا لأنها تخامر العقول فتخالطها . وقالوا : لأنها تُحْمَرُ في الإلقاء ،  
أى تُقَطَّى وهي مؤنثة . ويقال لها : القهوة ، لأنها تُقَيِّى عن الطعام والشراب ، يقال :  
أَقَيِّى عن الطعام وأَقَمهم عنه إذا لم يشتهه . ومن أسمائها : الشَّمُولُ ، سميت بذلك  
لأن لها عَصِفة كعصفة النِّمَالِ ، وقيل : لأنها تشتمل القومَ بريحتها . ومنها : السَّلَافُ  
والسَّلَافَة والخمر طوم وقد تقدم معناها . ومنها : القَرَقُف لأن شاربها يُقَرِّقُف إذا  
شربها ، أى يَرُدُّ ، يقال : قَرَقُفٌ وقَرَقَفٌ . وقال أبو عمرو : القَرَقُف اسم للخمر خير  
صفة وأنكر قوطم سميت بها لأنها تُرْدُّ . ومنها : الراح لأنها تكسب صاحبها الأريحية  
أى خفة العطاء . ومنها : المَقَار لأنها حاقرت الذئب ، وقيل : لأنها تبقر شاربها

(١) يحبل : يرش .

- من قول العرب : كَلَّابِي فلان عَقَّارٌ ، أى يَمِيقُ الماشية . ومن أسمائها : المَدَامَةُ  
والدَلَامُ لأنها داومت الظرف الذى آمَنَتْ فيه . والرحيق ومعناه انزال الحن من  
الغش . وقيل : الصافى . وقيل : العتيق . والكيت سُميت بذلك لونها اذ كانت  
تضرب الى السواد . والجُرَيَال وهو صَبِغٌ أحمرٌ سُميت بذلك لونها أيضا . والنسيئة  
والسَّاءة وهى المشتارة وأصلها مَسْبُوءَةٌ ، يقال : سَبَأْتُ الخمر اذا اشتريتها . والمشعشة  
وهى المخزوجة . والصبياء وهى التى عُصِرَتْ من العنب الأبيض . والشَّمُوسُ  
سُميت بالداية التى تَجْمَعُ براكيها . واخْتَنَدَرِس وهى القديجة . والحانية : منسوبة  
الى الحانة . والماذية : اللينة يقال : حسل ماذى اذا كان ليّنا . والعانية : منسوبة  
الى عانة . والسَّخَامِيَّة : اللينة من قولهم : قطن سَخَامٍ أى لين وثوبٌ سَخَامٌ . قال الرازي :  
كانه بالصَّخَصَمَانِ <sup>(١)</sup> الاعمجل . \* قطنٌ سَخَامِيٌّ بأيدى غُرُلٍ ١٠
- والمَزَّةُ والمَزَاءُ لطعمها . والإِسْقَنْطُ ، قال الأصمى : هو بالرومية . والغرب ومعناه  
الحدة ؛ وَغُرْبُ كُلِّ شَيْءٍ حِدَهُ . ولعلها سُميت بذلك لحِدَّتِهَا . والحَمِيَّةُ ، وَحْمِيَّةٌ كُلُّ شَيْءٍ  
سَوْرَتُهُ وَحْدَتُهُ . والمَصْطَارُ : الخلة ويقال : المَصْطَارُ بالضاد أيضا . والخَمَطَةُ :  
المتغيرة الطعم . والمتعة : التى قد طال مكثها . والإثم : اسم لما لعله وقع عليها لما  
في شربها من الإثم . والحق كذلك . قال الشاعر : ١٥
- شربتُ الإثمَ حتى ضلَّ عقلى \* كذاكَ الإثمُ يفعلُ بالعقولِ
- والمُعَرَّقُ : المزوج قليلا ، يقال : عَرَّقَ من ماء أى ليس بكثير . ومن أسمائها :  
القِنْدِيدُ والقِيحُ وَأَمَّ زَنْبِقُ والمَقْطَبُ والطُّوسُ والسَّلْسَالُ والسَّلْسَلُ والزَّرْجُونُ  
والكَفَّاءُ والبحرَاءُ والعائسة والطَّابَةُ والتَّاجُودُ والكَّاسُ والطلَّاءُ ، قال حبيد بن  
الأبرص : ٢٠

(١) الصخمان : ما استوى من الأرض . والاعمجل : الفاسح .



هي الخمر صرفا تكتنى <sup>(١)</sup>الطلا \* كاللذنب يُسمى أبا جعدة  
والبائِق والبُحْجُج : فارسِيان . والجهَوْرِي . والمَقْدِيّ منسوبة الى قرية من قُرى  
الشام . والمزاء من قولك : هذا أَمْرِي من هذا أى أفضل . والتبْيِذ . والبُشْعُ : نبيذ العسل  
والسُرْكُكَةُ من الذرة . والجمعة من الشعير . والتَفْضِيخ من البسر . والمِزْر من الحبوب

### • ذكر أخبار من تنزه عنها في الجاهلية وتركها ترفعها عنها

- كان ممن تركها في الجاهلية عثمان بن عفان رضى الله عنه وعبد المطلب بن هاشم  
وعبد الله بن جُدعان التيمي وكان سيّدا جوادا من سادات قريش، وسبب تركها  
أنه شرب مع أُميّة بن أبي الصلت الثقفي فأصبحت عين أُميّة مخضرة تخاف عليها  
الذهاب، فسأله عبد الله : ما بال عينك ؟ فقال : أنت صاحبها أصبتها البارحة،  
قال : وبلغ مني الشراب ما يبلغ معه من جليبي هذا المبلغ، فأعطاه عشرة آلاف درهم  
وقال : الخمر على حرام، لا أذوقها أبدا، وقال فيها :

شربت الخمر حتى قال صحبي \* ألسنت عن السقاة بمستغفي ؟

وحق ما أوسد في مييت \* أنام به سوى التراب السحيق

- وممن حرّمها في الجاهلية : قيس بن عاصم المثقري، والسبب في ذلك أنه سكر  
لفغز عكته أبنته أو أخته فهربت منه ، فلما سمعها أخبروه فحزم الخمر على نفسه ،  
وقال في ذلك :

وجدت الخمرَ جاعحة وفيها \* خصال تفضح الرجل الكريما

فلا والله أشربها حيّاتي \* ولا أدعو لها أبدا نديما

(١) في اللسان : وقالوا هي الخمر تكتنى <sup>(١)</sup>الطلا \* كاللذنب ... الخ .

ولا أعطى لما ثمتا حياتي \* ولا أشفى بها أبدا مقيا  
فإن الخمر تفضع شاربها \* وتجشمهم بها أمرا عظيا  
إذا دارت حياها تعلت \* طوالع تنسقه الرجل الخليا

وممنهم : طاهر بن الظرب المدناني، قال :

سأله للفقى ماليس في يده \* نهابه بقول القوم والمال  
أقسمت بالله أسقيها وأشربها \* حتى يفرق ترب القبر أوصالي

وممنهم : صفوان بن أمية بن مُحَرَّث الكتافي وعُفَيْف بن معد يكرب الكندي  
والأسلم بن ناهي من همدان ومقيس بن عدى السهمي وكان سكران فعمل يخط بيوله :  
أعمامة أو بعيرا، فلما أفاق وأخبر بذلك حرمها .

وممنهم : المباس بن مرداس السلمي قيل له : لم تركت الشراب وهو يزيد  
في جرأك وسماحتك ؟ فقال : أكره أن أصبح سيد قومي وأمسى سفهمهم .

وممنهم : سعيد بن ربيعة بن عبد شمس وورقة بن نوفل والوليد بن المغيرة .  
وقال زيد بن غليان :

بئس الشراب شراب حين تشربه \* يوهي العظام وطورا يوهي<sup>(١)</sup> المصيب  
إني أخاف مليكي أن يعذبني \* وفي العشي أن يزرى علي حسبي

وقال رجل لسعيد بن سلم : ألا تشرب النبيذ ؟ فقال : تركت كثيره لله تعالى  
وقليله للناس .

(١) كذا بالأصل، ولعل صوابه "وطورا يوهن المصيب" .

ذكر من حُدَّ فيها من الأشراف ومن شربها منهم ومن أشتهر  
بها وليس فيها ثوب الخلاعة ومن افتخر بشربها

فأما من حُدَّ فيها من الأشراف فالوليد بن حُقبَة بن أبي مُعيط وهو أخو  
عثمان بن عفان لأمه ، شهد عليه أهل الكوفة أنه صُلِّيَ بهم الصبح ثلاث ركعات  
وهو سكران ثم أُلْتُفِت إليهم فقال : وإن شئتم زدكم ، بلحده عبد الله بن جعفر بن  
يدى عثمان رضى الله عنه ، وسند ذكر الواقعة إن شاء الله تعالى يجلتها في الباب الثاني  
من القسم الخامس من الفن الخامس في التاريخ في خلافة عثمان رضى الله عنه .

ومنها : عبيد الله بن عمرو بن الخطاب شرب بمصر لحده بها عمرو بن العاص  
سراً فلما قدم حل أبيه جلده حلاً آنراً علانية .

ومنها : عبد الرحمن بن عمر بن الخطاب المعروف بأبي نَحْمَة <sup>(١١)</sup> ، حده أبوه  
في الشراب ثلاث تحت حده .

ومنها : طاصم بن عمرو بن الخطاب ، حده بعض ولاية المدينة .

ومنها : قدامة بن مظعون ، حده عمرو بن الخطاب رضى الله عنه بشهادة  
عَلْقَمَة الخصى وفيه .

ومنها : عبد الله بن عروة بن الزبير ، حده هشام بن إسماعيل المخزومي .

③

ومنها : عبد العزيز بن مروان ، حده عمرو بن سعيد الأشدق .

<sup>١٢</sup> ومنها : أبو حَجَّجٍ التَّمَنِيّ وأسمه عمرو بن حبيب ، وكان مغرماً بالشراب ،  
حده عمر مرارا في النجر ، وحده سعيد بن أبي وقاص مرارا وشهد القادسية وأبلى .

(١) كذا في كتاب المعارف لابن قتيبة والقاموس . وفي الأصول : « حصة » بالسين المهملة  
وهو محريف .



بلاء حسنا، ثم حلف بعد القادسية ألا ينوق النجر أبدا ومات تائبا عنها، وأشد رجل عند عبد الله بن مسلم بن قتيبة قوله :

إذا ميتٌ فأدْفني إلى جنبِ كَرَمَةٍ \* تُروى عظامي بعد موتي حروثها  
ولا تدفني في الفلاة فإنني \* أخاف إذا ماتت أن لا أذوقها

فقال عبد الله : حدثني من رأى قبره بأرمينية بين شجرات كرم يخرج إليه  
الفتيان ويشربون عنده ويتناشدون شعره فإذا جاءت كأسه صبّوها على قبره .

وممنهم : إبراهيم بن هرمة وكان مغرما بالشراب، حذّه جماعة من عمال المدينة  
فلما طال ذلك عليه رحل إلى أبي جعفر المنصور، وقيل : إنما رحل إلى المهدي  
وأمتدحه بقصيدته التي يقول فيها :

له لحظأتٌ في حِفَاقِي سريره \* إذا كَرَّها فيها عِقَابٌ ونائلٌ  
له تربةٌ بيضاءٌ من آلِ هاشم \* إذا أسودَّ من لؤمِ القربابِ القبائلُ

فأستحسن شعره وقال له : سل حاجتك، فقال : تأمر لي بكتاب إلى عامل  
المدينة ألا يحدثني على شراب، فقال له : ويحك ! لو سألتني عزّل عامل المدينة  
وتوليتك مكانه لفعلتُ، قال : يا أمير المؤمنين، ولو عزلته ووليتي مكانه أما كنت

تزلني أيضا وتؤثني غيري ! قال : بلى، قال : فكنت أرجع إلى سيري الأولى فأخذ، فقال  
المهدي لوزرائه : ما تقولون في حاجة ابن هرمة وما عندكم فيها من التلطف ؟  
قالوا : يا أمير المؤمنين، إنه سأل مالا سبيل إليه، إسقاط حد من حدود الله  
عز وجل، فقال المهدي : له حيلة إذا أعيتكم الحيل فيه، اكتبوا إلى عامل المدينة :  
مَنْ أتاكَ بأبن هرمة سكرانا فأضربه مائة سوط وأجلد أبن هرمة ثمانين، فكان إذا  
شرب ومشى في أزقة المدينة يقول : مَنْ يشتري مائة بخلّين ؟



وأما من شربها منهم وأشهرها ، جماعة من الأكابر والأعيان والخلفاء .

منهم : يزيد بن معاوية شهر شربها ، وكان يقال له : يزيد الخمر ، روى هشام بن الكلبي عن أبيه قال : وجّه معاوية جيشا إلى أرض الروم فأصابهم الجُدري ، وعند يزيد أمراته أُم كلثوم بنت عبد الله بن عامر فسروا أنشأ يقول :

إذا أرتفتُ على الأنماط في عُرف \* بدَيْرُ مرَّاتٍ عندي أُم كلثوم  
فما أبالي الذي لاقى جيوشهم \* بالقُدُونِ<sup>(١)</sup> من حمى ومن موم<sup>(٢)</sup>

فبلغ الخمر معاوية ، فقال : أنت هاهنا ! إلحق بهم ، وسيروا إلى قتال الروم .

ومنهم : عبد الملك بن مروان ، وكان يسمى : حمامة المسجد ، لاجتهاده

في العبادة ، هذا قبل أن يلى الخلافة ، فلما أفضت الخلافة إليه شرب ، فقال له  
سعيد بن المسيّب : بلغني يا أمير المؤمنين ، أنك شربت الطلاء ، قال : إى والله  
والدماء .

ومنهم : يزيد بن عبد الملك بن مروان وهو صاحب حِبابَة وسَلَامَة ، وأخباره

مشهورة .

ومنهم : أبنة الوليد بن يزيد بن عبد الملك ذهب به الشراب كلّ مذهب حتى  
خلع وقُتل ، وله في ذلك حكايات وأشعار . منها : أنه سمع بشرّاعة بن الزّنبوذ  
الكوفي ، وكان من أهل البَغدَادَة المشهورين باللعب واللهو وإدمان الشراب ، فأستدعاه

(١) الطُّقْدُونَة : اسم جامع للنفرا التي من المصيبة وطرسوس وغيرها .

(٢) الحرم : البرسام وأشد الجُدري .

(٣) حبابَة وسَلَامَة : فيثان مشهورتان كانتا له .

بالكوفة الى دمشق فحمل اليه فلما دخل عليه قال له : يا شرامة ، ما أرسلت اليك  
 لأسألك عن كتاب الله ولا سنة نبيه ، قال : لو سألتني عنهما لوجدتني فيهما حاراً ،  
 قال : وإنما أرسلت اليك لأسألك عن القهوة ، قال : أنا دهقانها الخبير ، ولقمانها  
 الحكيم ، وطيبها الماهر ، قال : فأخبرني عن الشراب قال : مسل عما بدالك  
 قال : ما تقول في الماء قال : لا بد منه ، والحرار شربكي فيه . قال : فاللبن ؟  
 قال : ما رأيت به إلا استحييت من طول ما أرضعتني أمي به ، قال : فالسويق ؟  
 قال : شراب الحزين والمستعجل والمريض . قال : فشراب التمر ؟ قال : سريع  
 الامتلاء ، سريع الانفشاء ، قال : فتبيذ الزبيب ؟ قال : حاموا به على الشراب ،  
 قال : فانحر ؟ قال : تلك والله صديقة روعي ، قال : وأنت والله صديق روعي ،  
 قال : فأى المجالس أحسن ؟ قال : ما شرب فيه على وجه السماء ، ومن شعر الوليد :

⑪

خذوا ملككم لاثبت الله ملككم \* ثباتا يساوى ما حيت عقالا  
 دعوا لي سلمى والنيذ وقينة \* وكأسا ، ألا حسبي بذلك مالا  
 أبالملك أرجو أن أخلد فيكم \* ألا ربُّ ملك قد أزيل فزالا

ومنهم : المأمون بن الرشيد وشهر بالشراب وله فيه أخبار ، منها : أنه شرب هو  
 ويحيى بن أكرم القاضي وعبد الله بن طاهر ، فتعامل المأمون وأبن طاهر على سكر  
 يحيى ، فأشار الى الساق فأسكره ، وكان بين أيديهم رزم من الورد والرياحين ، فأمر  
 المأمون فشق ليحيى لحد من الورد والرياحين وصبروه فيه ، وعمل يتي شعرودما  
 قينة فخلست عند رأس يحيى وغنت بالشعر :

دعوته وهو حي لأحياة به \* مكفنا في ثياب من رياحين  
 فقلت قم قال رجلى لا تطاوعني \* فقلت خذ قال كفى لا تواتيني

فأثبته يحيى لذة العود وصوت الجارية فقال :

يَاسِيدِي وَأَمِيرَ النَّاسِ كُلِّهِمْ \* قد جارفى حكمة من كان يسقي  
إنى غفلتُ عن الساقِ فصيرتُني \* كما ترائى سليبَ العقيلِ والدينِ  
فأنظر لنفسك قاضِ إنى رجل \* أُلْزِجُ بقتلى والروح يُحْيِي

- ومنهم : العباس بن علي بن عبد الله بن العباس وهو عم المنصور ، كان يأخذ الكأس بيده ويقول : أما العقل فتُتلفين ، وأما المروءة فتُمحَقِّقن ، وأما الدين فتُفسدن ، ويسكت ساعة ثم يقول : وأما النفس فتُسَخِّن ، وأما القلب فتُسَجِّعن ، وأما المع فتطردن ، أفتراك مني فتلتين ! ثم يشربها .

ومنهم : بلال بن أبي بردة فُضِّح بالشراب وفيه يقول يحيى بن نوفل الجعفي :

- وأما بلالٌ فذاك الذي \* يميل الشرابُ به حيثُ مالا  
بيت يمضُ حنيقَ الشراب \* كحسَّ الوليد يخاف الإفصالا  
ويصبح مضطربا ناعسا \* تخال من السكر فيه أحوالا  
ويمشي ضعيفا كمشي التزييف<sup>(١)</sup> \* تخالُ به حين يمشي شيكالا

ومنهم : عبد الرحمن بن عبد الله الثقفي قاضي الكوفة وُضِّع بمئادة سعد بن هبار

- وليه يقول حارثة بن بدر :

نهارُهُ في قضايا غير عادلة \* وليلُهُ في هوى سعد بن هبار

ومنهم : آدم بن عبد العزيز بن عمر بن عبد العزيز وهو الذي يقول :

هاك فأشرب يا خليلي \* في مدى الليل الطويل  
تمهوءة في ظلِّ كرم \* مسيت من نهر نيسل

في لسان المرء منها \* مثل لَذَع الزنجبيل  
 إنما أَذْهَبَ مَالِي \* طُولُ إِدْمَانِ الشَّمُولِ<sup>(١)</sup>  
 وَحَيْنُ السُّودِ شَدِيدٌ \* يَدَا ظُلِي كَحَيْلِ  
 فَالطَّوِيلُ الْمُتَّقِي الْأَهْبُفَ كَالسَّيْفِ الصَّقِيلِ  
 يَأْخِضِلِي أَسْقِيَانِي \* وَأَهْتَفَا بِالشَّمْسِ زُؤُلِ  
 قُلْ لِمَنْ لَامَكَ فِيهَا \* مَنْ نَصَبَ أَوْ عَذُلِ  
 يَتَّقِي بَيْنَ الْبَابِ وَالْدا \* رَ عَلَى تَقَبِ الطَّلُولِ

- وقيل لأبيه عبد العزيز بن عمر : إن بئيك يشربون الخمر، فقال : صفوهم لي، فقالوا : أما فلات إذا شرب نرق ثيابه وثياب نديمه ، فقال : سوف يدع هذا شربها ، قالوا : وأما فلان فاذا شربها تقياً في ثيابه ، قال : وهذا سوف يدمعها ، قالوا : وأما آدم فاذا شربها فأسكن ما يكون لائئال أحدا بسوء ، قال : هذا لا يدمعها أبدا .  
 ومنهم : حارثة بن زيد العدواني — رجل من تميم — دخل يوما على زياد بن أبيه وبوجهه أثر ، فقال له زياد : ما هذا الأثر يوجهك ؟ فقال : أصلى الله الأمير ركبت فرسي الأشقر بجمح بي حتى صدمني الحائط ، فقال : أما إنك لو ركبت فرسك الأشهب لم يصيبك مكروه .  
 ١٥ ولحارثة فيها أشعار كثيرة وأخبار مع الأخنف ابن قيس ، وكان الأخنف ينهأ عنها وهو لا يتمي ويحييه بشعر في مدحها وقيل : إن حارثة هذا أدرك النبي صلى الله عليه وسلم بالسن في حال صباه وحداثته .  
 ومنهم : والبة بن الحباب الأسدي وهو الذي ربي أبا نؤاس وأدبه وعلّمه الفتوة وقول الشعر . حكى أن المنصور قال له يوما : ادخل إلى محمد — يعني المهدي — وحديثه ، فدخل عليه ، فأقول ما أُنشدته قوله :  
 ٢٠

(١) الشمول : من أسماء الخمر . (٢) يريد الأول بالأشقر : الخمر ، ويريد الثاني بالأشهب : الماء .

قولا لعمرو لا تكن ناسيا \* وسقني لا تحبسني كاسيا  
وأردد على الهيثم مثل الذي \* هجت به ويحك وسواسيا  
وقل لساقينا على خلوة \* أدن كذا رأسك من راسيا  
ونم على وجهك لي سامة \* إني أمرؤ أنكح جلاسيا

١٥ فبلغ ذلك المنصور، فقال: لا تميدوه إليه أردنا أن نصلحه فأراد هو أن يفسده.

وممنهم : أبو الهندي وهو عبد المؤمن بن عبد القدوس بن شهاب بن ربيعة  
اليربوعي، حج به نصر بن سيار فلما ورد الحرم قال له نصر : إنك يفتاء بيت الله  
الحرام وعلى حرمه فدىء الشراب، فلما زال عنه وضعه بين يديه وجعل يشرب  
ويبكي ويقول :

١٠ رضيع مدام فارق الراح رومة \* فظل عليها مستهل المدايع  
أديرا على الكأس إني فقدتها \* كما فقد المفلوم دمر المراضع  
ومر به نصر بن سيار وهو يميل سكرًا ، فقال له : أفسدت شرفك ، فقال :  
لولا أفسد شرفي لم تكن أنت اليوم والى نمراسان .  
وممنهم : سعيد بن وهب وكان شاعرا بصريا .

١٥ وممنهم : الحسين بن الفضل النديم صاحب الحسن بن هاني وكان خليفا ماجنا  
ملح الشعر وهو الذي يقول :

ألا إنما الدنيا صال حبیب \* وأخذك من مشمولة بنصيب  
وحبك بين المسلمات ممتعا \* بفتن من عزف وشدوم مصيب  
وأنت وإنسان تلذ بقربه \* وبذلة معشوق ونوم رقيب  
٢٠ ومدى ساعات النهار ووقتي \* إلى الشمس لما آذنت بمغيب

ومنهم : يحيى بن زياد وهو الذى يقول :

أعاذل ليت البحر نحرًا وليتنى \* مدى الدهر حوتٌ ساكنٌ بلحة البحر  
فأضفى وأمسى لا أفارق بلحة \* أروى بها عظمى وأشفى بها صدرى  
طوال الليالى، ليس عني بناضيب \* ولا ناقص حتى أصير إلى الحشير

ومنهم : أبو نواس الحسن بن هانئ من اشتهر بالشراب واللهو والطرب ومناجمة  
القيان، وله فى النمر تشبيهات حسنة وحكايات ظريفة، نذكر هاهنا من أخباره  
طرفًا :

حكى أن مسلم بن الوليد عاتبه وقال : يا أبا نواس، قد خلعت مذارك وأطلت  
الإكباب على المحبون حتى قلب على لُبك وما كذلك يفعل الأدباء ! فأطرق ثم قال :  
فاؤل شريك طرُح الرءاء \* وآخر شريك طرُح الإزار  
وما هناك الملاحى بمثل \* إمانة مجيد وإحياء طار  
وما جاد دهرٌ بلذاته \* على من يَضنُّ بخلع السذار

فأنصرف مسلم وقد أيس من فلاحه وهو يقول : جوابٌ حاضر، من كهيل  
فاجر. وما يحفظ من أخباره، ويروى من أشعاره فى ذلك : أنه بلغ إخوانه عنه  
أنه ترك الشراب واللذات وأخذ فى الزهد والصلاة فى أوقاتها فأجتمعوا إليه وأقبلوا  
بعتوثه، فوضع بين يديه باطية وجعل لا يدخل إليه أحد يهته إلا شرب بين يديه  
رطلا وأنشد :

فالوا نزعَ ولما يعلموا وطرى \* فى كلٍّ أخيدَ ساجى الطرف مياس  
كيف التزوع وقلبي قد تقسَّمه \* لحظَّ العيون وقرع السن بالكايس  
لاخير فى العيش إلا فى المحبون مع الـ \* أكفاء والراح والريحان والآيس

- ومسمع يتقنى والككوس لها \* حث علينا بأهماس وأسداس  
 يامورى الزند قد أكتبت قوادحه \* إقيس اذا شئت من قلبى بمقياس  
 ما أفتح الناس فى حبنى وأسمجهم \* إذا نظرتُ فلم أبصرَكَ فى الناس  
 ويحكى أنه غاب غيبة متصلة نحوًا من سنةٍ حتى ظنَّ أنه قُتل ؛ فقال الرشيد :  
 • لئن سمعتُ عندى أنه قُتل لأقتلن قاتله ولو كان المأمون ، انظروا من كان بها من الناس  
 فلما كتبوا أسمه وأرفعوه إلى ، فأرتجت لذلك بغداد . فلما كان على رأس الحول اذا نحن  
 به قد وافى ، فقلنا له : يا أبا علٍّ غبت عنا هذه الغيبة ففهمتنا . قال : كنت فى موضع  
 ارتضيه وأشتبهه . فقلنا : ألم تسمع بالفتقادنا لك وقول الرشيد فيك ؟ ولم يبق أحد  
 من إخوانه إلا ملَّكه ولامه . فقال :

- ١٠ لئن لقي شغل عن العاذلين \* بالراح والريحان والياسمين  
 عند فلام حسن وجهه \* قلبى حبس بهواه رهين  
 قولى إذا صرْتُ على ظهري \* كقول قومٍ رحلوا ظاعنين  
 سبحان من صرَّ هذا لنا \* يوما وما كنا له مقرنين

- فلما أنشدنا قال : بجاتى ! من يساعدنى منكم ، حتى أريه إياه فتمذرونى  
 أو تحسدونى ! فغضى بنا إلى الموضع ، فإذا بفلام من أحسن الناس وجهًا . فقال  
 ١٥ له : بجاتك غنٍّ ، فغضى ، فإذا هو من أحسن الناس غناءً . فقال : من يلومنى أن  
 أقطع عن أهل الدنيا وأعتكف على هذا الوجه وقد جُمع لى فيه كلُّ معنى أشتبهه  
 وأرتضيه ! انتهى .

- وحدث الفضل بن سالم عن الثورى ، قاله : خرج الحسن بن هانى ومعه  
 مطيط صاحبه ، حتى أتيا دار نحر . فقال الحسين لمطيط : ادخل بنا نخس بهذا  
 ٢٠



الخمّار . فدخلوا فستأوا فردّ عليهم . فقال له الحسن : أعينك نمرٌ حقيقَةٌ يا خمّار ؟  
فقال : عندي منها أجناس ، فأيا تريد ؟ قال : التي يقول فيها الشاعر :  
مُجِبَّتْ خَيْفَةً وَصِبَتْ بِلَهَاتٍ \* بكلاءِ العروس بمعد الصبيان  
وكأَنَّ الْأَكْفَ تُصْبَغُ مِنْ ضَوْءِ \* سناها بالورس والزعفران  
فلا له الخمار قدحا من نمر صفراء ، كأنها ذهبٌ محلولٌ ؛ فشربه الحسن وقال :  
أحسن من هذا أريد . فقال له الخمّار : أيّ جنس تريد ؟ قال : التي يقول فيها  
الشاعر :

دفعنَا أَيْدِي الْمَوَاجِرِ حَتَّى \* صَبَرَتْ جِسْمَهَا بِكِسْمِ الْهَوَاءِ  
فهى كالنور في الإناء وكالنا \* وإذا ما تَصَبَّرُ فِي الْأَحْشَاءِ

فلا له الخمار قدحا من نمر كأنها المتيق . فشربه وقال : أرفع من هذا أريد .  
فقال : أيّ جنس ؟ قال : التي يقول فيها الشاعر :  
وإذا حَسَا مِنْهَا الْوَضِيعُ ثَلَاثَةً \* سَمَحَ الْوَضِيعُ كَفْعِلِ ذِي الْقَدَرِ  
في لَوْنٍ مَاءَ الْفَيْثِ إِلَّا أَنَّهَا \* بين الضلوع كواقدة البحر  
فلا له قدحا من نمر بيضاء ، كأنها ماء المزن . فشرب الحسن وقال للخمار :  
أتعرفني ؟ قال : إني واقف يا سيدي ، أنا أعرف الناس بك . قال : من أنا ؟ قال :  
أنت الذي يسكر من غير وزن . فضحك الحسن وقال لمطيط : ادفع إليه ما بقي  
عندك من النفقة ، فأعطاه مائة درهم وأنصرف .

وقال الحسين بن الضحّك : كنت مع أبي نُوَاسٍ بمكة عام حجٍّ ، فسمع صبيّاً  
يقرا ( يَكَادُ الْبَرْقُ يَخْتَلِفُ أَبْصَارُهُمْ كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُمْ مَشَوْا فِيهِ وَإِذَا أظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا ) .  
فقال أبو نُوَاسٍ : في مثل هذا يجيئ للخمير صفة حسنة ، فسرّ ساعة ثم أنشدني :

وسيارة ضلّت عن القصد بعد ما \* تزدفهم أفق من الليل مظلم  
فأصغوا الى صوت ونحن عصابة \* وفينا قى من سكره يترنم  
فلاحت لهم منّا على النأى قهوة \* كأن سناها ضوء نار تضرّم  
إذا ما حسوناها أقاموا مكانهم \* وإن مزجت حشا الركاب ويمموا

قال : لحئت بهذا الحديث محمد بن الحسين فقال : لا ولا كرامة ، ما سرقه  
من القرآن ولكن من قول الشاعر :

وليل بهيم كتبنا قلت غورث \* كواكبهُ عادت لنا نذيل  
به الركب إنا أومض البرق يمموا \* وإن لم يلج فالقوم بالسير جهل  
وقال أبو نؤاس فيها :

١٠ ألا دارها بالساء حتى تليتها \* فاستكرم الصبأ حتى شئتها  
أطالي بها حتى إذا ما ملئتها \* أهنّت لإكرام النديم مصونها  
وقال أيضا :

١٥ تبتّه والليل ملتهس به \* وأزحمت عنه حشائه فانزاحا  
قال أبنى المصباح ، قلت له أئتد \* حسبي وحسبك ضوءها مصباحا  
فسكت منها فى الزحاجة شربة \* وكانت له حق الصباج صباحا  
من قهوة جاءتك قبل مزاجها \* عطلا فالبسها المزاج وشاحا  
شكّ الزال فؤادها فكانها \* أبدت اليك بريمها ثفاحا  
وقال أيضا :

رُدا على الكأس ، إنكا \* لاتدرى إن الكأس ما تجدى

خَفَقَتَانِي أَقَّةَ جَهْدَكَا • وَكَيْفَتِيهِ رَجَاؤُهُ عِنْدِي  
لَا تَعْدِلَا فِي الرَّاحِ إِنِّكَ • فِي غَفْلَةٍ عَنْ كُنْهٍ مَا تُسْدِي  
لَوْفَتَا مَا تَلْتُ مَا مُرِجْتُ • إِلَّا بِدَمْعِكَ مِنْ الْوَجْدِ  
مَا مَثَلَتْهُمَا إِذَا أَشْمَلْتُ • إِلَّا أَشْمَلْتُ فِيمَ عَلَى خَدِّ  
إِن كُنْتَا لَا تُشْرِبَانِ مَعِي • خَوْفُ الْإِلَهِ شَرِبَتْهَا وَحْدِي

وأخبار الحسن بن هاني فيها كثيرة، وفيما أوردناه منها كفاية .

ومنهم : الترواني، كان شاعرا مطبوعا بليفا، من أهل الخلاعة المشهورين .

وكان آخر أمره أن أصيب في حانة خماريين زقن نحر وهو ميت . وهو القائل

فيها :



كُرَّ الشَّرَابُ عَلَى نَشْوَانٍ مُضْطَجِعٍ • قَدْ هَبَّ يَشْرِبُهَا وَالَّذِي لَمْ يَصْبِحْ  
وَاللَّيْلُ فِي عَسْكَرٍ حُمِرَ بَوَارِقُهُ • مِنَ التَّجُومِ، وَضَوْءُ الصَّبَاحِ لَمْ يَضِغْ  
وَالْعَيْشُ لَا عَيْشَ إِلَّا أَنْ تُبَاكَرَهَا • نَشْوَانٌ تَقْتُلُ هَمَّ النَّفْسِ بِالْفَرَجِ  
حَتَّى يَطْلُ الَّذِي قَدْ بَاتَ يَشْرِبُهَا • وَلَا مَرَاخَ بِهِ يَخْتَالُ كَالْمَرْجِ

ومنهم : مطيع بن إلياس . وكان شاعرا أدبيا ظريفا مشتهرا بالخلاعة

واللعب . وكان أصحابه على ذلك، وهم يحيى بن زياد، ووالبة بن الحباب، وحماد

عجود، اجتمعوا يوما يشربون وأقاموا على ذلك أياما، فقال لهم يحيى بن زياد :

ويحكم ! ما صليتنا منذ ثلاثة أيام فقوموا حتى نصل ، فقالوا : نعم ، وقام مطيع

فأذن وقال للفتية : تقدى فصل بنا ، فتقدمت وكانت بنير سراويل وعليها غلالة

رقيقة ، فلما صعدت انكشف فرجها فوثب اليه مطيع وقبله وقال :

ولما بدا هتبا جاعا \* كرايس حليق ولم يمتد

مجدت طيبه فقبته \* كما يفعل العابد المجتهد

قطعوا صلاتهم بالضحك وطادوا الى ما كانوا عليه .

ومنها : أبو عبد الرحمن المطوي . كان شاعرا فصيحاً ، لا يكاد يتقدمه أحد

بجزالة ألفاظه وحلاوة معانيه . وكان مولعا بالتميز مشتهراً بها مدمناً عليها ، أكثر

أشعاره فيها . فمن شعره :

أخطب لكأسك تدمانا تُسربه \* أولاً فنأدِم طليحا حكمة الكتب

أخطبه حراً كريماً ذا عفاف \* ترى مودته من أقرب النسب

وقال أيضاً :

١٠ وكَم قالوا تَمَنَّيْ ، فقلتُ كأساً \* يطوف بها قضيبٌ في كئيب

وتَدَمَانَا يُساقطُنِي حديثاً \* كصديق الوعد أو غصن الرقيب

ومنها : أبو هفان . وكان شاعرا حسنا ، وخليعا ماجنا ، حكى أنه شرب مع

أحمد بن أبي طاهر حتى فنى ما عندهما ، وكانا يمحوران العلاء بن أيوب . فقال ابن

أبي طاهر لأبي هفان : تماوت حتى نحتال على أبي العلاء في أن ينيلنا شيئا .

١٥ فمضى إليه ابن أبي طاهر فقال : أصلحك الله ! نزلنا جوارك فوجب حقنا عليك ،

وقد مات أبو هفان وليس له كفن . فقال لوكيله : امض معه وشاهد أمره

وآدفع إليه كفتنا . فأتاه فوجده ملقاً عليه ثوبٌ فتقرأفه فضرط . فقال : ما هذا ؟

فقال : أصلحك الله عجلت له صمقة القبر فإنه مات وعليه دين ؛ فضحك وأمر له

بدنانير .

٢٠ ومنها : الأقيشر . وكان مغرماً بالشراب مدمناً عليه . وهو الغافل :

ومُقعد قوم قد مثنى من شرابنا \* وأعمى سقيناها ثلاثا فأبصروا

كَبَيْتُ كَانَ الْعَنْبَرُ الْوَرْدَ رِيْحُهُ \* وَمَسْحُوقُ هِنْدِيٍّ مِنَ الْمَسْكِ أَذْفَرَا  
ومِنْهُمْ : النِّعَانُ بْنُ عَلِيٍّ بْنِ قُضَيْلَةَ . وَكَانَ عَامِلًا لِعُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ  
عَلَى مَيْسَانَ ، وَكَانَ مَدْمَنَ الشَّرَابِ . وَهُوَ الْقَائِلُ :

أَلَا أُبَلِّغُ الْحَسَنَاءَ أَنَّ خَلِيلَهَا \* بِمَيْسَانَ يُسْقَى فِي زُجَاجٍ وَحَنَتِيْمٍ <sup>(١)</sup>  
فَإِنْ كُنْتُ نَدْمَانِي فَبِالْأَكْبَرِ أَسْقِيْنِي \* وَلَا تَسْقِيْنِي بِالْأَصْفَرِ الْمُنْتَلِيْمِ  
لَعَلَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ يَسُوهُ \* تَنَادُمْنَا بِالْجَوْسَقِيِّ الْمُنْتَهَدِمِ <sup>(٢)</sup>  
فَبَلَّغَ الشَّعْرَ عَمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .

فَكُتِبَ إِلَيْهِ : ( بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ، ثُمَّ تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنْ اللَّهِ الْعَزِيزِ  
الْعَلِيمِ غَافِرِ الذَّنْبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ ذِي الطُّوْلِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ إِلَهُهُ  
الْمُصِيبُ ) أَمَا بَعْدُ ، فَقَدْ بَلَّغْنِي قَوْلَكَ :

لَعَلَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ يَسُوهُ \* تَنَادُمْنَا بِالْجَوْسَقِيِّ الْمُنْتَهَدِمِ

وَأَيُّمَ اللَّهِ لَقَدْ سَاءَ مَا أَعْرَضَ . فَلَمَّا قَدِمَ عَلَيْهِ سَأَلَهُ ، فَقَالَ : وَأَيُّهُمَا كَانَ  
مِنْ هَذَا شَيْءٌ ، وَمَا كَانَ إِلَّا فَضْلُ شَعْرٍ وَجَدْتَهُ وَمَا شَرِبْتُهَا قَطُّ . فَقَالَ عَمَرُ : أَطْلُقْ  
ذَلِكَ ، وَلَكِنْ لَا تَعْمَلْ لِي عَمَلًا أَبَدًا . فَتَرَلَّ الْبَصْرَةَ ، وَلَمْ يَزَلْ يَغْزُوعُ الْمَسَامِينَ حَتَّى  
مَاتَ وَرَحِمَهُ اللَّهُ .

ومِنْهُمْ : عِمْرَةُ بْنُ الْوَلِيدِ بْنِ الْمَغِيْرَةِ . خَطَبَ أَمْرَأَةً مِنْ قَوْمِهِ ، فَقَالَتْ :  
لَا أُتْرَقُ حَتَّى تَدْعَ الْخَمْرَ وَالزَّانَا . فَقَالَ : أَمَّا الزَّانَا فَهِيَ أَدْعَاهُ ، وَأَمَّا الْخَمْرُ فَوَجَدْتِي  
بِهَا شَدِيدًا . ثُمَّ أَشْتَدَّ وَجْدُهُ بِالْمَرْأَةِ فَعَاوَدَ طَلِبَهَا ، فَقَالَتْ : حَتَّى يَحْلِفَ بِطَلَاقِ يَوْمٍ .

(١) الْحَنَمُ : الْجُرَّةُ الْخَضْرَاءُ .

(٢) الْجَوْسَقِيُّ : الْقَصْرُ .

يزنى أو يشرب نحرًا؛ لخلف لها وترجها . ومكث حينًا لا يشرب، الى أن مر  
بختار وعنده قوم يشربون وقينة تغنيهم وهو على ناقه؛ فطرب اليهم وأرتاح ورمى  
بثيابه الى الخمار، وقال : أسقمهم بها؛ ونحر لهم ناقته، ومكث أيامًا يطعمهم ويسقيهم  
حتى أنفذ ماله . ثم رجع الى امرأته، فلامته، فأشأ يقول :

أَقْلَى عَلَى اللُّوْمِ يَا أُمَّ سَالِمَ \* وَكُنْتُ فَاثَ الْعِيشِ لَيْسَ بِدَائِمِ  
أَسْرَكَ لَنَا صَرِخَ الْقَوْمِ نَشْوَةً \* خَرُوجِي مِنْهُمْ سَالِمًا غَيْرَ غَايِمِ  
سَلِيًّا كَأَنِّي لَمْ أَكُنْ كُنْتُ مِنْهُمْ \* وَلَيْسَ الْخِلْدَاعُ مِنْ تَصَاغِي التَّنَادِمِ  
ثُمَّ قَالَ لَهَا : الْحَقِّي بِأَهْلِكَ، وَعَادِ إِلَى مَا كَانَ طَبْعُهُ .



وأما من أفتخر بشريها وسبائها، فقد كانت العيرب تفتخر بسبائها،  
وتضيفه الى عظيم غنائها، وتقرنه بمذكور بلائها . وشاهد ذلك قول امرئ القيس :  
كَأَنِّي لَمْ أَرْكَبْ جَوَادًا لِلدَّيَةِ \* وَلَمْ أَتَبَهَّنْ كَاعْبَا ذَاتَ خَطَالِ  
وَلَمْ أَسْبِ الزُّقَى الرَّوِيِّ وَلَمْ أَقْلِ \* لَخِلْيَ كُرَى كَرَّةٍ بَعْدَ لَجْفَالِ  
فقرن جوده في سبائك الزق بيسالته في كراخيل . ولما أنشد أبو الطيب المتنبي  
سيف الدولة بن حمدان قصيدته التي يقول فيها :

وَقَفْتَ وَمَا فِي الْمَوْتِ شَكٌّ لَوَاقِفَ \* كَأَنَّكَ فِي جَفْرِ الرَّدَى وَهُوَ نَائِمٌ  
تَمْرُكُكَ الْأَبْطَالُ كَلَّمَى هَزِيمَةً \* وَوَجْهُكَ وَضَاحٌ وَتَشْرُكُ بِأَمِّ  
فقال له سيف الدولة : انتقدنا طيلك يا أبا الطيب هذين البيتين كما أنتقد على  
امرئ القيس بيتاه، وذكرهما، قال : ويذاك لا يلثم شطراهما كما لا يلثم شطرا.  
هذين البيتين : كان ينبغي لامرئ القيس أن يقول :

كأنى لم أركب جوادا ولم أفل \* نلبيلى كرى كرى بعد إجفالى  
ولم أسبأ الزقى الروى للذة \* ولم أتبطن كاعبا ذات خلخال  
وأن تقول أنت :

وقفت وما فى الموت شك لواقف \* ووجهك وضاح وتفرك باسم  
تمزبك الأبطال كلنى هزيمته \* كأنك فى جفن الردى وهو نائم

فقال : أيد الله مولانا ! إن كان معك أن الذى استندرك على أمرى القيس أعلم منه  
بالشعر فقد أخطأ أمرؤ القيس وأخطأت أنا ، والتوب لا يعرفه البراز معرفة الحائك  
لأن البراز يعرف بجملة والحائك يعرف بجملة وتعاريفه ، لأنه هو الذى أخرجه من  
الغزلية الى التوبية . وإنما قرن أمرؤ القيس لذة النساء بلذة الركوب للعبيد ، وقرن  
السباحة فى سباه الخمر للأضياف بالشجاعة فى منازلة الأعداء ، وأنا لما ذكرت  
الموت فى أول البيت أتبعته بذكر الردى وهو الموت ليجانسه . ولما كان الجريح  
المنهزم لا يخلو من أن يكون صومسا وعينه باكية قلت :

\* ووجهك وضاح وتفرك باسم \*

لأجمع بين الأضداد فى المعنى وإن لم يتسع اللفظ لجميعها . فأعجب سيف الدولة  
بقوله ووصله .

وقال لقيط بن زُرارة :

شربت الخمر حتى خلت أنى \* أبو قابوس أو عبد المّدان

وقال حسان بن ثابت الأنصارى حفا الله عنه ورحمه :

إذا ما الأشريبات دُكرن يوما \* فهرب لطيف الراح الفداء  
وتشرهبا فتتركا ملوكا \* وأُسدا ما ينهنها اللقاء

حكى ألك حسن بن ثابت عتف جماعة من الفتيان على شرب الخمر وسوء تنادهم عليها وأنهم يضربون عليها ضرب الإبل ولا يرجعون عنها ؛ فقالوا : إنا إذا هممنا بالإفلاق عنها ذكرنا قولك :

ونشريها فتركتنا ملوكا \* وأسدنا ما ينهها اللقاة

فعاودناها .

وقال الأخطل مخاطب عبد الملك بن مروان :

إذا ما ندبى طلى ثم طلى \* ثلاث زجاجات لمن هدير  
نرجت أجر الذيل حتى كأنى \* عليك أمير المؤمنين أمير

وقال آخر :

إذا صدمتني الكأس أبدت عاسنى \* ولم ينخش تدمانى أذى ولا بخل  
ولست بقعاش عليه وإن أسا \* وما شكل من أذى نداماه من شكل  
وقال آخر :

شربنا من الداذى حتى كأننا <sup>(١)</sup> \* ملوك لهم بر العراقين والبحر  
فلما أنجلت شمس النهار رأيتنا \* تولى الفنى عنا وعاودنا الفقر

❦

ومثله للنخل الشكرى :

فإذا سكرت فإنى \* رب الخورني والسدير  
وإذا صحوت فإنى \* رب الشوية والبعير

وقال عترة :

وإذا سكرت فإنى مستهلك \* مالى، وعرضى وأفر لم يكلم  
وإذا صحوت فما أقصر عن ندى \* وكما طمت شمائل وتكرى

(١) الداذى : شراب معروف بجمدة إسكارة .



أخذه البعثرى وزاد عليه في قوله :

وما زلتِ خلًّا للندامى إذا أنتشوا \* وراحوا بدورا يستحثون أنجبا

تكرمت من قبل الكئوس عليهم \* فما أسطمن أن يُحدثن فيك تكزما

والزيادة أن عسرة ذكر أنه يستهلك ماله إذا سكر، والبعثرى ذكر أن ممدوحه

يتكرم قبل الكئوس فيبالغ حتى لا تستطيع الكئوس أن تزيد تكزما .

وكان الأعشى ميمون بن قيس مشهورا بتعاطي الخمر مشغوقا بها كثير الذكرا

في شعره . ومن أشتهاره بها قال المفصل بين قدماء الشعراء : أشعرهم امرؤ القيس

إذا ركب ، والتابسة إذا رهب ، وزُهير إذا رغب ، والأعشى إذا طرب . وقصد

الأعشى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليُسلم وأمتدحه بقصيدته التي أولها :

ألم تفتنض عينك ليلة أرمتنا \* وبت كما بات السليم ممهدا

فاعترضه في طريقه مريب أراد منعه ، فقالوا له : إنه يحزم عليك الزنا والخمر .

فقال : أما الزنا فقد كثرت فلا حاجة لى فيه ، وأما الخمر فلا أستطيع تركها . وعاد

لينظر فى أمره ، وقيل : إنه قال : أعود فأشربها سنة وأرجع ، فمات قبل الحول .

قالوا : ونظر الحسن بن وهب الى رجل يمس في كأسه ، فقال : ما أنصفتها ،

تضحك في وجهك وتمس في وجهها . ومن ذلك قول الشريف الرضى :

كالخمر يمس حاسيها على مقة \* والكأس تجلو عليه ثغر مبتسم

وهو مأخوذ من قول جند الله بن المعتز حيث يقول :

ما أنصف الندمان كأس مدامة \* تحسكت اليه فشمها بتعيس

### ذكر شيء مما قيل فيها من جيد الشعر

قد أوسع الشعراء في هذا المعنى وأطنبوا فيه وتوسعوا . فمنهم من مدحها ومنهم من وصفها وشبهها ، ومنهم من ذكر أفعالها وتفزل فيها . وسنورد في هذا الموضع نبذة مما طالعناه في ذلك ، إذ لو أوردنا مجموع ما وقفنا عليه لطال ، ولا كسعت فيه دائرة المقال .



فأما ما قيل فيها على سبيل المدح لها ، فمن ذلك قول ابن الرومي حيث يقول :

تأله ما أدري بآية علة \* يدعون هذا الراح باسم الراح ؟  
الريحها وروحها تحت الحشا \* أم لأتياح نديمها المرتاح ؟  
إن حرمت فبحقها من نعمة \* ما كان مثل حريمها بمباح  
أو حللت فبحقها من نسيوة \* تشفى سقام قلوبنا بصباح  
وقال أيضا :

نمر إذا ما ندبى ظل يكرها \* أخشى عليه من اللائع يحترق  
لورام يحلف أن الشمس ما غربت \* في فيه كذبه في وجهه الشفق  
ومثله قول الطليق المرواني :

فإذا ما غربت في فيه \* أطلعت في الخلد منه شفقا  
وقال الناجم :

وقهوة كشعاع الشمس صافية \* مثل المراب ترى من رقعة شبع  
إذا تماطيتها لم تدر من فريج \* راحا بلا قدح أعطيت أم قدحا ؟

وقال الناشئ :

يا ربّما كُلمت تناولتها \* تسحب ذيلًا من تلالها  
كانها النار ولكنّها \* منعمٌ وإلهٌ صالها

ومما قيل في وصفها وتشبيهها؛ فمن ذلك ما قاله يزيد بن معاوية :

ومدامة حمراء في قارورة \* زرقاء تحملها يدٌ بيضاء  
فالمر شمسٌ والحباب كواكب \* والكف قطبٌ والإناء سماء

وقال السروي :

عُتيت بالمدامة الشمرأ \* وصفوها وذاك عندي عناء  
كيف تحصيل عليها وهي موت \* وحياءٌ وعلةٌ وشفاء  
فهى في باطن الجوانح نار \* وهى في ظاهر الحاجر ماء  
حلوة مرة لها أحد يد \* رى أداءً خُصُوصها أم دواء

وقال البحرى :

اشرب على زهر الرياض يشوبه \* زهر الحدود وزهرة الصبابة  
من قهوة تُلبي الهموم وتبعث الـ \* شوق الذى قد ضلّ في الأحشاء  
يُخفى الزجاجة لوئها فكانها \* في الكف قائمة بنير إناه  
ولما نسيم كالرياض تنفست \* في أوجه الأرواح والأنساء  
وفواقع مثل الدموع تردت \* في صحن خد الكاعب الحساء  
يسقيها رشاً يكاد يردها \* سكرى بفترة مقلّة حواء  
يسعى بها وبمثلها من طرفه \* عوداً وإبداءً على الندماء  
وقال الواواء النشقي :

فأمرُج بمالك نار كاسك وأسقنى \* فلقطد مزجت مدامى بدماء

وأشرب على زهر الرياض مُدَامَةً \* تَسْفِي المسمومَ بِعاجِل السَّراءِ  
لَطَفْتُ نصارت من لطيف عَظْمَا \* تَجْرِي بِكْرَى الرّوْحِ فِي الْأَعْضَاءِ  
وَكُنْتُ مَحْقَقَةً عَلَيْهَا جَوْهَرٌ \* مَا بَيْنَ نَارِ أَذِكَيْتَ وَهَوَاءِ  
وَكُنْتُ حَامِلَ كَأْسِهَا \* إِذْ قَامَ يَحْمِلُهَا عَلَى النَّدَمَاءِ  
شَمْسُ الضَّمْحَى رَقِصَتْ فَتَقَطَّ وَجْهَهَا \* بِدُرِّ الدَّبَجِ بِكُوكَبِ الْجُوزَاءِ  
وَقَالَ أَبُو نُوَّاسٍ :

أَقُولُ لِمَا تَحْسَبُ كَيْسَهَا \* أَنَّهُمَا لِلشَّابِهِ الذَّهَبُ  
هِيَ سَوَاءٌ وَفَرَّقُ بَيْنَهُمَا \* أَنَّهُمَا جَامِدٌ وَمُلْسَكٌ

وَلَهُ أَيْضًا :

١٠ إِذَا عَبَّ فِيهَا شَارِبُ الْقَوْمِ خَلَّتْ \* يَقْبَلُ فِي دَاجٍ مِنَ اللَّيْلِ كَوَكَبَا  
تَرَى حَيْثَا كَانَتْ مِنَ الْبَيْتِ مَشْرِقًا \* وَمَا لَمْ تَكُنْ فِيهِ مِنَ الْبَيْتِ مَغْرِبًا  
يَدُورُ بِهَا سَائِقٍ أَضْرَبَ تَرَى لَهُ \* عَلَى مُسْتَدَارِ الْأُذُنِ صُدْفًا مُعَقَّرًا  
سَقَاهُمْ وَمَتَانِي بِعَيْلِهِ مُنِيَّةً \* فَكَانَتْ إِلَى تَقْصَى اللَّذِّ وَأَطْيَبِ  
وَمِثْلَ الْبَيْتِ الْأَوَّلِ قَوْلُ ابْنِ الْمُعْتَرِّ :

١٥ كَأَنَّهُ قَائِمٌ وَالْكَأْسُ فِي يَدِهِ \* هَلَالٌ أَوَّلِ شَهْرِ رَاغِبٍ فِي شَفَقِ  
وَقَالَ ابْنُ الرُّومِيِّ :

وَمُهْجَفٍ تَمَّتْ حَاسِنُهُ \* حَتَّى تَجَاوِزَ مَتْنَى النَّفْسِ  
أَبْصَرْتُهُ وَالْكَأْسُ بَيْنَ فَمٍ \* مِنْهُ وَبَيْنَ أَنْامِلِ نَحْمِسِ  
فَكَأَنَّهُ وَالْكَأْسُ فِي لَهٍ \* قَرٌّ يَقْبَلُ عَارِضَ الشَّمْسِ

وقال الحسين بن الضحاك :

كأنما نُصِبَ كأسه قسرٌ \* يكرع في بعض النجم الفلكِ

وقال آخر :

وأكلت من فضةٍ دُرّاً \* خلّتها من تحتها ذهب  
ككبت اللون قلدها \* فارسٌ من لؤلؤ حَبِبا

وقال آخر :

تنشى<sup>(١)</sup> بياض شاربها \* فتناولها يمين مختضب  
دارت وعين الشمس فائبة \* فحسبت عين الشمس لم تغب

وقال آخر :

حرراء وردية مشعشة \* كأنها في إناثها لُهب  
صهباء صرفاً لو مَسَّها حجرٌ \* من جامد الصخر مَسَّه طربُ

وقال آخر :

قلت والراح في أكف النداي \* كنجوم تسلوح في أبراج  
أمداماً خرطتمُ المُدام \* أم زجاجاً سبكتُم لزجاج

وقال الحسن بن وهب :

وقهوة صافية \* كالمسك لما نفعا  
شربتُ من دنانها \* من كلِّ دَنٍّ قدحا  
فصدتُ لا تمحلى \* أعودُ سرجى مَرَحاً  
من شدة السكر الذي \* على فؤادي طمعا

(١) هذا الشعر غثيل الوزن وورد هكذا بكل الأصول . ولعله : « تنشى الكزوس » أو تنشى

المدام « ما يستقيم به المعنى والوزن .

وقال ابن المعتز :

خَلِيلٌ قَدْ طَابَ الشَّرَابُ الْمُبْرَدُ \* وَقَدْ صَدَتْ بَعْدَ النِّسْكَ وَالْعَوْدُ أَحْمَدُ  
فَهَاتِ عُقَارًا مِنْ قَمِيصِ زَجَاجَةٍ \* كَمَا قُوِيَ فِي ذُرَّةٍ تَتَوَقَّدُ  
بِصَوْغِ عَلَيْهَا الْمَاءُ شَبَاكَ فُضِيَّةٍ \* لَهُ حَلَقٌ بَيْضٌ مُحَلٌّ وَتُهُقْدُ

وقال التنوخي :

وَرِاحٌ مِنَ الشَّمْسِ مَخْلُوقَةٌ \* بَدَتْ لَكَ فِي قَدَحٍ مِنْ نَهَارٍ  
هُوَ أَوْ وَلَكِنَّه مَآكِنٌ \* وَمَاءٌ وَلَكِنَّه شَيْءٌ جَارِي  
إِذَا مَا تَأَمَّلْتَهُ وَهِيَ فِيهِ \* تَأْتَلَتْ مَاءً عَمِيظًا بِنَارٍ  
فَهَذَا النِّهَايَةُ فِي الْإِيضَايَاضِ \* وَهَذَا النِّهَايَةُ فِي الْإِحْمَارِ  
وَمَا كَانَ فِي الْحَكْمِ أَنْ يُوجَدَا \* لِفَرْطِ تَنَافُهِمَا وَالتَّغَايُرِ  
وَلَكِنْ تَجَاوَرَا سَطْحَاهُمَا أَلَا \* بِسَيْطَانٍ فَاتْلَفَا بِالْحَوَارِ  
كَأَنَّ الْمَدِيرَ لَهَا بِالْيَمِينِ \* إِذَا مَالَ بِالسَّقَى أَوْ بِالْبَسَارِ  
تَدْرَعُ نَوْبًا مِنَ الْيَاسَمِينِ \* لَهُ فَرْدٌ كَمَنْ الْجُلُنَارِ

وقال ابن وكيع التنهسي :

حَمَلْتُ كَفَّهُ إِلَى شَفْتَيْهِ \* كَأَسَهِ وَالظَّلَامُ مُرْعَى الْإِزَارِ  
فَأَلَسَنِي لَوْلَا حَبَابٌ وَثِيرٌ \* وَعَقِيْقَانِ مِنْ فَمِ وَعُقَارِ

وقال آخر :

فَمَ فَاَسَقْنِي قَدْ تَبَلَّجَ الْفَسَقُ \* مِنْ قَهْوَةٍ فِي الزَّحَاجِ تَأْتَلِقُ  
كَأَنَّنَا وَالْكُثُوسَ نَأْخُذُهَا \* نَشْرَبُ نَارًا وَلَيْسَ مُحْتَرَقُ

وقال أبو نواس :

غُثَّتْ بِالطَّلُولِ كَيْفَ بَلَيْنَا \* وَأَسْقَيْنَا نَمِطَكَ الْجُزَاءَ الثَّمِينَا <sup>(١)</sup>  
 مِنْ سَلَاةٍ كَانَهَا كُلُّ شَيْءٍ \* يَتَمَقَّى غَضَبَ ابْنِ يَكُونَا  
 أَكَلَ الدَّهْرُ مَا تَجَسَّمُ مِنْهَا \* وَتَبَقَّى لَنَا بِهَا الْمَكُونَا <sup>(٢)</sup>  
 فَإِذَا مَا أَجْتَلَيْتَهَا فَهَبَاءٌ \* تَمْنَعُ الْكَفَّ مَا تُبَيِّحُ الْعَيُونَا  
 ثُمَّ تُجَبَّتْ فَاسْتَضَحَكَتْ مِنْ لَأَلٍ \* لَوْ تَجَمَّرَ فِي يَدٍ لَأَقْتَنِينَا  
 فِي كُثُوبٍ كَأَنَّهُنَّ نَحْسُومُ \* جَارِيَاتٍ ، بُرُوجُهَا أَيْدِينَا  
 طَالَعَاتٍ مَعَ السَّقَاةِ طِينَا \* فَإِذَا مَا غَرَّيْنَ يَغْرُبْنَ فِينَا  
 لَوْ تَرَى الشَّرْبَ حَوْلَهَا مِنْ بَعِيدٍ \* قُلْتَ قَوْمٌ مِنْ قِرَّةٍ يَصْطَلُونَا

وقال ابن المعتز :

وَنَحَارَةٌ مِنْ بَنَاتِ الْمَجُوسِ \* تَرَى الدَّنَّ فِي بَيْتِهَا سَالِلَا  
 وَزَنًّا لَهَا دَعَبًا جَامِدًا \* فَكَالَتْ لَنَا ذَهَبًا سَالِلَا



وَأَمَّا مَا قِيلَ فِي أَفْعَالِهَا ، فَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُ أَبِي تَمَّامِ الطَّائِي :

وَكَأْسٍ كَمَسُورِ الْأَمَانِيِّ شَرِبْتُهَا \* وَلَكِنِّي أَجَلْتُ وَقَدْ شَرِبْتُ عَقْلِي  
 إِذَا عُوْتُيْتُ بِالْمَاءِ كَانَ أَحْذَارُهَا \* لَهْيَا كَوَقْعِ النَّارِ فِي الْحَطَلَبِ الْجَزَلِ  
 إِذَا الْيَدُ نَالَتْهَا بَوْتَرٍ تَوَقَّرْتُ \* عَلَى ضِفْئِهَا ثُمَّ اسْتَقَادَتْ مِنَ الرَّجُلِ <sup>(٣)</sup>

(١) في الأصل : « قَعَّةُ الْجَزَاءِ ... » وهو تحريف . وفي ديوان أبي نواس

\* وَأَسْقَيْنَا نَمِطَكَ الْكُتَاةَ الثَّمِينَا \*

(٢) كَذَا بِالْأَصْلِ ، وفي الديوان : \* وَتَبَقَّى لَهَا بِهَا الْمَكُونَا \*

(٣) كَذَا فِي الدِّيَّوَانِ . وفي الأصل : « سَمْنَهَا » وهو تحريف .

ومثله قول ديك الجحش وأسمه عبد السلام :

فقام تكاد الكأس تخضب كفه \* وتحسبه من وجته أسنعارها  
مشعشة من كف ظني كأنما \* ناولها من خده فأدارها  
فظلنا بأيدينا نتعتع رُوحها \* وتأخذ من أقدامنا الرُح تارها  
وقريب من المعنى الأول قول أبي بكر الخالدي :

كانت لها أرجل الأ علاج وآرة <sup>(١)</sup> \* بالدوس فانتصفت من رأس العريب  
[أخذ هذا المعنى أبو ظالب الإصباغي الكاتب فقال :

عقرتهم مقصورة لو سالت \* شُرَّابها ما تُمَيِّثُ بِعُقَارِ  
لأنت لم حتى أنتشوا وتمكنت \* منهم فصاحت فيهم بالشار  
ذكرت حقائدها القديمة إذ غدت \* صرعى تُداسُ بأرجل المُصَارِ  
وقال آخر :

أسروها وجه النهار من الدت فأسسوا وهم لها أسراء

وقال عبد الصمد بن بابك عفا الله عنه :

عقار عليها من دم الصب نفضة \* ومن عبرات المستهام فواقع  
معزودة غصب العقول كأنما \* لها عند الباب الرجال ودائع



وأما ما وصفت به غير ما قد مرناه، فمن ذلك قول أبي الفضل يحيى بن سلامة

الحصكفي [الحصكفي نسبة إلى حسن كفا] :

وخليع بت أحببه \* ويرى حتى من العبث

(١) الأ علاج : جمع طلع وهو الرجل من كفار المعجم .

(٢) الزيادة التي بين هاتين اللَّامتين [ مقولة عن إحدى النسخ .



قُلْتُ إِنَّ الْمَرْحَبَةَ \* قَالَ حَاشَاها مِنْ الْحَبَثِ  
قُلْتُ مِنْهَا الْقِيَاءُ، قَالَ أَجَلٌ \* طَهَّرْتُ عَنْ مَخْرِجِ الْحَدِيثِ  
قُلْتُ فَالْأَرْفَاقُ تُتَبِعُهَا \* قَالَ طِيبُ الْعَيْشِ فِي الرِّفَاقِ  
وَسَأَلُوهَا فَقُلْتُ مَتَى \* قَالَ عِنْدَ الْكَوْنِ فِي الْجَدِيثِ  
وقال آخر:

ثَقُلْتُ زِيَّاجَاتُ أَتْنَا فُرْطَا \* حَتَّى إِذَا مِلْتُ بِصِرْفِ الرَّاحِ  
خَفْتُ فَكَادَتْ أَنْ تَطْلُبَ مَحَاوِتَ \* وَكَذَا الْجِسْمُ تَحْتَفُّ بِالْأَرْوَاحِ  
[ وقريب من المعنى قول الآخر:

وَزَيْدُ الْكَأْسِ فَارِغَةٌ وَمَلَأَى \* فَكَانَ الْوِزْنُ بَيْنَهُمَا سَوَاءً <sup>(١)</sup>  
وقال أبو نواس :

فَهْوَةٌ أَهْمِي عَنْهَا \* فَانْظُرَا رَبِّ الْمُنُونِ  
عُتِقْتُ فِي الدُّنَى حَتَّى \* هِيَ فِي رَقَّةٍ دِينِي  
ثُمَّ تَجِبْتُ فَأَدَارَتْ \* فَوْقَهَا مِثْلَ الْعِيُونِ  
حَدَقًا تَرَوُ الْبِنَا \* لَمْ تُحَجَّرْ بِجَفُونِ  
نَهَبًا يُتَكْرَدُ \* كُلُّ إِبَانٍ وَحِينِ  
مَنْ يَدْنَى سَاقٍ طَلِبَةٍ \* حَلَّةٌ مِنْ يَاسَمِينِ  
غَايَةِ فِي الظَّرْفِ وَالشَّكْلِ وَفَرْدِ الْمَعِينِ

وقال :

ذُذِّمَ الْكَرَمُ وَالْعَنِيبُ \* خَطَرَاتِ الْمَهْمِ وَالنُّوبِ  
فَهْوَةٌ لَوْ أَنَّهَا نَطَقَتْ \* ذَكَرْتُ سَامًا إِيَّا الْعَرَبِ

(١) الزيادة التي بين هاتين السلاتين [ مقولة من بعض النسخ،

وهي تكسو كَفَّ شارِبها \* دَسْبَانَاتٍ مِنَ الذَّهَبِ <sup>(١)</sup>

وقال تاج الملوك بن أيوب :

وكم لَيْلَةٍ فِيهَا وصلنا غَبُوقَنَا \* وكم من صَبَاحٍ كان فيه صَبُوحُ  
تُدار علينا من أَكفِّ سُقَاتِنَا \* حُقَارٍ مِنَ المِّمِّ الطَّوِيلِ تُرِيحُ  
تلوح لنا كالشمس في كَفِّ أَغْيَدِ \* يلوح لعيني البدر حين يَلُوحُ  
مدام تُحَاكِي خَدَّه ورَضَابَه \* ونكته في الطَّيِّبِ حين تَفُوحُ  
ولكن لما أفعال عَيْلِيه في الحشا \* فكلُّ حشَا فيها عليه بَحْرِحُ

وقال أيضا :

والكَاسُ أعطاه عَقِيْقًا أَحْمَرًا \* قَائِلٌ ، فَأَعْطِيهَا بَلْجِيْنَا يَفْقَا <sup>(٢)</sup>  
من قَهْوَةٍ ما العِيشُ إِلَّا أَنْ أَرَى \* مصطَبِحا في شَرْبِها مَفْتِيحا  
أشْرِبها ثُبْرًا هَنِيئًا مِنْ يَدَيَّ \* غَصْبِي رَشِيْقِي وَغَزَالِ أَرْشَقَا

ومما قيل فيها إذا مُزِجَتِ بالماء ، فمن ذلك قول أبي نواس :

وصَفْرَاءُ قَبْلَ المَزْجِ بِيضَاءُ بَعْدَه \* كَأَنَّ شِعَاعَ الشَّمْسِ يَلْقَاكَ دُونَهَا  
تَرى العَيْنَ تَسْتَعْفِيكَ مِنْ لَمَعَانِهَا \* وَتَحْسُرُ حَتَّى مَا تَقِلَّ جَفَوْنَهَا

ومنه أَخَذَ دِيكَ الْجَنْ فَقَالَ :

وحمرَاءُ قَبْلَ المَزْجِ صَفْرَاءُ بَعْدَه \* بَدَتْ بَيْنَ ثَوْبِي نَرَجَسَ وَشَقَائِي  
حَكَتْ وَجَنَةَ المَعشُوقِ صِرْفًا فُسْطَوْا \* طَلِيهَا مَزَاجًا فَأَكَسَتْ لَوْنَ عَاشِي  
وقال أبو هلال العسكري :

رَأَى إِذَا ما اللَّيْلُ مَدَّ رَوَاقَه \* لَاحَتْ تُطَرِّزُ حَلَّةَ الظَّالِمَاءِ

(١) الدَسْبَانَاتُ: كلمة فارسية وسماها الأمازيغ (٢) اليَقِي: الأبيض .

حتى اذا مَرَجَتْ أَرْوَاحُ حَبَابِهَا \* زَهْرَايَ أَرْضِ أَوْ نَجُومَ سَمَاءِ

وقال أيضا :

وَكَأْسٌ تَمْتَلِي أَطْرَافَ كَفِّ \* كَأَنَّ بَنَانَهَا مِنْ أَرْجَوَانِ

أَنَازَعَهَا عَلَى الْعَلَاتِ شَرِبًا \* لَمَنْ مَضَا حُلُّهُ مِنْ أَفْجَوَانِ

يُلُوحُ عَلَى مَفَارِقِهَا حَبَابٌ \* كَأَنصَافِ الْفَرَائِدِ وَالْجَمَانِ

وَطَلَعْنِي الْفَلَاحُ بِهَا مُصْبِرًا \* فَزَادَ عَلَى الْكُؤَاكِبِ كُؤُوبَانِ

وَوَافَقَهَا بِمُخْدِ أَرْجَوَانِ \* وَخَالَفَهَا بِفَرْجِ أَدْجَوَانِ

قوله :

\* كَأَنصَافِ الْفَرَائِدِ وَالْجَمَانِ

مأخوذ من قول ابن الرومي :

لَهَا صَرِيحٌ كَأَنَّهُ نَهْبٌ \* وَرَغْوَةٌ كَاللَّائِي الْفُلُوقِ

وقال أبو نواس :

فَإِذَا حَلَاها الْمَاءُ أَلْبَسَهَا \* حَبًّا شَبِيهَ جَلَاجِيلِ الْجَحْلِ

حتى إِذَا سَكَنَتْ جَوَانِحَهَا \* كَتَبَتْ بِمِثْلِ أَكَارِعِ الْخَمْلِ

وهو مأخوذ من قول الأئول، ويقال : إنه ليزيد بن معاوية :

وَكَأْسٌ سَبَّاهَا النَّجْرُ مِنْ أَرْضِ بَابِلِ \* كَرَقَةُ مَاءِ الْحُسَيْنِ فِي الْأَعْيُنِ النَّجْلِ

إِذَا تَجَمَّعَ السَّاقِ حَسِبْتَ حَبَابَهَا \* عَيُونَُ الدُّبَابِ مِنْ تَحْتِ أَجْنَمَةِ الْخَمْلِ

وقال أبو نواس أيضا :

قَامَتْ تُرْبِي وَأَمْرُ اللَّيْلِ مَجْمَعٌ \* صَبَاحًا تَوَلَّدَ مِنْ الْمَاءِ وَاللَّهَبِ

(١) كذا في ديوانه . وفي الأصول : « نَمَشَا » . (٢) كذا بالأصل . وفي الديوان :

« جَوَانِحُهَا » . (٣) الدُّبَابُ : الْبُحْرَاءُ .

كَأَنَّ صُغْرَى وَكُبْرَى مِنْ فِقَاقِهَا \* حَصْبَاءُ دُرٍّ عَلَى أَرْضٍ مِنَ الذَّهَبِ  
وقال ابن المعتز :

لَلَّاءُ فِيهَا كِتَابُهُ عَجَبٌ \* كَثَلُ تَقِيصٍ فِي قَصِّ يَاقُوتِ

وقال العسكري :

ذَابَ فِي الْكَأْسِ عَقِيْقُ بَغْرَى \* وَطَلَا الدُّرُّ عَلَيْهِ نَسِيْحُ  
نَصَبَ السَّاقِ عَلَى أَفْدَانِهَا \* شَبَكَ الْفِضَّةَ تَصْطَادُ الْفَرَحُ

وقال ابن الساطق :

وَلَيْلَةُ بَاتَ بِدُرِّ الْقَمِّ سَاقِيْنَا \* يُدِيرُ فِي قَلْبِكَ مِنْ شَرِبِهَا شُبُهًا  
بَكَرَ إِذَا فُرِعَتْ بِالْمَاءِ كَالْبَنَى \* جِدًّا وَإِنْ كَانَ فِي كَاسِهَا لَعِبًا  
حَمْرَاءُ مِنْ نَجْلِ حَتَّى إِذَا مُزِجَتْ \* لَمْ تَدْرِ مَا نَجَّهَا مَحْمَرُّ أَمْ غَضِبًا  
تَزِيدُ بِالْبَارِدِ السَّلْسَالِ جِلْوَتَهَا \* وَمَا سَمِعْتَ بِمَاءٍ بِجِدِّ لَهَا  
تَكْسُو التَّيْمَ إِذَا مَا ذَاقَهَا وَتَحَا \* حَتَّى كَأَنَّ شِعَاعَ الشَّمْسِ قَدْ شَرِبَا

وقال آخر :

فَنَبْهَنِي وَمَا فِي الْقَوْمِ يَمْزُجُهَا \* فَصَارَ فِي الْبَيْتِ لِلصَّبَاحِ مَصْبَاحُ  
قَلْبَا عَلَى مَلَبَتَا وَالشُّكِّ يَغْلِبُنَا \* أَرَاخُنَا نَارُنَا أَمْ نَارُنَا الرِّيحُ

وقال ابن وكيع التميمي :

وَصَفْرَاءُ مِنْ مَاءِ الْكُرُومِ كَأَنَّهَا \* فَرَأَى عِلْوًا وَلَفَاءُ صَدِيقِ  
كَأَنَّ الْحَبَابَ الْمُسْتَدِيرَ بِطَوْقِهَا \* كَوَاكِبُ دُرٍّ فِي سَمَاءِ عَقِيْقِ  
صَبِيتَ عَلَيْهَا الْمَاءُ حَتَّى تَمَوَّضَتْ \* قَبِصَ بَهَارٍ مِنْ قَبِصِ شَقِيْقِ

❦

وقال آخر :

حَمْرَاءُ مَا أَحْضَمُوا بِالْمَاءِ حِينَ طَلَفَتْ \* إِلَّا وَقَدْ حَسِبُوا أَنَّهَا لَهْبُ

وقال الخالديان :

فهايتها كالعروس محمزة ال \* خذنين في معجز<sup>(١)</sup> من الحبيب  
كادت تكون الهواء في أريج ال \* منبر لو لم تكن من العنبر  
من كف راض عن الصلود وقد \* غضبت في حبه على الغضب  
فلو ترى الكأس حين يمزجها \* رأيت شيئا من أعجب العجب  
فأرحوا المزاج يلهبها الماء ودور يدور في لب

ذكر ما قيل في مبادرة اللذات ومجالس الشراب وطيبها

قال أحمد بن أبي قنن :

جدد اللذات فالיום جديد \* وأمض فيا تشتهي كيف تريد  
والله ما أمكن يوم صالح \* إن يوم الشر لا كان - عتيد

وقال ديك الجحش :

تمتع من الدنيا فإنك فاني \* وإنك في أيدي الحوادث طاني  
ولا تظن اليوم لهوا إلى غد \* ومن لغير من حادث بآمان<sup>(٢)</sup>  
فاني رأيت الدهر يسرع بالفتى \* وينقله حالين مختلفان  
فأما الذي يمضي فأحلام نايم \* وأما الذي يبقى له فأمانى

وقال ابن المعتز من أبيات :

وبادر بأيام السرور فإنها \* سراع وأيام الحوم طلاء  
وخل عتاب الحادثات لوجهها \* فإن عتاب الحادثات عناء  
تعالوا فسقوا أنفسا تمهل موتها \* لباقي ما يأتي وهن رواء

(١) المعجزة: تعجب خلقه المرأة على استدارة رأسها . (٢) كذا بالأصل . ولعلها "تخلفان" .

وقال أحمد المارداني :

حاقِر الراح ودَغ نَمَتَ الطَّلَّ \* وأَعْيَص من لأمك فيها وصدَلَّ  
فأَدِيها وأَسَع لها وأَغَرَّ بها \* وإذا قِيلَ : تصابني، قل أَجَلْ  
إنما دُنْيَاكَ - فأَعْلَم - ساعة \* أنتَ فيها وسوى ذاك أَمَلْ  
وقال ابن بَسَام :

واصْبُلْ خَلِيكَ إِنْما الـ \* مَدْنِيَا مواصِلَةُ الخَلِيلِ  
وَأَنْتَمُ وَلَا تُتَعَجَّلِ الـ \* مَكْرُوهَ من قَبيل الزَّوَلِ  
بَادِرْ بِما تَهْوَى لَهَا \* تَلْدِرِي مَتَى وَقْتِ الرَّحِيلِ  
وَأَرِفُضْ مَقَالَةَ لَأَم \* إِنْ المَلَامَ من القُضُولِ

ومما وُصِفَتْ به مجالس الشرب، فمن ذلك قول أبي نَواس :  
فِي مَجْلِسٍ ضَحَكُ السُّرُورِ به \* عَن تاجِذِيهِ وَحُلَّتِ الخُمُورُ  
وقال ديك الجن :

كَأَنَّمَا البَيْتُ بِرِيحَانَةٍ \* ثَوْبٌ مِنَ السُّنْدُسِ مَشْفُوقُ

وقال السري :

أَلَسْتُ تَرَى رَكَبَ النِّعَامِ يُسَاقُ \* وَأَدْمَعُهُ مِنْ الرِّياضِ تُرَاقُ  
وَقَدَرْتُ جِلْبَابُ السِّيمِ عَلَى الثَّرَى \* وَلَكِنْ جَلَايِبُ النِّبَاحِ مِصْفَاقُ  
وَعِنْدِي مِنَ الرِّيحَانِ نَوْعٌ مَجَسَّه \* وَكَأَنَّ كَرَقَرِاقِ الخَلْقِ دِهَاقُ<sup>(١)</sup>  
وَذُو أَدَبٍ جَلَّتْ صَنَائِعُ كَفِّهِ \* وَلَكِنْ مَعَانِي الشَّعْرِ مِنْهُ دِقاَقُ  
لَهُ أَبَدًا مِنْ شَرِّهِ وَنَظَامِهِ \* بَدَائِعُ حَلِيٍّ مَا لَهَا مِنْ حِقَاقِ

(١) الخلق : ضرب من الطيب مانع فيه صفرة لأن غالب أجزائه من الزعفران .

وأغيد مهتر، على صحن خذه • غلال من صيغ الحياة رقائق  
 أحاطت حيون العاشقين بخصره • فهن له دون النطاق نطاق  
 وقد نظم المتنور فهو قلائد • طينا، وعقد مذهب وخصائ  
 وخرقتنا بين السحاب تنقي • لمن طينا حكمة ورواق  
 تقسم زوار من الهند سقفا • خفاف مل قلب الكريم رشا  
 أطجم تلذ الخصاص كأنها • كواكب زنج راحهن طلاق  
 أنسن بنا أنس الإمامة تهبث • وشمتها غدر بنا وإراق  
 مواصلة والورد في شجراته • مفارقة إن حان منه فراق  
 فزرقية، برد الشرايب لديهم • حميم إذا فارقتهم وضاق<sup>(١)</sup>  
 قوله :

١٠

أحاطت حيون العاشقين بخصره • فهن له دون النطاق نطاق  
 مأخوذ من قول المتنبي :  
 وخصر تثبت الأحداق فيه • كأك عليه من حدق نطاقا  
 وقال أبو هلال العسكري :

❦

وليل آبتعت به لذة • وبعث فيه العقل والدين  
 أصاب فيه الوصل قلب الجوى • وبات فيه المم مسكينا  
 وقد خلطنا بنسيم الصبا • نسيم راج ورياحينا  
 وأكؤس الراح نجوم اذا • لاحت بأيدينا هوى فينا  
 تضحك في الكأس أباريقنا • وحسبا تضحك تبكيينا

١٥

(١) الفساق : المتن الشديد البرد الذي يحرق من برده كل شئ من اللحم .

٢٠

ومما قيل في طيِّ مجالس الشراب؛ فن ذلك قول بعض الشعراء :  
 حُكِّمَ العُقَارِ إذا قصِدَتْ لشربها \* في لذَّةٍ من مُسَمِّعٍ <sup>(١)</sup> وقيل  
 ألا تعود لذكر ما أبصرت مز \* أجدوثه من شاربٍ سكرانٍ  
 وقال آخر :

إذا ذُكِرَ النبيذُ فليس حقًا \* إعادة ما يكون على النبيذِ  
 إعادة ما يكون من السَّكَّارِ \* يكدر صفوة العيش اللذيذِ

وقال آخر :

تَسَازَعُوا لذة الصبَاءِ بَيْنَهُمْ \* وأوجبوا لرضيع الكأس ما يجب  
 لا يحفظون حل السكران زلته \* ولا يُريكَ من أخلاقهم ريبُ

٢٠ ذكر ما قيل في وصف آلات الشراب وأوانها  
 من ذلك ما قيل في وصف معصرة النمر :

قال أبو الفرج البقاء :

ومعصرة الخنثُ بها \* وقرنُ الشمس لم يغيب  
 نفلُك قرارها بالرا \* ح بعض معادن النهب  
 وقد ذرَّفت لفتد الكر \* م فيها أجنُ العنب  
 وجاش حبابُ وادها \* بمنهلٍ ومُنسكب  
 وياقوت المصير بها \* يلاعب لؤلؤ الحبيب  
 فإعجب لعاصرها \* وما يفتنى به عجب  
 وكيف يعيش وهو يخو \* ض في بحر من الذهب

٢٥

(١) المسم : الخنث

٢٠



وقال ابن المعتز يصف الدنان :

ودنان كمثل صف رجال \* قد أقيموا ليرقصوا <sup>وللأدب</sup> دستبنداً

وقال القطامي يصف حرار الخمر :

وأستودعها رواقيد <sup>(٢)</sup> مقيرة \* دكن الطواهر <sup>(٣)</sup> قد برئ من <sup>(٤)</sup> الطين  
مكافيات لحر الشمس قائمة \* كأنن نيسط <sup>(٥)</sup> في تباين

وقال الملوّ الأصفهاني :

غدره مكنونه قد تقشفت \* كراهية بين الحسان الأوانيس  
وأزهاها يلنسن يسن غلايل \* هي الثرى مغرور بها كل لايس  
مشعته مرهأ ما خلط أنى \* أرى مثلاً عذراء في زى طانس

ومما قيل في الراوق، قال بعض الشعراء :

كأنما الراوق وأنتصابه \* تُرطوُم قيل سقطت أنيابه  
والبيت منه عطر ترابه \* كأن مسكا فتقت عيابه

وقال آخر :

سما لاذ، قطرها رحيق <sup>(٦)</sup> \* رحب الدرى يخط فيه النبيق  
ماء حقيقي لو جرى العقيق \* حتى اذا ألهبها التصفيق

\* حُصنا الى جيراننا : الحريق

(١) المستند : نوح من أنواع رقص المهرس : يأخذ بعضهم بيد بعض ويدورون ويرقصون .

(٢) رواقيد : جمع رواقيد وهو الفذ الكبير .

(٣) مقيرة : أى مسحة بالفتار وهو "الزفت" .

(٤) التباين : جمع تباين وهو سراديل صغير يستر العورة .

(٥) المرهأ : التى أبيضت حاليتها من تركها الكسل .

(٦) اللاذ : جمع لاذة وهى ثوب حرير أحمر صفى .

ومما وصفت به زقاق الخمر؛ فمن ذلك قول الأخطل :  
 أناخوا بغزوا شاصيات<sup>(١)</sup> كأنها \* رجال من السودان لم يتسربلوا  
 وقال أبو الهندي وأجاد في شعره :

أنلف المبال وما جمعه \* طلب اللذات من ماء العنب  
 وأستبأ الزق من حانوتها \* شائل الرجلين مضموب الذنب<sup>(٢)</sup>  
 كلما كُتب لشرب خلته \* حبشياً قُطعت منه الركب

وقال ابن المعتز :

وتراها وهي صرعى \* فرقا بين الندامى  
 مثل أبطال حروب \* قيلوا فيها كراماً

وقال الملقب الأصمغاني :

عجبت من حبش لا حراك به \* لا يدرك النار إلا وهو مذبح  
 طوراً يرى وهو بين الشرب مضطجع \* رخو الصفاق وطوراً وهو مشبوح<sup>(٣)</sup>

ومما وصفت به الأباريق ؛ فمن ذلك قول شبرمة بن الطفيل :  
 كأن أباريق الشمول حشية \* لاؤز باعل العلف عوج الحناجر

وقال آخر :

أرب مجلس فتيه نادمتهم \* من عبد شمس فذرى العلياء  
 وكانما إبريقهم من حسنه \* ظي على شرف أمام طباء

وقال ابن المعتز :

وكأن إبريق المدام لديهم \* ظي على شرف أناف مدما

(١) الشاصيات : القرب إذا كانت عملة أرقق فيها فأرضعت نوايحها .

(٢) المضموب : المقطوع . (٣) الصفاق : جلد البطن .

لما استعنته السقا جئ لها \* فبكي على قدح النديم وقهقها  
وقال إصحاقي الموصلي :

كأن أبارقي المدام لسيهم \* ظباء بأعلى الرقبتين قيام  
وقد شربوا حتى كأن رقابهم \* من اللين لم يُخلق لمن عظام  
وكلهم نظروا إلى قول طعنة بن عبدة :

كأن إريقهم ظلي على شرف \* مُقدّم بسبب الكنان ملثوم  
وقال محمد بن هاني من أبيات :

والأبارقي كالظباء العواطي \* أوجست نبأة الخيول العناق  
مُصنّيات إلى الغناء مُطلّا \* ت طيه كثيرة الإطراق  
وهي ثم الأنوف يشمخن كبرا \* ثم يرغفن بالدم المهوراق  
وقال أبو نواس عفا الله عنه :

والكوب يضحك كالغزال مسبّحا \* عند الركوع بلشفة القاماء  
وكان أقداح الرحيق إذا جرت \* وسط الظلام كواكب الجوزاء  
وقال بشّار بن بُرد :

كأن إريقنا والقطر من له \* طيرتسول ياقوتا بمقار  
ومما وصفت به الكاسات والأقداح ، فمن ذلك قول ابن المعتز :  
فدا بها صفراء تخرّجية \* تحالفا في كأسها تتقيد  
وتحسب الماء زجاجا لها \* وتحسب الأقداح ماء جمد  
وقال ابن المعتز أيضا عفا الله عنه :

وكأس تحجب الأبصار عنها \* فليس لناظر فيها طريق

(١) السب والسيبة : الشقة ، ونص بعضهم به الشقة البيضاء . كذا في اللسان ، وقد استشهد بهذا البيت ومقتب عليه قالوا : « إنما أراد بسباب لحاف » .

كَأَنّ غِمَامَةٌ بَيْضَاءُ بَيْنِي \* وَبَيْنَ الْكَأْسِ تَخْرِقُهَا الْبُرُوقُ  
وقال أبو الفرج البغواء :

مَنْ كُلَّ جَسَمٍ كَأَنَّهُ حَرَّضٌ \* يَكَادُ لُطْفًا بِالْحِظِّ يَنْتَهَبُ  
كَأَنَّمَا صَاغَهُ التَّفَاقُ لَهَا \* يَخْلُصُ مِنْهُ صَدَقٌ وَلَا كَذِبٌ  
وقال الرقاء :

كَأَنَّ الْكَئُوسَ بِفَضْلَاتِهَا \* مَتَوَجِّةٌ بِأَكَالِيلِ نَوْرِ  
جَبُوبٍ مِنَ الْوَشْيِ مَزْدُورَةٌ \* يُلُوحُ عَلَيْهَا بِيَاضُ النُّحُورِ

وقال آخر :

وَكُنَّا الْأَقْدَاحُ مَرْمَعَةَ الْحَشَا \* بَيْنَ الشُّرُوبِ كَوَاكِبُ الْجُوزَاءِ  
وَكُنْهَا يَاقُوتَةٌ فَضْلَاتِهَا \* مَخْرُوطَةٌ مِنْ دُرَّةٍ بَيْضَاءِ

١٠

وقال المعوج :

يَسَاطِيكَ كَأَنَّمَا غَيْرُ مَلَأَى كَأَنَّمَا \* إِذَا مُزِجْتَ أَحْدَاقَ دَرَجِ مُزَوِّدِ  
كَأَنَّ أَعَالِيهَا بِيَاضٌ سَوَالِفٌ \* يُلُوحُ عَلَى تَوْدِيدِ خَدِّ مُوَدِّ

وقال أبو نواس :

وَكُنَّا الرُّوضُ السَّمَاءُ وَنَهْرُهُ \* فِيهِ الْمَجْرَةُ وَالْكَئُوسُ الْأَنْهَامُ

١٥

وقال التّعالى :

يَا وَاصِفَ الْكَأْسِ بِتَشْبِيهِهَا \* دُونَكَ وَصْفًا عَلَى الْقَدْرِ  
كَأَنَّهُ مِثْلُ الشَّمْسِ قَدْ أَفْرِغَتْ \* فِي قَالِبٍ صَبِغَ مِنَ الْبَدْرِ

وقال آخر :

أَقُولُ لِلْكَأْسِ إِذَا تَبَدَّلَتْ \* بِكَفِّ أَخْوَى أَغْنَى أَحْبُوزِ  
أَنْتَرِيَتْ يَتِي وَيَتٌ غَيْرِي \* وَأَصْلُ ذَا كَعْبِكَ الْمُدَوَّرِ

٢٠



## الباب الخامس

### من القسم الثالث من الفن الثاني

#### في الثنمان والسقاء

قال سهل بن هارون : ينبغي للنديم أن يكون كأنما خلق من قلب الملك  
يتصرف بشهوته ويتقلب بإرادته ، لا يميل المعاشرة ، ولا يسأم المسامرة ؛ إذا أنتشى  
يحفظ ، وإذا صحا ييقظ ، ويكون كأنما لسره ، ناشرا لبره . قالوا :

فانتركتك ندما ، فقال الكاتب : أنا معونة ، وأنت مؤونة ؛ وأنا للجد ، وأنت  
للهزل ؛ وأنا للشدة ، وأنت للرخاء ؛ وأنا للحرب ، وأنت للسلام . فقال النديم :  
أنا للنعمة ، وأنت للخدمة ؛ وأنا للخطوة ، وأنت للهناء ؛ تقوم وأنا قاعد ، وتحتشم وأنا  
مؤانس ؛ تدأب لراحتي ، وتشقى لما فيه سعادتي ؛ فانا شريك وأنت معين ، كما أنك  
تابع وأنا حزين . فلم يغير الكاتب جوابا . والله أعلم .

وسئل إسحاق بن إبراهيم الموصلي رحمه الله عن الندماء ، فقال :  
واحد هم ، وأثنان هم ، وثلاثة قوام ، وأربعة تمام ، وخمسة مجلس ، وستة  
زحام ، وسبعة جيش ، وثمانية حسكر ، وتسعة أضرب طلبك ، وعشرة ألقى بهم  
من شئت .

وقال الجواز : النبيذ حرام على أفنى عشر نفسا ، من فنى الخطأ ، وأتكل على  
اليمن ، وأكفر من أكل البقل ، وكسر الزجاج ، وسرق الریحان ، وبلى ما بين يديه ،  
وطلب المشاء ، وقطع ألم<sup>(١)</sup> ، وحبس أقل قديح ، وأكثر الحديث ، وأمتخط في مندبل  
الشراب ، وبات في موضع لا يَحْتَمَلُ المبيت فيه .

(١) ألم : الؤر القليظ من أوتار العود .

قال أبو هلال العسكري :

ما أعانف النبيذ خيفة إثم \* إنما عفته لفقد النديم  
ليس في اللهو والمدامة حظ \* لكنيم دون النديم الكريم  
تصغير قبل النبيذ نديماً \* فاخلل معطرات النسيم  
وبجمال إذا نظرت بديع \* وضمير إذا أخبرت سلم

وقال آخر :

أرى للكأس حقاً لا أراه \* لغير الكأس إلا للنديم  
هو القطب الذي دارت عليه \* رعى اللذات في الزمن القديم

وقال آخر :

وتدمان أي ثقب \* كأن حديثه جبره  
يسرك حسن ظاهريه \* وتحمده منه مخبره  
ويسترهيب صاحبه \* ويستتر أنه ستره

وقال آخر :

ونديم حلو الحديث يحاري \* بك بما قشنته في مبدائك  
ألمى كآت قلبك في أض \* ملاحه أو كلامه في لسائك

وقال يحيى بن زياد :

ولست له في فضيلة الكأس قاللا \* لأصرفه عنها : تمحس وقد أبي  
ولكن أحييه وأكرم وجهه \* وأشرب ما أبقى وأسقيه ما أشتبه  
ولست إذا مانام عندي بموقظ \* ولا أسمع يقظان شيتا من الأذى

وقال آخر :

ليس من شأنه إذا دارت الكأ \* من فازدى إدمانها بالحلوم

(١) الحيرة : ضرب من برد اليمن منفر . (٢) هذه رواية الأصل وهي غير مستقيمة ويحصل أن تكون محوطة عن « لأصرفها عن » أو « لأصرفه سكرًا » أو نحو ذلك .

قول ما يُسخط النديم وإن أس \* خطه عند ذاك قول النديم  
وقال عبد الرحمن المَطَوِيُّ رحمه الله :

أخطب لكأسك ندماً تُسرُّ به \* أولاً فنأدِم عليها حكمة الكتب  
أخطب حراً كريماً ذا عافلة \* ترى مودته من أقرب النسب  
وقال أبو نَواس :

٥٧

ونَدَمَانِ يرى عيًّا عليه \* بأن يمشي وليس به أنشاء  
إذا تَبَهَّتْ من نوم سكر \* كفاه مرة منك النداء  
فليس بقائل لك : إيه دعني \* ولا مستخبراً لك ما تشاء  
ولكن سَقَى ويقول أيضاً \* عليك الصُّرفان أحياء ماء  
إذا ما أدركته الظهْر صُلَّ \* ولا عصر عليه ولا عشاء  
يصلّي هذه في وقت هذى \* وكلّ صلاته أبداً قضاء  
وقال آخر :

نَهتُ نَدَمَانِي فهِبُوا \* بعد المنام لما استحبوا  
هذا أجاب وذا أنا \* ب وذا يسير وذاك يحبو  
أنشدتهم يَتَا يَعْلَمُ ذَا الْعِبَادَةِ كَيْفَ يَحْبُو  
« ما العيش إلا أن تُحِبَّ وأن يحبك من تحب »  
فتطربوا والأريحية شأنها طرب وثوب

وقال أبو عبادة البحرى حفا الله تعالى عنه :

وتديم نَهْتُهُ ودجى الـديـا \* مل وضوء الصباح بتلجان  
قم نبادزها الصيام فقد آف \* مر ذاك الهلال من شعبان

وقال أيضا :

بات نديماً لي حتى الصباح \* أُعيدُ مجدولٌ مكانِ الوشاح  
 كأنما يلهم عن لؤلؤ \* مُتَّخِذٌ أو بردٍ أو أفاح  
 يساقط الورد علينا وقد \* تبلج الصبحُ نسيمُ الزياح  
 إن لآلٍ عطفاه قسا قلبه \* أو تبت الخللُ جال الوشاح  
 أمزجُ كأمي يحني ريقه \* وإنما أمزجُ راحاً براح  
 ومنهم من كره التديم وأثر الأفراد . قال إبراهيم الموصلي عفا الله تعالى عنه  
 ورحمه :

دخلت يوماً على الفضل بن يحيى فصادفته يشرب وعنده كلب ، فقلت له :  
 ١٠ ننادم كلباً ! قال : نعم ، يمتحن أذاه ، ويكف عني أذى سواه ، ويشكر قليل ،  
 ويحفظ ميثاق وتقبل . وأنشد :  
 واشرب وحدي من كراهي الأذى \* غافة شرٍّ أو سبَابٍ لسم  
 انتهى واستغفر الله العظيم .

ومما قيل في السقاة ؛ فمن ذلك قول الصنوبري عفا الله عنه :  
 ١٥ ومؤذد الخسدين يخر \* يطر حين يخطر في مؤذد  
 يسبقك من جفن أنجب \* من إذا سقاك دموعَ صَبَد  
 حتى تظنَّ النجم ين \* زلْ أو تظنَّ الأرض تصعد  
 فإذا سقاك جبينه \* وفيه ثم سقاك باليد  
 حيتاك بالياقوت \* ثم الأثر من تحت الزبرجد



وقال ديك الجحش :

ومُرِّدٍ بالقضيب اذا تَنَّتْ \* ومزهاة على القمر التام  
مسقاني ثم قبلي واوما \* بطرف سقمه يشفى سقاي  
فبت له على الندمان أسقى \* مُدَامًا في مُدَامٍ في مدام

وقال ابن المعتز :

تدور طينا الراح من كف شادين \* له لحظ عين يشتكى السقم مُدَنَّف  
كأن سلافاً انهر من ماء خذه \* وعنقودها من شعره الجعد يقطف

وقال أيضا :

بين أقداهم حديث قصير \* هو محرر وما سواه الكلام  
فكأن السقاء بين الندامى \* ألفات بين السطور قيام

وقال أحمد بن أبي قحط :

بكف مُقرطقي خنث \* تطيب بطيبه الرب  
تراها وهي في كف \* من جديده تلتب

وقال الصنوبري :

وساق اذا هم ندمانيا \* بأن يزجى الكأس لم يزجيه  
كلمة حاج على لرشه \* وليث حيرين على سبرجيه  
لطيف المنطق مهتره \* قبيلا المؤزر مرته  
مسقاني بعينه أضعاف ما \* سقاني بكفيه من غنيته

وقال آخر :

يا سلقى القوم إن دارت إلى فلا \* تجزج فلاني بدعي مازج كاسي  
ويا قبي الحى إن غنيت من حليب \* ففن : وأجريا من قلبه القاسي

وقال ابن المعتز :

وطاقد زُناير على غُصْن الآيس \* دقيق المعاني عُطْف الخصر ميايس  
سقاني عَقَّاراً صَبَّ فيها مِزاجها \* فاعصمك عن ثغر الحباب فَم الكايس

وقال أيضا :

قام كالنصن في النقا \* يمزج الشمس بالقمر  
وسقاني المدام والليلُّ بالصبح مؤثر  
والشرا كنور غصن على الغرب قد نثر

وقال البحتري :

وفي القهوة أشكال \* من الساق والسوان  
حباب مثل ما يضح \* لك عنه وهو جذلان  
ويسكر مثل ما يسكر \* رطوف منه وسنان  
وطعم الرقي إن جاد \* به والصب هيمان  
لنا من كفه راح \* ومن رياه ريحان

وقال أبو القاسم الهبيري الكاتب رحمة الله تعالى عليه :

سقانا الراح ساق، كل راح \* سوى الحاظ حيله سراب  
يدبر الكأس مبتما علينا \* لما ندرى أنفر أم حباب ؟  
وقد سقر الدبح عن ثوب بغر \* متبر مثل ما سقر النقاب  
نخلت الصبح في أثر الثريا \* بشيرا جاء في يده كتاب

وقال أبو الشيبس :

يطوف علينا به أحود \* يداه من الكأس غضوبتان  
خزأل تميل بأعطافه \* قنأة تعطف كأنه يتردان

وقال أبو بكر محمد بن عمار :

وهويته يسقى الدَّم كأنه \* فريطوف بكوكب في حندين  
متأرجح الحركات تدى ريحه \* كالفصن هزته الصبا بتنفيس  
يسعى بكأين في أفانل سوسن \* ويدير أخرى في محاجر تريجين

وقال المعوج يصف ساقية :

لاعيش إلا من كف ساقية \* ذات دلال في طرفها مرص  
كأنما الكأش حين تمزجها \* نجوم ليل تملو وتنفخض

وقال آخر يصف امرأة ساقية :

وساقية كانت بمفرقيها \* أكاليلًا على طبقات ورد  
لها طيب المنى وصفاء لون \* وجمرة وجنية ومذاق شهيد

وقال ديك الجح يصف ساقيا وساقية :

أندبكما من حامل قدحين \* قرين في غصنين في دمعين  
رود منعمة ومهضوم الحشا \* للناظرين منى وقوة عين  
قامت مؤتشة وقام مؤتسا \* فتناها الألسان بالنظرين  
صبا على الراح إن هلالنا \* قد صب نعمته على الثقلين  
والى كاسكا على ما خيلت \* بالنسب معجونا بماء الحين

## الباب السادس

## من القسم الثالث من القرآن الثاني

- في الغناء والسماع، وما ورد في ذلك من الحظر والإباحة، وما استدل به من رأى ذلك؛ ومن سمع الغناء من الصباغة رضوان الله عليهم أجمعين ومن التابعين ومن الأئمة والعباد والزهاد، ومن غنى من الخلفاء وأبنائهم والإشراف والقواد والأكابر، وأخبار المفتين الذين نقلوا الغناء من الفارسية إلى العربية، ومن أخذ عنهم، ومن أشتهر بالغناء وأخبار القيان .

## ذكر ما ورد في الغناء من الحظر والإباحة

- قد تكلم الناس في الغناء في التحريم والإباحة وأختلفت أقوالهم وتباعدت مذاهبهم وتباينت استدلالاتهم؛ فمنهم من رأى كراهته وأنكر استماعه، واستدل على تحريمه؛ ومنهم من رأى خلاف ذلك مطلقاً وإباحه وصحهم على إباحته؛ ومنهم من فرق بين أن يكون الغناء مجزواً أو أضيف إليه آلة كالعود والطنبور وغيرهما من الآلات ذوات الأوتار والدنوف والمعاذف والقصب، فأباحه على أنفراده وكرهه إذا أضيف إلى غيره وحرم سماع الآلات مطلقاً. ولكل طائفة من أرباب هذه المقالات أدلة استندلت بها . وقد رأينا أن نثبت في هذا الموضع نبذة من أقوالهم على سبيل الاختصار وحذف النظائر المطولة فنقول وبالله التوفيق .



أما ما قيل في تحريم الغناء وما استدل به من رأى ذلك، فإنهم استدلوا على التحريم بالكتاب والسنة وأقوال الصباغة والتابعين والأئمة من علماء

الرشيد فقبل رأسها وقال : قد وهبتُ لكِ طَلًّا ولا أمتكِ بعدها من شيءٍ يُريدينه .  
ولها في طَلِّ هذا عدةُ أشعار صنعت فيها ألحانا ، وكانت في بعضها تصحفُ اسمه وتكني  
عنه بغيره . وكانت أيضا تقول الشعر في خادم لها يقال له : رَشًا وتكني عنه بزنب .  
فمن شعرها فيه :

وَجَدَ الْفَزَادُ زَيْنَبًا • وَجَدًا شَدِيدًا مُتَبَا  
أَصْبَحْتُ مِنْ كَلْبِهَا • أَدْعَى شَقِيًّا مُنْصَبَا  
وَلَقَدْ كَتَيْتُ عَنْ أَسْمَا • عَمْدًا لَكِي لَا تَقْضِيَا  
وَجَعَلْتُ زَيْنَبَ سُرَّةَ • وَكُنْتُ أَمْرًا مُعْجِبَا  
قَالَتْ وَقَدْ عَزَّ الْوَصَا • لَمْ وَلَمْ أَجِدْ لِي مَدْهَبَا  
وَأَهْ لَا نِلْتَ الْمَوَدَّةَ أَوْ تَنَالِ الْكَوْكَبَا

فصحفتُ اسمه في قولها : "زينا" ، وهذا من الجناس الخطي . قال : وكانت لأم  
جعفر جارية يقال لها طُفَيان ، فوشت بعلية إلى رَشًا وحكت عنها ما لم تقل .  
فقالت طَيَّة :

لَطْفِيَانُ خُفُّ مَدُّ ثَلَاثِينَ حِجَّةَ • جَدِيدٌ فَلَا يَسْلَى وَلَا يَنْفَرُقُ  
وَكَيْفَ بَلَى خُفُّهُوَ الدَّهْرَ كُلَّهُ • عَلَى قَدَمَيْهَا فِي السَّمَاءِ مَعْلُقُ<sup>(١)</sup>  
لَهَا تَحَرُّفٌ خُفًّا وَلَمْ تُبَلِّ جَوْرَبَا • وَأَمَّا سَرَائِلَاتُهَا فَتَمَزَّقُ  
وَرُوي عن أبي هَظَّان قال :

. أُهْدِيَتْ لِلرَّشِيدِ جَارِيَةٌ فِي غَايَةِ الْجَمَالِ ، نَفَخَ مَعَهَا يَوْمًا وَأَخْرَجَ كُلَّ قَبِيلَةٍ فِي دَارِهِ  
وَأَصْطَبَحَ . وَكَانَ مِنْ حَضَرٍ مِنْ جَوَارِيهِ الْفَنَاءِ وَالْخِدْمَةِ فِي الشَّرَابِ زُهَاءُ الَّتِي جَارِيَةٌ  
فِي أَحْسَنِ زِيٍّ مِنْ كُلِّ نَوْعٍ مِنْ أَنْوَاعِ الثِّيَابِ وَالْجَوْهَرِ . وَأَتَّصَلَ بِالْخَبْرِ بِأَمِّ جَعْفَرِ

(١) رواية الأغانى (ج ٩ ص ٨٥ طبع بولاق) : "في المراء" .

فمظم عليها ذلك؛ فأرسلت إلى عطية تشكو إليها . فأرسلت إليها عطية : لا يهولتك هذا ، والله لأردته إليك . قد عزمْتُ أن أضع شعراً وأصوغ فيه لحناً وأطرحه على جَوَارِي ، فلا تُبقِ عندك جاريةً إلا بعثت بها إليّ واليسين أنواع الثياب ليأخذن الصوت مع جوارِي ؛ ففعلت أم جعفر ما أمرتها به . فلما جاء وقت صلاة العصر لم يشعر الرشيد إلا عطية وأم جعفر قد تخرجتا إليه من مخبرتهما معهما زهاء ألفي جارية من جواريهما وسائر جوارى القصر طعن غرائب اللباس وكلهن في لحن واحد هزَّج صنعه عطية وهو :

مُفَصِّلُ حَقِّي وَمَا \* قَلْبِي عَنْهُ مُفَصِّلُ

يَا هَاجِرِي الْيَوْمَ لَنْ \* تَوَيْتَ بَعْدِي أَنْ تَصِلَ

١٠ فطرب الرشيد وقام على رجليه حتى استقبل أم جعفر وعطية وهو على غاية المرور ، وقال : لم أراك يوم قط . يا مسرور ، لا تُبقيين في بيت المال درهماً إلا تترته . فكان ما تَرِ يومئذ ستة آلاف ألف درهم ، وما سُمِعَ بمثل ذلك اليوم .

وروي عن عريب أنها قالت : أحسن يوم رأيته في الدنيا وأطيبه يوم اجتمعت فيه مع إبراهيم بن المهدي عند أخته عطية وعندنا أخوها يعقوب بن المهدي ، وكان أحسن الناس بالزمر . فبدأت عطية ففنت من صنعتها وأخوها يعقوب يزمر عليها :

تَحِبُّ فَإِنَّ الْحَبَّ دَاحِيَةُ الْحَبِّ \* وَكَمْ مِنْ بَعِيدٍ الدَّارِ مُسْتَوْجِبُ الْقَرَبِ

تَبَصَّرْ فَإِنْ حَدَّثَتْ أَنَّ أَخَا هَوَى \* نَجَا سَالماً فَارْجُ النِّجَاةَ مِنَ الْحَبِّ

إذا لم يكن في الحبِّ مَخْطُؤٌ وَلَا رَمَا \* فَأَيْنَ حَلَاوَاتُ الرِّسَالِ وَالْكَتَبِ

وغنى إبراهيم في صنعه وزمر عليه يعقوب :

٢٠ لَمْ يُبْسَلِكْ سُرُورٌ وَلَا حَزَنٌ \* وَكَيْفَ لَا ، كَيْفَ يَنْسَى وَجْهَكَ الْحَسَنَ

وَلَا خَلَا مِنْكَ قَلْبِي لَا وَلَا جَسَدِي \* كُلِّي بِكَ كُلِّ مَشْفُوعٍ وَصُرْتَهُنَ

بإفردة الحسين مالى منك مذكّكت \* قيسى بئحك إلا الهم والحزن  
نور تولد من شمس ومن قمر \* حتى تكامل فيك الروح والبدن

قالت عريب : فما سمعت مثل ما سمعت منها قط وأعلم أنى لا أسمع مثله أبدا .

وروى عن خشف الواخمية قالت : تماريت أنا وعريب في غناء مليّة بمحضرة

المتوكل أو غيره من الخلفاء . فقلت أنا : هي ثلاثة وسبعون صوتا ، وقالت عريب :

هي آثان وسبعون صوتا . فقال المتوكل : غنيا غناها ؛ فلم أزل أفتي غناها حتى

مضى آثان وسبعون صوتا ، ولم أدر الثالث والسبعين . قالت : ففطع بي

وأستعلت عريب وأنكسرت . قالت خشف : فلما كان الليل رأيت مليّة فيما يرى

النائم ، فقالت : يا خشف خالفتك عريب في غنائى . قلت : نعم يا سيدتى .

قالت : الصواب معك ، أفتردين ما الصوت الذى أنشيتيه ؟ قلت : لا والله ،

ولوددت أنى قديت ما جرى بجميع ما أملك . قالت : هو :

يبنى الحب على الجصور فلو \* أنصف المشوق فيه لسمع

ليس يستحسن فى وصف الهوى \* طاشق يعرف تأليف الجحج

وقليل الحب صرقا خالصا \* لك خبر من كثير قد مزج

وكانها قد أندفعت تقى به ، فما سمعت أحسن مما غتته ، وقد زادنى فيه

أشياء فى نوى لم أكن أعرفها ، فأنبتت وأنا لا أعقل قرعاً به . فباركت الخليفة

وذكرت له القصة . فقالت عريب : هذا شئ صنعته أنت لما جرى أسس ،

وأما الصوت فصحيح . خلقت الخليفة بما رضى به أن القصة كما حكيت . فقال :

رؤياك والله أعجب ، رحم الله مليّة ! فماتت طرقتها حياة ولا ميتة . وأجازنى جائزة سيّدة .

وروى أبو الفرج أيضا بسنده إلى محمد بن جعفر بن يحيى بن خالد قال :

شهدت أبي جعفرًا وأنا صغير وهو يحدث جدِّي يحيى بن خالد في بعض ما كان يُخبره به من خلوته مع هارون الرشيد، قال : يا أبت، أخذ بيدي أمير المؤمنين وأقبل في حُجْرِهِ يَخْتَرِقُهَا حَتَّى أَتَى إِلَى حُجْرَةٍ مُغْلَقَةٍ، فَفَتَحَهَا بِيَدِهِ وَدَخَلَهَا وَدَخَلْتُ وَأَغْلَقَ بَابَهَا مِنْ دَاخِلٍ بِيَدِهِ، ثُمَّ صَرْنَا إِلَى رِوَاقٍ فَفَتَحَهُ، وَفِي صَدْرِهِ مَجْلِسٌ مُغْلَقٌ فَقَعَدَ عَلَى بَابِ الْمَجْلِسِ، وَتَقَرَّ الْبَابَ بِيَدِهِ تَقَرَّاتٍ فَسَمِعْنَا حَسًّا، ثُمَّ أَعَادَ التَّقَرَّ ثَانِيَةً فَسَمِعْنَا صَوْتَ حُودٍ، ثُمَّ أَعَادَ التَّقَرَّ ثَلَاثَةً فَفَتَحَتْ جَارِيَةٌ مَا ظَنَنْتُ وَأَنَّ اللَّهَ جَلَّ وَجَرَ خَلَقَ مِثْلَهَا فِي حَسَنِ الْفَنَاءِ وَجُودَةِ الضَّرْبِ . فَقَالَ [هَذَا] أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ بَعْدَ أَنْ غَنَّتْ أَصْوَاتَا : غَنَّى صَوْتِي، فَفَتَحَتْ صَوْتَهُ، وَهُوَ :

وَحَنَّنَتْ شَهْدَ الزَّفَافِ وَقَبْلَهُ \* غَنَّى الْجَوَارِي حَامِرًا وَمُنْقَبًا  
لَيْسَ الدَّلَالُ وَقَامَ يَنْقَرُدُفَهُ \* تَقَرَّا أَقْرَبَهُ الْعَبُونَ وَأَطْرِبَا  
لَا تِ النَّسَاءُ رَأَيْتُهُ فَعَشِقْتُهُ \* فَشَكَّوْنَ شِدَّةَ مَا بَيْنَ فَكَذَبَا  
قال : فَطَلَبْتُ وَاللَّهِ طَرَبًا هَمَمْتُ مَعَهُ أَنْ أَنْطَحَ بِرَأْسِي الْحَائِطَ . ثُمَّ قَالَ : غَنَّى :

\* طَال تَكْدِي وَتَصِيدِي \*

فَفَتَحَتْ :

طَال تَكْدِي وَتَصِيدِي \* لَمْ أَجِدْ عَهْدًا لِمَخْلُوقٍ  
إِنَّ نَاسًا فِي الْهَوَى غَدَرُوا \* حَسَنُوا نَقَصَ الْمَوَائِيقِ  
لَا تَرَانِي بِسَدِّهِمْ أَبَدًا \* أَشْتَكِي صَهْقًا لِمَشْوِقِ

قال : فَرَقَصَ الرَّشِيدُ وَرَقَصْتُ مَعَهُ ، ثُمَّ قَالَ : أَمِيزْ بِنَا ، فَلَمَّا أَخْبَنِي أَنْ يَبْدُو مِنَّا مَا هُوَ أَكْثَرُ مِنْ هَذَا ، فَمَضَيْنَا . فَلَمَّا صَرْنَا إِلَى الدَّهْلِيزِ قَالَ وَهُوَ قَابِضٌ عَلَى يَدِي :



هل عرفت هذه المرأة؟ فقلت : لا يا أمير المؤمنين ، قال : فأتى أعلم أنك ستسأل عنها ولا تكتم ذلك وأنا أخبرك بها ، هذه عليّة بنت المهديّ . ووالله لئن لفظت به بين يدي أحد وبلغني لأقتلنك . قال : فسمعت جدي يقول لأبي : فقد والله لفظت به ، ووالله ليقتلنك ، فأصنّح ما أنت صانع .

وأخبار عليّة وأغانيتها كثيرة ، وقد ذكرنا منها ما يُمكنفى به .

قال أبو الفرج : وكان مولد عليّة سنة ستين ومائة ، وتوفيت سنة عشرة ومائتين ، وقيل : سنة تسع ومائتين ، ولها خمسون سنة . وكانت عند موسى بن عيسى ابن موسى بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس رضى الله عنهما . وكان سبب وفاتها أنّ المأمون ضمها إليه وجعل يقبل رأسها ووجهها مُغطى ، فشرفت من ذلك وسعلت ثم حُت بمقب هذا أياً ما يسيرة وماتت . رحما الله .

ومنهم أبو عيسى بن الرشيد . هو أبو عيسى أحمد ، وقيل : بل اسمه صالح بن هارون الرشيد . وأمه أم ولد بربريّة . كان من أحسن الناس وجهاً وبجالة وعشرةً وأتجنتهم وأشدّهم عبثاً . وكان أبو عيسى جميل الوجه جداً ، فكان إذا عزّم على الركوب جلس الناس له حتى يروه أكثر مما كانوا يميلسون للخلفاء . وكانت حريم المأمونية تقول : ما سمعتُ غناءً أحسن من غناء أبي عيسى بن الرشيد ، ولا رأيتُ وجهاً أحسن من وجهه .

وروى أنّ الرشيد قال يوماً لأبي عيسى وهو صبيٌّ : ليت جمالك لعبد الله ! (يعنى المأمون) فقال له : يا أمير المؤمنين ، على أنّ حظّه منك لى . فيجيب الرشيد من جوابه على صباه وصحّته إليه وقبله .

(١) الرشيد مدّة أولاد منهم أبو عيسى وصالح وغيرهما . (انظر كتاب المعارف لأبن تينة) .

قال أبو الفرج : وكان أبو عيسى جَيِّدَ الصَّنْعة ، وله أَخَانٌ منسوبةٌ إليه ومعروفةٌ

به . منها :

رَقَدْتُ عَنْكَ سَلَوْنِي \* وَالْهَوَى لَيْسَ بِمَعْدُونٍ

وَأَطَارَ الْمَهَادُنُو \* بِي فَسَوِي مُشْرَدٌ

أَنْتَ بِالْحُسَيْنِ مِنْكَ يَا \* حَسَنَ الْوَجْهِ يُشْهَدُ

وَفُوَادِي بِحُسْنٍ وَجْهِكَ يَسْقَى وَيَجْدُ

وله غير هذا من الأصواب . قال : وكانت كثير البَسِيطِ والمُجَوِّنِ والعَبَثِ .

وكان المأمون أشدَّ الناس حُبًّا له ، وكان يُعَدُّه للأمر بعده ، ويذكر ذلك كثيرا .

حتى لقد حُكي عنه أنه قال يوما : إنه ليسهل على أمر الموت وفقد الملك ، ولا يسهل

شيء منهما على أحد ؛ وذلك لحبِّي أن يلى أبو عيسى الأمر بعدي لِشدة حُبِّي إياه .

وكانت وفاة أبي عيسى في سنة سبع ومائتين .

رَوَى عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ طَاهِرٍ قَالَ : حَدَّثَنِي مِنْ شَهِيدِ الْمَأْمُونِ لَيْلَةً وَهُمْ يَتَرَامُونَ

هَلَالَ شَهْرِ رَمَضَانَ وَأَبُو عِيْسَى أَخُوهُ مَعَهُ وَهُوَ مُسْتَلْقٍ عَلَى قَفَاهُ ، فَرَأَوْهُ وَجَعَلُوا

يَدْعُونَ . فَقَالَ أَبُو عِيْسَى قَوْلًا أَنْكَرَ عَلَيْهِ ؛ كَأَنَّهُ يَسْعَظُ لَوُرُودِ الشَّهْرِ ، لِمَا صَامَ

بَعْدَهُ . وَقِيلَ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ :

دَهَانِي شَهْرُ الصَّوْمِ لَا كَانَ مِنْ شَهْرِ \* وَلَا صَحْتُ شَهْرًا بَعْدَهُ أَنْخَرُ الدَّهْرِ

فَلَوْ كَانَتْ يُعَدِّدُنِي الْإِمَامُ بِقُدْرَةٍ \* عَلَى الشَّهْرِ لَا مَسْتَعِدَّتْ جُهْدِي عَلَى الشَّهْرِ

فَنَالَهُ بِعَقَبِ هَذَا الْقَوْلِ صَرَعٌ ، فَكَانَ يُصْرَعُ فِي الْيَوْمِ مَرَّاتٍ حَتَّى مَاتَ . وَلَمَّا

مَاتَ وَجَدَ الْمَأْمُونُ عَلَيْهِ وَجَدًا شَدِيدًا .

(١) كذا في الأصل (ج ٩ ص ٩٦ طبع يولاتق) . وفي الأصل : «دعاني» .

(٢) يقال : استعدت على فلان الأمير فاعادني أي استعنت به عليه فاعانني .

رَوَى عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عِيَادٍ الْمُهَلَّبِيِّ قَالَ :

لَمَّا مَاتَ أَبُو عَيْسَى بْنُ الرَّشِيدِ دَخَلْتُ عَلَى الْمَأمُونِ نَفَعْتُ عَمَامَتِي وَنَبَذْتُهَا  
وَرَأَيْتُ — وَانْخَلَفَاءُ لَأُتَمَرِّى فِي الْعَهَامِ — فَقَالَ لِي : يَا مُحَمَّدُ، حَالُ الْقَدَرِ، دُونَ الْوَطَرِ .  
فَقُلْتُ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، كُلُّ مُصِيبَةٍ أَخْطَأَتْكَ شَوْى<sup>(١)</sup>، لِحُجْلِ اللَّهِ الْحَزْنَ لَكَ لَا عَلَيْكَ ! .  
قَالَ : فَركب المأمون إلى دار أبي عيسى حفضر جهازه وصلى عليه ونزل في قبره .  
وَأَمْتَنَعَ مِنَ الطَّعَامِ أَيَّامًا حَتَّى خِيفَ أَنْ يَهْطَرَ ذَلِكَ بِهِ . قَالَ : وَمَا رَأَيْتُ مُصَابَا حَزِينًا  
فَقَطُّ أَجْمَلَ أَتْرَافًا فِي مُصِيبَتِهِ وَلَا أَحْرَقَ وَجَدْنَا مِنْهُ ، صَامِتٌ وَدُمُوعُهُ تَهْبِي عَلَى خَدَّيْهِ  
مِنْ غَيْرِ كَلَمٍ وَلَا أَسْتَنْتَارُ<sup>(٢)</sup> .

وَرَوَى عَنْ أَحْمَدَ بْنِ أَبِي دُوَادٍ قَالَ : دَخَلْتُ عَلَى الْمَأمُونِ وَقَدْ تَوَقَّأَ أَخُوهُ أَبُو عَيْسَى  
وَهُوَ يَبْكِي وَيَسْتَحْ عَيْنَيْهِ بِمَنْدِيلٍ ، فَقَعَدْتُ إِلَى جَنْبِ عَمْرُو بْنِ مَسْعُودَةَ وَتَمَثَّلْتُ قَوْلَ  
الشَّاهِرِ :

نَقْصٌ مِنَ الدُّنْيَا وَأَسْبَابُهَا \* نَقْصُ الْمُنَايَا مِنْ بَنِي هَاشِمٍ

فَلَمْ يَزَلْ عَلَى تِلْكَ الْحَالِ يَبْكِي ثُمَّ يَسْتَحْ عَيْنَيْهِ ، وَتَمَثَّلُ :

سَابِكُكَ مَا فَاضَتْ دُمُوعِي فَإِنَّ تَفْضُ \* فَحَسْبُكَ مِنِّي مَا تُجِنُّ الْجَوَانِحُ<sup>(٣)</sup>  
كَأَنَّ لَمْ يَمُتْ حَتَّى يَسْوَكَ وَلَمْ تَقُمْ \* عَلَى أَحَدٍ إِلَّا عَلَيْكَ النَّوَانِحُ ١٥

ثُمَّ أَتَيْتُ إِلَى وَقَالَ : هَيْه يَا أَحْمَدُ ! فَتَمَثَّلْتُ بِقَوْلِ عَبْدِ بْنِ الطَّيِّبِ :

عَلَيْكَ سَلَامُ اللَّهِ قَبَسَ بَنَ حَاصِمٍ \* وَرَحْمَتُهُ مَا شَاءَ أَنْ يَرْجِمَا  
تَيْمَّةً مِنْ أَوْلَيْتِهِ مِنْكَ نِعْمَةً \* إِذَا زَارَ عَنْ تَحِيَّاتِ بِلَادِكَ سَلَامًا

(١) شوى : هينة . يقال : كل شيء ما سلم لك دينك ، أى هين . (٢) كذا

في الأصل والأغاني . والقدى في سماجم اللغة : كلع (وزان مع) كلوما وكلاحا (بضمها) : تكشر  
في حيوس . (٣) كذا في الأغاني . وفي الأصل : « الجراح » .

فما كان قيس هلكه هلك واحد \* ولكنه بنيات قوم تهلما  
فبكي ساعة ، ثم ألفت إلى عمرو بن مسعدة فقال : هيه يا عمرو ! فقال : نعم  
يا أمير المؤمنين :

بكوا حذيفة لم تبكوا مثله \* حتى تعود قبائل لم تخلفي

- قال : فإذا عريب وجوارب معها يسمعن ما يدور بيننا ؛ فقالت : اجعلوا لنا معكم  
في القول نصيبا . فقال المأمون : قولي ، فرب صواب منك كثير . فقالت :  
كذا فليجل الخطب وليفدج الأمر \* فليس لمين لم يقض مأوها عذر  
كان بنى العباس يوم وفاته \* نجوم سماء خرمن بينا البدر<sup>(١)</sup>

- فبكي وبكىنا . ثم قال لها المأمون : نوحى ، فنامت ورد عليها الجوارى . فبكى  
المأمون حتى قلت : قد فاضت نفسه وبكىنا معه أحربكاه ، ثم أمسكت . فقال المأمون :  
أصننى فيه لحنا على مذهب النوح وغنى به ؛ ففعلت وغنت إياه على العود . فوالذى  
لا يختلف بأعظم منه لقد بكينا عليه غناء أكثر مما بكينا عليه نوحا .

ومنهم عبد الله بن موسى الهادى . قال أبو الفرج : كان له فى الفناء  
صنعة حسنة ، وله أصوات مذكورة ، منها قوله :

- ١٥ تقاضاك دهرك ما أسلفا \* وكدر عيشك بعد الصفا  
فلا تجزعن فإن الزمان \* رهين بتشتيت ما ألقا  
ولما رآك قليل الموموم \* كثير الهوى ناعما مترقا  
أح طيسك بروطاته \* وأقبل يرميك مستهدفا

(١) هذان البيتان من قصيدة لأبي تمام حبيب بن أوس الطائي رثى بها محمدا وحطبة وأبا نصر بن حميد

الطوسي . وقد ثرث فيها عريب « بن نهان » بـ « بن العباس » .

قال : وكان عبد الله هذا من أضرب الناس بالمود وأحسنهم غناء . وكان له غلام أسود يقال له « قلم » ، فعلمه الضرب فحذق فيه ؛ فأشترته منه أم جعفر بثلاثمائة ألف درهم .

وروى عن سليمان بن داود كاتب أم جعفر قال :

كنت جالسا مع عبد الله بن موسى الهادي ، فتر به خادم لصالح بن الرشيد ؛ فقال له : ما اسمك ؟ قال : اسمي لَأَسْلُ . فأعجبه حسنه وحسن منطقه ، فقال لي : قم بنا حتى نشرب اليوم ونذكر هذا البدر ، فقممت معه . فأنشدني في ذلك اليوم :

وشادين مرّ بنا \* يرحّ باللفظ المقل

مظلومٌ خَصير ظالم \* منه إذا يمشي الكفل

احسدت قامته \* والطرف منه ما عدل

بسرّ تراه أبدا \* طالع سعد ما أقل

سأئته من اسمه \* فقال : اسمي لَأَسْلُ

وطلعت في وجنتي \* وردتان من نجل

فقلت ما أخطأ الذي \* سمّك بل قال المقل

لأنسان عن شادين \* فاق جمالا وكسل

وقال فيه :

عزّ الذي تهوى وقُل \* صبّ القواد مخبّل

جدّ به المهجرُ وذا آل \* يهجّر إذا جدّ قتل

من شادن مُتمتلق \* فاق جمالا وكسل

تناصف الحسن به \* فلا تسئل من لَأَسْلُ

وعن أحمد بن المكي قال : دعاني عبد الله بن موسى يوما فقال لي : أتقوم  
 فلاناً ضارباً مغنياً قيمةً مثل لا حيف فيها على البائع ولا على المشتري ؟ فقلت  
 نعم . فأنسج إلى ابنه القاسم ، وكنت قد عرفت خبره وهو أحسن من القمر ليلة  
 البدر ، فأخذ عوداً يضرب به ، فأكببت على يديه أقبلهما فقال لي عبد الله : أقبّل  
 يد غلام مملوك ! فقلت : بأبي وأمي هو من مملوك ! وقبّلت رجله أيضا . فقال :  
 أما إذ عرفت أنه فاحب أن تضاربه ، ففعلت . فلما رأى الغلام زيادتي في الضرب  
 عليه أهتم وأقبل على أبيه فقال له كالمعتذر إليه : يا أبت ، أنا متلئذ وهذا منكسب .  
 فضحكت وقلت : هو كذلك يا سيدي . وعجبت من حدة جوابه معتذراً على  
 صغرمته .

قال عبد الله بن حبيب :

- ١٠ كان عبد الله بن موسى الهادي مُعربداً ، وكان قد أعضل المأمون مما يُعربد  
 عليه إذا شرب معه ، فأمر به أن يُجسّس في منزله فلا يخرج منه ، وأقعد على بابه  
 حرساً ، ثم تَدبّر من ذلك فأظهر له الرضا وصرف الحرس عن بابه . ثم نادى فُعربد  
 عليه أيضا وكأبه بكلام أحفظه . وكان عبد الله مفرماً بالصيد فأمر المأمون خادماً  
 من خواصّ خدمه يقال له حسن فسَمّه في دُرّاج<sup>(١)</sup> ، فلما أكله أحسن بالسم ،  
 فركب في الليل وقال لأصحابه : هو آخر ماتروني ، ومات بعد أيام . وأكل معه  
 خادمان ، فمات أحدهما لوقتته ، وضئني الآخر ثم مات بعد مدة .

ومتهم عبد الله بن محمد الأمين . قال أبو الفرج الأصفهاني :

- كان عبد الله بن محمد الأمين ظريفاً غزيراً يقول شعراً ليّاً ويصنعه صنعة  
 صالحة . وكان بينه وبين أبي تَهشَل بن حُميد مودة ، فأعرض عبد الله جاريةً مغنيةً

(١) كذا في الألفان . وأعضل : أحمأ . وفي الأصل : « أحفظ » .

(٢) في الألفان : « حسين » .

لبعض نساء بني هاشم وأعطى بها مالا عظيما. وعرفت مولاتها منه رغبة فيها فزادت عليه في السوم فتركها ، فأشترها أخ لأبي نهشل ، فبعتها نفس عبد الله ، فسأل أبا نهشل أن يسأل أخاه التزول عنها ، فسأله ذلك فوعده ودافعه . فكتب عبد الله إلى أبي نهشل :

يَا بَنَ مُحَمَّدٍ يَا أبا نَهْشَلٍ \* مفتاح باب الحديث المَقْبَلِ  
يا أَكْرَمَ النَّاسِ ودَادًا وار \* طعم لحق ضائع مُهْمَلِ  
أَحْسَلْتُ فِي وَدِّي وَأَجَلْتُ بِلِ \* جُرْتُ فَعَالَ الْحَسَنِ الْمُجْمَلِ  
بِتُّكَ فِي ذِي يَمَنِ شَاخٌ \* تَقْصُرُ عَنْهُ قُتَا يَدْبُلِ  
خَلَفْتُ فِينَا حَاتِمًا ذَا النَّدَى \* وَجُدْتُ جُودَ الْعَارِضِ الْمُسِيلِ  
أَيُّ أَخٍ أَنْتَ لَذَى وَحْدَةٍ \* تَرَكْتَهُ بِالْعِزِّ فِي مَحْفَلِ  
نَجُومُ حَقْلٍ مِنْكَ مَسْعُودَةٌ \* فِيمَا أَرْجَى لَيْسَ بِالْأَفْئَلِ  
فَصَلِّقِ الظَّنَّ بِمَا قَلَّتْهُ \* وَمَهْلٍ الْأَمْرَ بِهِ يَسْهَلِ  
لَا تَحْمِرْمَنِي وَلَدَيْكَ الْمُنَى \* بَالِقِهِ صَيْدَ الرَّشَا الْأَكْمَلِ  
رُمِيتُ مِنْهُ بِسَهَامِ الْهَوَى \* وَمَا دَرَى مَا الرُّمَى فِي مَقْتَلِ  
أَدْنَيْتَنِي بِالْوَعْدِ فِي صَيْدِهِ \* إِدْنَاءُ عَطَشَانٍ مِنَ الْمَنْهَلِ  
ثُمَّ تَنَاسَيْتَ وَأَسْلَمْتَنِي \* إِلَى عِطَالٍ مُوَحِّشِ الْمَنْزِلِ  
تَرَكْتَنِي فِي جُلَّةٍ حَاتِمَا \* لَا أَعْرِفُ الْمُدِيرَ مِنَ الْمُقْبِلِ  
صَرَخَ بِأَمْرِ وَاضِحٍ بَيْنَ<sup>(١)</sup> \* لِأَخِيرٍ فِي ذِي لَيْسَ مُشْكِلِ

قال : فلم يزل أبو نهشل بأخيه حتى نزل له عنها . ولعبد الله هذا صنعة منها قوله :

٢٠ (١) كذا في الأغانى . وفي الأصل : « إذا أنا » .

(٢) كذا في الأغانى . وفي الأصل : « بينا » .

أَلَا يَدِيرَ حَنْظَلَةَ الْمُفْسَدَى \* لَقَدْ أَوْرَثَنِي سُقْمًا وَكُفْمًا  
أَزَقَ مِنَ الْفَرَاتِ إِلَيْكَ زَقًا \* وَأَجْعَلُ حَوْلَهُ الْوَرْدَ الْمُتَنَدَّى<sup>(١)</sup>

ومنهم أبو عيسى بن المتوكل . قال عبد الله بن المعتز :

جُمِعَ لِأَبِي عَيْسَى بْنِ الْمُتَوَكَّلِ صِنْعَةٌ مَقْدَارُهَا أَكْثَرُ مِنْ ثَلَاثَةِ صَوْتٍ ، مِنْهَا  
الْجَيْدُ الصَّنْعَةُ وَمِنْهَا الْمُتَوَسِّطُ . وَقَالَ الثُّمَيْرِيُّ : سَمِعْتُ أَبَا عَيْسَى بْنِ الْمُتَوَكَّلِ يَقُولُ :  
إِذَا أَتَمَمْتَ صِنْعَةَ ثَلَاثَةِ وَسْتَيْنِ صَوْتًا حُدِدَ أَيَّامُ السَّنَةِ تَرَكْتَ الصَّنْعَةَ . فَلَمَّا أَتَمَمَهَا تَرَكَ  
الصَّنْعَةَ . لَهَا قَوْلُهُ فِي شِعْرِ عَلِيِّ بْنِ الْجَهْمِ :

هِيَ النَّفْسُ مَا حَمَلَتْهَا تَحْتَمِلُ \* وَلِلدَّهْرِ أَيَّامٌ تَجْصُرُ وَتَعْدِلُ  
وَتَاقِبَةُ الصَّبْرِ الْجَمِيلِ جَمِيلَةٌ \* وَأَفْضَلُ أَخْلَاقِي الرِّجَالِ التَّجَمُّلُ

قال أبو الفرج الأصفهاني : وهو تعمري من جيد الغناء ، وقاير الصنعة ،  
ولو لم يصنع غيره لكفى .<sup>(٢)</sup>

ومنهم عبد الله بن المعتز . هو أبو العباس عبد الله بن المعتز بالله العباسي .

قد وصفه أبو الفرج الأصفهاني فقال : وأمره مع قُرب عهده بعصرنا مشهورٌ  
في فضائله وأدبه شهرةٌ يشترك في أكثرها الناطق والعاقل ، وشعره وإن كان فيه رقةٌ  
الملوكية وغزلُ الظرفاء وهلهلةُ المُحدثين ، فإن فيه أشياء كثيرة تجرى في أسلوب  
المجيدين ، ولا تقصر عن مدى السابقين وأشياء ظريفة من أشعار الملوك في جنس  
ما هم بسبيله ، ليس عليه أن يتشبه فيها بفحول الجاهلية . وأطنب في وصفه  
وتقريبه ، وهو فوق ما قال . ثم قال :

(١) كذا في معجم البلدان لياقوت . وفي الأصل : « تحه » . ورواية الأغاني ( ج ٩ ص ١٠٢ ) :

أَزَقَ مِنَ الْقَارِ إِلَيْكَ دَنَا \* وَأَجْعَلُ تَحْتَهُ الْوَرْدَ الْمُتَنَدَّى

٢٠

(٢) كذا في الأغاني . وفي الأصل : « وما لو لم يصنع » .



وكان عبد الله حسن العلم بصناعة الموسيقى والكلام على النغم وعيّلها ؛ وله في ذلك وفي غيره من الآداب كتب مشهورة ومراسلات جرت بينه وبين عبيد الله ابن عبد الله بن طاهر وبين بني حمدون وغيرهم تدلّ على فضله وغزارة أدبه ، وذكر منها شيئا ليس هذا موضع إيرادها . ثم قال : ومن صنعة عبد الله بن المعترف شعره :

هل ترجعن ليالي قد مضين لنا \* والدار جامعة أزمان أزمانا

قال أبو الفرج : ومن صنعته الظريفة الشكل مع جودتها :

وأبلائي من مخضر ومغيّب \* وحبيب مني بعيد قريب  
لم ترّد ماء وجهه العين إلا \* شرفت قبل ريبا بريب  
قال : ومن صنعته التي تظّارف فيها وملح :

زاحم كئي كنه فالتويا \* وافق قلبي قلبه فاستويا  
وطالب ذاقا الهوى فالتويا \* يا قوة العين ويا همي ويا

وحيكي عن جعفر بن قدامة قال : كان لعبد الله بن المعترف غلام يحبّه ، فغضب الغلام عليه ، لجهد أن يترضاّه ، فلم يكن له فيه حيلة . ودخلت عليه فأنشدني فيه :

بأي أنت قد تمّا \* ديت في الحجر والنصب  
وأصطباري على صدر \* ذلك يوما من العجب  
ليس لي إن فقدت وجه \* نك في العيش من أرب  
يرحم الله من أعا \* ن على الصلح وأحسن

قال : فضيت إلى السلام ، فلم أزل أداريه وأرفق به حتى رضيت له وجهته به ؛ فتر لنا يومئذ أطيب يوم وأحسنه .

ذكر من غنى من الأشراف والعلماء رحمهم الله

كان من غنى من الأشراف والعلماء كل ما نقل إلينا من أخبارهم :

عبد العزيز بن المطلب <sup>(١)</sup> . روى الحافظ أبو الفضل محمد بن طاهر بن  
على المقدسي رحمه الله بسند رفعه إلى محمد بن مسلمة قال حدثني أبي قال : أتيت  
عبد العزيز بن المطلب أسأله عن بيعة الجحش للنبي صلى الله عليه وسلم بمسجد  
الأحزاب ما كان بدوها ، فوجدته مستقياً وهو يفتي :

« ما روضة بالحزن طيبة الترى \* يمجج الندى جججتها وحرارها <sup>(٢)</sup>  
بأطيب من أردان حزة مؤهنا \* وقد أوقدت بالمتدل الرطب نارها  
من الخفريات البيض لم تلق شقوة \* وبالحسب المكنون صاف نجارها  
فإن برزت كانت لميليك قوة \* وإن غبت عنها لم يملك عارها <sup>(٣)</sup>  
قلت له : تغنى أصلحك الله وأنت في جلاتك وشرفك ! أما والله لأحدثن بها  
رُكبان مجده . قال : فوالله ما أكرت وعاد يتغنى :

« فما ظنية أدماء خفاقة الحشى \* تجوب بظلفها بطون الخمائل  
بأحسن منها إذ تقول تدللاً \* وأدعها يذرين حشواً المكاحل  
تمتّع بنا اليوم القصير فإنه \* وهين أيام الشهور الأطول <sup>(٤)</sup>

(١) في الأصل « عبد العزيز بن عبد المطلب » والتصويب عن كتب التراجم والأغاني (ج ١ ص ٦٨)  
طبع بولاق . وهو عبد العزيز بن المطلب بن عبد الله بن حنبل ولى قضاء المدينة لهد المتصور ثم المهدي  
ورلى قضاء مكة .

(٢) الملحاح : شجر له زهر أحمر طيب الرائحة . والعرار : الترس البرى .

(٣) رواية الأغاني (ج ١ ص ١٤٤ طبع بولاق) :

فإن غبت كانت لميليك قوة \* وإن تبه يوم لم يملك عارها

قال : فندمت على قولي له ، فقلت : أصلحك الله ، أتمدني في هذا بشيء ! فقال :  
نعم ، حدثني أبي قال : دخلت على سالم بن عبد الله بن عمر — رضى الله عنهم —  
وأشعب يفتيه :

مَعْقُوبَةُ كَالْبَدْرِ سُنَّةٌ وَجْهَهَا \* مُطَهَّرَةُ الْأَنْوَابِ وَالْعَرَضُ وَافِرُ  
لَهَا تَسْبُّ زَاكٍ وَعَرَضٌ مُهْدَبٌ \* وعن كل مكروه من الأمر زاجرُ  
مِنْ الْخَفِيرَاتِ الْبَيْضِ لَمْ تَلَقِ رَيْبَةً \* ولم يستملها عن نقي الله شاعرُ

فقال له سالم رضى الله عنه : زدنى . فقال :

أَلَمْتُ بِنَا وَاللَّيْلُ دَاجٍ كَأَنَّهُ \* جَنَاحُ غُرَابٍ عَنْهُ قَدْ قَفِضَ الْقَطْرَا  
فَقُلْتُ أَعْطَارُ نَوَى فِي رِحَالِنَا \* وما احتملت ليل سوى ريحها عطرا

فقال سالم : أما والله لولا أن تتداوله الرواة لأجزلت جائزتك ، فلك من هذا الأمر  
مكانٌ .

ومنهم إبراهيم بن سعد <sup>(٢)</sup> . هو أبو إسحاق إبراهيم بن سعد بن إبراهيم بن  
عبد الرحمن بن عوف الزهرى . كان من العلماء الثقات المحدثين . سمع أباه  
وأبن شهاب الزهرى وهشام بن عروة وصالح بن كيسان ومحمد بن إسحاق بن  
يسار . روى عنه يزيد بن عبد الله بن المسد وشعبة بن الجراح والليث بن سعد ،  
وأبناءه يعقوب وسعد أبنا إبراهيم وعبد الرحمن بن مهدي وزيد بن هارون ويونس  
المؤدب وأبو داود الطيالسى وسليمان بن داود الهاشمي وعبد العزيز الآدمي وعلى بن  
الجعد ومحمد بن جعفر الوركاوى وأحمد بن حنبل وغيرهم . كان يبيع السماع

(١) في الأصل : « يشبه وجهها » . وظاهر أنه يحرف عما أثبتناه . وسنة الوجه : صورة .

(٢) في الأصول : « سعيد » . والتصويب من تهذيب التهذيب والعلامة في أسماء الرجال .

ويضرب بالعود ويغنى عليه . وله في ذلك قصة رواها أبو الفضل محمد بن طاهر المقدسي بسند رصه إلى سعيد بن كثير بن عفيرة قال :

- قدم إبراهيم بن سعد الزهري العراق سنة أربع وثمانين ومائة ، فأكرمه الرشيد وأظهره . وسئل عن الفناء فأنقى بحليله ؛ فأناه بعض أهل الحديث ليسمع منه أحاديث الزهري ، فسمعه يتقن ، فقال : لقد كنت حريصا على أن أسمع منك ، فأنا الآن فلا سمعت منك حديثا أبدا . قال : إذا لا أفقد إلا شخصك . على وصل ألا أحدث ببغداد ما أفتت حديثا واحدا حتى أغنى قبله . وشاعت هذه الحكاية ببغداد ، فبلغت الرشيد ، فدعا به فسأله عن حديث المخزومية التي قطعها النبي صلى الله عليه وسلم في سرقه الحلبي ؛ فدعا بهود . فقال الرشيد : أعود المجمر ؟ قال : لا ولكن صود الطرب ، فتهشم . ففهمها إبراهيم بن سعد فقال : لملك بملك يا أمير المؤمنين ١٠ حديث السفييه الذي أذاني بالأمس وألجاني إلى أن حلفت . قال نعم . فدعا له الرشيد بهود فأخذه وغنى :

يَا أُمّ طَلْعَةِ ابْنِ الْبَيْتِ قَدْ أَفْدَا \* مُلَّ التَّوَّاءِ لِأَن كَانَ الرَّحِيلُ ضَا

- فقال له الرشيد : من كان من فقهاكم ينكر السماع ؟ قال : مَنْ رَبَطَ اللَّهُ عَلَى قَلْبِهِ . قال : فهل بملك عن مالك في هذا شيء ؟ فقال : لا والله ، إلا أن أبي أخبرني أنهم ١٥ اجتمعوا في مدّة كانت في بني يربوع وهم يومئذ <sup>(١)</sup> جلة ، ومالك أقبلهم في فقهه وقدر ، ومعه دفوف ومعاظ وعيدان يفتنون ويلعبون . ومع مالك دَفٌّ مربع وهو يغنيهم :

سَلِمَى أَرْمَعَتْ بَيْتَا \* وَأَبْنَ لِقَاوِهَا أَيْنَا

- وقد قالت لأتريب \* لَهَا زُهَيْرٌ تَلَاقَيْنَا ٢٠  
تَمَالَيْنَ فَقَدْ طَاب \* لَنَا الْعَيْشُ تَمَالَيْنَا

فضحك الرشيد ووصله بمسار عظيم ومات إبراهيم في هذه السنة وهو ابن خمس وسبعين سنة . قال : وكان إبراهيم بن سعد يبالغ فيه إلى هذا الحد ، وقد أجمعت الأئمة على ثقته وعدالته والرواية عنه . وأتفق البخاري ومسلم على إخراج حديثه في الصحيح . ولم تسقط عدالته بفعله عند أهل العلم ، بل قُلب قضاء بغداد على جلالته ، وقُلب أبوه القضاء بالمدينة على شرفها .

وروى أبو الفرج الأصفهاني بسند رفعه إلى إسحاق بن إبراهيم الموصلي قال : شهدت إبراهيم بن سعد يحلف للرشيد وقد سأله عن بالمدينة ينكر الفناء ، فقال : مَنْ قَنَعَهُ اللَّهُ نَحْزِيهِ : مالك بن أنس ، ثم حلف أنه مع مالك يفتي :

سليمي أزمعت بينا • فإني لساؤها أينما

في حُرْسٍ لرجل من أهل المدينة يُكْنَى أبا حَنْظَلَةَ .

وروى أيضا بسنده إلى الحسين بن دحمان الأشقر قال :

كنت بالمدينة ، فخلا لي الطريق في نصف النهار ، فجعلت أتفتي :

مابأل أهلك يا رَبَّاب • نُحْزَا كَأَنَّهُمْ غَضَابُ

قال : فإذا خَوْخَةً قد شُتحت وإذا وجه قد بدا نُبْهه ليلية حمراء ، فقال :

يا فاسق ! أسأت التأديبة ، ومنعت القائلة ، وأذعت الفاحشة ؛ ثم أندفع بغنيته ؛

فقلتُ أن طُوبى ما قد نُشْرِيفْتِهِ ، فقلتُ : أصلحك الله ! من أين لك هذا الفناء ؟

قال : نشأت وأنا غلام أنبع المغنين وأخذ عنهم ؛ فقالت لي أمي : يا بني ، إن

المغني إذا كان قبيح الوجه لم يلتفت إلى غناؤه ، فدع الفناء وأطلب الفقه فإنه

لا يضُرَّ معه قبيح الوجه . فتركُت المغنين وأتبعْتُ الفقهاء ، فبلغ الله بي ما ترى .

فقلت : فأعذُ جِئْتُ فداءك . فقال : لا ولا كرامة ! أتريد أن تقول أخذته من

مالك بن أنس ! وإذا هو مالك ولم أعلم .

ومنه محمد بن إسماعيل بن علي بن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما .  
كان عالماً بالفقه والغناء جميعاً . وكان يحيى بن أكثم وصفه للمأمون بالفقه ،  
وصفه أحمد بن يوسف بالغناء . فقال المأمون : ما أعجب ما أجمع فيه العلم بالعلم  
والغناء ! .

### • ذكر من غنى من الأعيان والأكابر والقواد ممن تُسببت له صنعة في الغناء

منهم أبو دُلف العجلي . هو أبو دُلف القاسم بن عيسى بن إدريس أحد  
بنى عجل بن لجيم بن صعب بن علي بن بكر بن وائل . كان عله من الشجاعة وبُعد  
الهمة وعلقو المحل عند الخلقاء وعظم الفناء في المشاهد وحسن الأدب وجودة الشعر  
مخلاً كبيراً ليس لكثير من أمثاله .

١٠

قال أبو الفرج الأصبهاني : وله صنعة حسنة . فمن جيد صنعته قوله —  
والشعر له أيضاً :

بنفسي يا يحنان وأنت مني \* مكان الروح من جسد الحبان

ولو أني أقول مكان نفسي \* خشيئت عليك بادرة الزمان

١٥

لإقداي إذا ما انخيل حامت \* وهاب كجأتها حر الطعانت

قال : وكان أحمد بن أبي دُواد يُنكر أمر الفناء إنكاراً شديداً ، فأعلمه المعتصم  
أن أبا دُلف صديقه يفتي . فقال : ما أراه مع عقله يفعل ذلك ! فستر المعتصم  
أحمد بن أبي دُواد في موضع وأحضر أبا دُلف وأمره أن يفتي ففعل ذلك وأطال ،  
ثم أخرج أحمد بن أبي دُواد عليه ، فخرج والكراسة ظاهرة في وجهه . فلما رآه أحمد

قال: سَوِّدْ لِهَذَا مِنْ فَعْلٍ ! أَبْعِدْ [هَذِهِ] السِّنَّ وَهَذَا الْحَلَّ تَصْنَعُ بِنَفْسِكَ مَا أَرَى !  
نَحْلِلُ أَبُو دَلْفٍ وَتَشْوَرُ وَقَالَ : لَأَنْهُمْ لَيَكْرِهُونِي عَلَى ذَلِكَ . فَقَالَ : هَبْهُمْ أَكْرَهُوكَ  
عَلَى الْغِنَاءِ أَمْ أَكْرَهُوكَ عَلَى الْإِحْسَانِ فِيهِ وَالْإِصَابَةِ ! .

- قال: وكان أبو دلف يتألم الواثق . فوصف المتعم فاحب أن يسمعه، وسأل  
الواثق عنه فقال له: يا أمير المؤمنين، أنا على نية القصد خذاً وهو عندي . وقصد الواثق  
فأثاه أبو دلف وأثنى رسل الخليفة بالهدايا فأعجبهم الواثق حصول أبي دلف عنده .  
فلم يلبث أن أقبل الخدم يقولون: قد جاء الخليفة . فقام الواثق وكل من كان  
عنده حتى تلقوه، وجاء حتى جلس، وأمر بندماء الواثق فرددوا إلى مجالسهم . وأقبل  
الواثق على أبي دلف فقال: يا قاسم، غن أمير المؤمنين . فقال: صوتاً يمينه  
أو ما أحترق؟ قال: بل من صنعتك في شعر جرير . فغنى:

بَانَ الْخَلِيطُ بِرَأْمَتَيْنِ فَوَدَّعَا \* أَوْكَلَمَا أَعْتَمُوا لَيْلَيْنِ تَجَمَّعَا  
كَيْفَ الْعَزَاءُ وَلَمْ أَحِذْ مَذْهِبَهُمْ \* قَلْبًا يَفْسُرُ وَلَا شِرَابًا يَنْقَعُ

- فقال المتعم: أحسن أحسن — ثلاثاً — وشرب رطلاً . ولم يزل يستعيدته حتى  
شرب تسعة أرطال . ثم دعا بمجار فركبه، وأمر أبا دلف أن ينصرف معه؛ فخرج  
معه فثبت في ندمائه، وأمر له بمشرين ألف دينار .

قال: وكان أبو دلف جواداً ممدحاً . وفيه يقول علي بن جبلة من قصيدة  
يقول فيها:

ذَادَ وَرْدَ النَّبِيِّ عَنْ صَدْرِهِ \* وَأَرَعَوَى وَاللَّهُ مِنْ وَطَرِهِ .  
تَدْبِي أَنَّ الشَّبَابَ مَضَى \* لَمْ أَبْلُغْهُ مَدَى أَثَرِهِ

- (١) الزيادة من الألفاظ (ج ٧ ص ١٥٥ طبع بولاق) . (٢) في الألفاظ: « تضع نفسك  
كما أرى » . (٣) يقال: شورت الرجل وبالرجل تشور، إذا نجسته تلجج .

حَصَرْتُ عَنْيَ بِشَاشَتِهِ \* وَذَوَى الْمَحْمُودِ مِنْ ثَمَرِهِ  
وَدِيمَ أَهْدَرْتُ مِنْ رَقَا \* لَمْ يُدْ عَقْلًا عَلَى هَذِيرِهِ  
جاء منها :

دَعَجَ جَدًّا لِحَطَّانٍ أَوْ مُضِيرٍ \* فِي يَمَانِيهِ وَفِي مُضِيرِهِ  
وَأَمْسَدَخَ مِنْ وَائِلٍ رَجُلًا \* عَصَرَ الْأَفَاقِ مِنْ عَصِيرِهِ  
ومنها :

الْمَنَايَا فِي مَقَانِبِهِ \* وَالْعَطَايَا فِي ذَرَا مُجْمِرِهِ  
مَلِكٌ تَنْدَى أَنَامِلُهُ \* كَاتِبُ لَاجِ النَّوَى عَنْ مَطَرِهِ  
مُسْتَهْلٌ عَنْ مَوَابِهِ \* كَاتِبُ سَامِ الرُّوضِ عَنْ زَهْرِهِ  
ومنها :

إِنَّمَا الدُّنْيَا أَبُو دُلْفٍ \* بَيْنَ بَادِيَةٍ وَمُخْتَصِرَةٍ  
فَإِذَا وَلَّى أَبُو دُلْفٍ \* وَلَّتِ الدُّنْيَا عَلَى أَثَرِهِ  
كُلُّ مَنْ فِي الْأَرْضِ مِنْ عَرَبٍ \* بَيْنَ بَادِيَةٍ إِلَى حَضِرَةٍ  
مُسْتَعِيرٌ مِنْهُ مَكْرَمَةٌ \* يَكْتَسِبُهَا يَوْمَ مُفْتَحِرَةٍ

وهذان البيتان اللذان أحفظا المأمون على علي بن جبلة حتى سل لسانه من قفاه .  
وقوله فيه :

أَنْتَ الَّذِي تُنْزِلُ الْإِيَّامَ مَرْتَلًا \* وَتَنْقُلُ الدَّهْرَ مِنْ نَحَالٍ إِلَى حَالٍ  
وَمَا مَدَدْتَ مَدَى طَرْفٍ إِلَى أَحَدٍ \* إِلَّا قَضَيْتَ بَارِزًا وَآجَالٍ  
تَرَوُّهُ مَخْطَأَ قُضْيَى الْبَيْضِ ضَاكِكَةً \* وَتَسْتَهْلُ فَنَكِي أَمِينُ الْمَالِ  
وكان سبب مدح علي بن جبلة أبا دُلْفٍ بقوله :

\* إِنَّمَا الدُّنْيَا أَبُو دُلْفٍ \*



ما رواه أبو الفرج الأصفهاني بسنده عن علي بن جبلة قال : زرت أبا دلف بالجبل ، فكان يظهر من برى وإكرامى والتحقى بنى أمرا عظيما مفريطا حتى تانحرت عنه حياه . فبعث إلى متيلا وقال : يقول لك الأمير : قد أقطعت حتى ، وأظنك قد استقلت برى ، فلا يفضهنك ذلك فإني سأزيد فيه حتى ترضى . فقلت : والله ما قطعنى إلا الإفراط فى البر ، وكنت إليه :

هجرتك لم أجهرك من كفر نعمة • وهل يرتقى نبيل الزيادة بالكفر  
ولكننى لما أتيتك زائرا • فأفرطت فى برى عجزت عن الشكر  
فيم الآن لا أتيتك إلا مسلما • أزورك فى الشهرين يوما وفى الشهر  
فإن زدتنى رأيا تزايدت جفوة • ولم تلقنى طول الحياة إلى الحشر

فلما قرأها مقبل استحسنها وقال : أحسنت والله ! أما إن الأمير يمجبه هذا من المعانى . فلما أوصلها إلى أبي دلف قال : قاتله الله ! ما أشعره وأرقى معانيه ! وأجابنى لوقته - وكان حسن البديهة حاضر الجواب - :

ألا رب طيف طارق قد بسطته • وأنسته قبل الضيافة باليشير  
أفانى يرتجى فى حال دونه • ودون القرى والعرف من ثاقل سترى  
وجدت له فضلا على بقصده • إلى ويرا زاد فيه على برى  
فزودته مالا يدوم بقاؤه • وزودنى مدحا يدوم على الدهر  
قال : وبعث بالأبيات وصيفا وبعث إلى معه ألف دينار . فقلت حينئذ :

• إنما الدنيا أبو دلف •

الآيات .

وروى أبو الفرج عن أحمد بن حبيب الله بن عمار قال : سكا عند أبي العباس

المبرد يوما وعنده قتي من ولد أبي البختري وهب بن وهب ، أمرد حسن الوجه ،

وَقِيَّ مِنْ وَلَدِ أَبِي دُلْفِ الْعِجْلَى شَبِيهَ بِهِ فِي الْجَمَالِ . فَقَالَ الْمُبَرَّدُ لِأَبْنِ أَبِي الْبَخْتَرِيِّ :  
أَعْرِفَ بِحَدِّكَ قِصَّةَ طَرِيفَةٍ مِنَ الْكَرَمِ حَسَنَةً لَمْ يُسَبِّقْ إِلَيْهَا . قَالَ : وَمَا هِيَ ؟ قَالَ :  
دُعِيَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْأَدَبِ إِلَى بَعْضِ الْمَوَاضِعِ فَسَقَّوْهُ نَيْدًا غَيْرَ الَّذِي يَشْرَبُونَ  
مِنْهُ ؛ فَقَالَ فِيهِمْ :

نَيْسَإِذَانِ فِي مَجْلِسٍ وَاحِدٍ \* لِإِيشَارِ مُشْرِعٍ عَلَى مُقَسِّرٍ  
فَلَوْ كَانَ فَعْلُكَ ذَا فِي الطَّعَامِ \* لَزِمَتْ قِيَاسُكَ فِي الْمَسْكِي  
وَلَوْ كُنْتَ تَفْعَلُ فَعْلَ الْكَرَامِ \* صَنَعْتَ صَنِيعَ أَبِي الْبَخْتَرِيِّ  
تَتَّبِعَ إِخْوَانَهُ فِي الْبِلَادِ \* فَأَضَى الْمِقْلَ مِنَ الْمَكْثَرِ

فَبَلَفْتَ الْإِبْيَاتِ أَبَا الْبَخْتَرِيَّ فَبَعَثَ إِلَيْهِ ثَلَاثَةَ دِينَارٍ . قَالَ ابْنُ عِمَارٍ : فَقُلْتُ  
وَقَدْ فَعَلَ جَدُّهُ هَذَا الْقَتْلَ فِي هَذَا الْمَعْنَى مَا هُوَ أَحْسَنُ مِنْ هَذَا . قَالَ : وَمَا فَعَلَ ؟  
قَالَ : بَلَفَهُ أَنْ رَجُلًا أَفْقَرُ مِنْ ثَرْوَةٍ ، فَقَالَتْ لَهُ امْرَأَتُهُ ، أَقْتَرِضْ فِي الْخَمْدِ ،  
فَقَالَ :

إِلَيْكَ حَتَّى فَقَدْ كَلَّفَنِي شَطَطًا \* حَمَلَ السِّلَاحَ وَقَوْلَ الدَّارِصِينَ قِفْ

تَمْشِي الْمَنَابِإَ إِلَى قَوْمٍ فَأَكْرَهَهَا \* فَكَيْفَ أَمْشَى إِلَيْهَا طَارِيَّ الْكَيْفِ

حَسِبْتُ أَنَّ نَفَادَ الْمَالِ غَيْرُنِي \* أَوْ أَنَّ رُؤْيِي فِي جَنَّتِي أَبِي دُلْفِ

(٤٥)

فَأَحْضَرَهُ أَبُو دُلْفٍ وَقَالَ : كَمْ أَتَمَلَيْتَ أَمْرًا تَكُ أَنْ يَكُونَ رِزْقُكَ ؟ قَالَ : مِائَةَ دِينَارٍ ،  
قَالَ : كَمْ أَتَمَلَيْتَ أَنْ تَمِيشَ ؟ قَالَ : عَشْرِينَ سَنَةً . قَالَ : فَذَلِكَ لَكَ عَلَى مَا أَتَمَلَيْتَ  
وَأَتَمَلَيْتَ أَمْرًا تَكُ فِي مَالِنَا دُونَ مَالِ السُّلْطَانِ ، وَأَمْرٍ بِإِعْطَائِهِ إِيَّاهُ . قَالَ : فَارَأَيْتَ  
وَجْهَ ابْنِ أَبِي دُلْفٍ يَهْتَلِ وَأَنَّهُ كَسَرَ ابْنَ أَبِي الْبَخْتَرِيَّ . وَهَذِهِ الْإِبْيَاتُ رُويَتْ  
لِأَبْنِ أَبِي قَتَيْبٍ .

ومنهم أخوه مَعْقِل بن عيسى . كان فارسا شاعرا جوادا مغنيا فهِمَا  
بِالنِّعَمِ وَالْوَرَى، ذكره الجاحظ مع ذكر أخيه أبي دُلْف . وهو القائل لخارق — وقد  
كان زار أبا دلف بالجبل ثم رجع الى العراق، وله في ذلك غناء — :

لعمري لئن قَرَّتْ بِقُرْبِكَ أَعْيُنٌ \* لَقَدْ حَفَّضْتَ بِالْبُعْدِ عَنْكَ حَيُونَ  
فِيسِرٍ أَوْ أَيْمٍ، وَقَفَّ طَلِيكَ مَوْدِقٍ \* مَكَائِكَ مِنْ قَلْبِي عَلَيْكَ مَعْصُونُ  
فَأَوْحَشَ الدُّنْيَا إِذَا كُنْتَ نَازِحًا \* وَمَا أَحْسَنَ الدُّنْيَا بِمِثِّكَ تَكُونُ

ومنهم عبد الله بن طاهر بن الحسين وأبنة عبيد الله . فاما عبد الله  
فكان علَّه من طو المنزلة وعظم القدر والتمكُّن عند الخلفاء ما هو مشهور مذكور  
في أخبارهم . وتقلد الولايات الكبيرة مثل مصر والجزيرة وما إلى ذلك، ثم نُقل إلى  
خراسان . وله عطايا وهبات وصِلَات لا يُنكرها أحد . وعلَّه من الشجاعة والإقدام  
معروف . وكان يعنى بالغناء ويصنعه ، إلا أنه كان يترفع عن ذكره والاعتراف به  
ونسبته إليه .

قال أبو الفرج : والأصوات التي غنى فيها عبد الله بن طاهر كثيرة . وكان  
أبنة عبيد الله إذا ذكر شيئا منها من صَنَعته قال : الغناء للدار الكبيرة، وإذا ذكر  
شيئا من صنعة نفسه قال : الغناء للدار الصغيرة . فمن الأصوات التي صنع فيها  
عبد الله بن طاهر قوله :

هَلَّا سَقِمْتُ بِحِزْمِ أَسِيرِكُمْ \* نَفْسِي فِدَاؤُكَ مِنْ ذِي غُلَّةٍ صَادِي  
الطَّاعِنِ الطَّلْعَةِ النِّجْلَاءِ يَتَّبِعُهَا \* مُضَرَّجٌ بَعْدَ مَا جَادَتْ بِإِزَابَادِ

قال : فقد جاء به عبد الله صحيح العمل مزودج النغم [بين] لين وشدة على رسم

(١) في الأغاني (ج ١١ ص ١٤ طبع بولاق) : « بن سيم » ثم قال : « وم يطن من هذيل » .

وذكر في موضع آخر فقط « بن جرم » . (٢) الإيالة عن الأغاني .

- الخلّاق القدماء . قال عبيد الله - وذكر صوتا من أصواته - : لما صنع أبي هذا الصوت لم يحب أن يُسمع عنه شيء من الفناء ولا ينسب إليه ؛ لأنه كان يرفع عن ذلك ، وما جسّ بيده وترّا قط ولا تعاطاه ، ولكنه كان يعلم من هذا الشأن بطول الدربة وحسن الثقافة ما لا يعرفه كثير . قال : وبلغ من علم ذلك إلى أن صنع في أبيات أصواتا كثيرة ، فالفها على جواريه ، فأخذنها عنه وغنّين بها وسمعاها الناس منهن .
- [ومن أخذ عنهن . فلما أن صنع هذا الصوت :

هَلَّا سَقِيمٌ بَنَى سَهْمٌ أَسِيرُكُمْ \* نَفْسِي فِدَاؤُكَ مِنْ ذِي قُلَّةٍ صَادِي<sup>(١)</sup>

- نسبه إلى مالك بن أبي السمع . وكانت لأكل الفضل بن الربيع جارية يقال لها راحة ، وكانت ترغب إلى عبد الله لما ندبه المأمون إلى مصر ، وكانت تغنيه ؛ وأخذت هذا الصوت عن جواريه ، وأخذته المغنون عنها ، وروى لمالك بن أبي السمع مئة . ثم قديم عبد الله العراق ، فحضر مجلس المأمون وحقى الصوت بحضرته ونسب إلى مالك ؛ فضحك عبد الله ضحكا كثيرا ؛ فُسِّلَ عن القصة فصنق<sup>(٢)</sup> فيها وأعترف بصنعة الصوت . وكشف المأمون عن القصة ؛ فلم يزل كل من سئل عنه يُخبر عن أخذ<sup>(٣)</sup>ه ، فينتهي بالقصة إلى راحة ويقف فلا يعدوها . فأحضرت راحة<sup>(٤)</sup> وسُئِلَتْ فأخبرت بقصته ؛ فلم أنه من صنعته حينئذ بعد أن جاز على إصمحاق وطبقته ١٥ أنه لمالك . ويقال : إنه لم يسجد من شيء عجبته من حدق عبد الله بمذاهب الأوائل وحكاياتهم .

وأما عبيد الله ، ويكنى أبا أحمد . قال أبو الفرج الأصبهاني : له عمل

من الأدب والتصريف في فنونه ورواية الشعر وقوله والعلم باللغة وأيام الناس

- ٢٠ (١) كذا في الأغانى : وفي الأصل « يرتقم » . (٢) التكلية عن الأغانى .  
 (٣) في الأغانى : « داحة » . (٤) كذا بالأغانى . وفي الأصل : « منها » .  
 (٥) كذا في الأغانى . وفي الأصل : « من سئل عنه من أخذ » .

وعلوم الأوائل من <sup>(١)</sup> الفلاسفة في الموسيقى والمهندسة وغير ذلك [مما] <sup>(٢)</sup> يحل عن الوصف ويكثر ذكره . وله صنعة في الغناء حسنة متقنة عجيبة [تدل على ما ذكرناه هاهنا من توصله] <sup>(٣)</sup> إلى ما عجز عنه الأوائل من جمع النغم كلها في صوت واحد <sup>(٤)</sup> تتبعه هو وأتى به على ما فصله فيها وطلبه منها .

وكان المعتضد بالله ربما أراد أن يصنع في بعض الأشعار غناء ويحضره أكابر المغنين فيعمل عنهم إليه فيصنع فيه أحسن صنعة ، ويرتفع عن إظهار نفسه بذلك فيومي إلى أنه من صنعة جاريته ساجي . وسنذكر ساجي إن شاء الله تعالى في أخبار القيان ، وكانت تخرج عبيد الله وتأديه .

قال : ولما آخلت حال عبيد الله كان المعتضد بالله يتفقد بالصلوات . ومن أصوات عبيد الله التي جمع فيها النغم العشر قوله في شعر إبراهيم بن علي بن هرمة :  
ولئك إذ أطمعتني منك بالرضا \* وأياستني من بعد ذلك بالغضب  
كُمَيْكِنَةٍ مِنْ دَرَاهِمٍ كَفَّ حَالِب \* ودافقي من بعد ذلك ما حَلَب  
وأخبار عبيد الله كثيرة سنذكر منها في هذا الباب في أخبار ساجي طرفاً ، ونورد منها إن شاء الله تعالى في فن التاريخ ما يناسب . وأستغفر الله العظيم .

١٥ (١) كذا بالأغاني (ج ٨ ص ٤٤ طبع بولاق) . وفي الأصل : « الطيبة » .

(٢) الزيادة عن الأغاني .

(٣) في الأصل : « متقنة عجيبة إلى ما يجزعه ... » . والتكئة والصوب من الأغاني (ج ٨ ص ٤٤ طبع بولاق) .

(٤) كذا في الأغاني . وفي الأصل : « في صوت واحد حتى يلهه هو » .

٢٠ (٥) في الأغاني : « ساجي » .

## ذكر أخبار المغتني الذين نقلوا الغناء من الفارسية إلى العربية ومن أخذ عنهم ومن اشتهر بالغناء

- والغناء قديم في الفرس والروم، ولم يكن للعرب قبل ذلك إلا الحذاء والشديد،  
وكانوا يسمونه «الركانية». وأول من نقل الغناء العجمي إلى العربي من أهل مكة  
«سعيد بن مسجح» ومن أهل المدينة «سائب خاثر». وأول من صنع المزج  
«طويس». ولنبداً بذكر أخبار هؤلاء ثم نذكر من أخذ عنهم إن شاء الله تعالى.

### ذكر أخبار سعيد بن مسجح

- هو أبو عثمان سعيد بن مسجح، مولى بني جهم، وقيل: مولى بني غزوم،  
وقيل: مولى بني نوفل بن الحارث بن عبد المطلب. مكى أسود — وقيل:  
أصفر — حسن اللون. وقيل: كان مولداً، يُكنى أبا عيسى. وقيل: كان هو  
وأبن سرج لرجل واحد. مغن متقدم من غفول المغتني وأكابرهم. وهو أول من  
وضع الغناء منهم، وأول من غنى الغناء العربي بمكة؛ وذلك أنه مرّ بالفرس وهم  
يبنون المسجد الحرام في أيام عبد الله بن الزبير، فسمع غناءهم بالفارسية فقلبه في شعر  
عربي، ثم رحل إلى الشام فأخذ ألحان الروم والبربطية والأسطوخوسية<sup>(١)</sup>، وأقلب

١٥ (١) كذا في الأغاني. وفي الأصل: «الأسطوخوسية». وقد رأى العلامة الأب أنستاس ماري  
الكرمل أن تكون كلمة «البربطية» مصحفة من «البربطية» (بضم الباء الموحدة وفتح الزاي يليها نون  
ساكنة بعدها طاء مكسورة ثم ياء مثناة مشددة وفي الآخر هاء)؛ نسبة إلى بربطية وهي مدينة القسطنطينية  
قبل أن تبنى. ويراد بالبربطية قوم من الروم الشرقيين عرفوا بهذا الاسم منذ عهد قسطنطين الكبير إلى  
سقوط القسطنطينية بيد الترك.

٢٠ ثم قال: وأما الأسطوخوسية فإراد جسم قوم آخرون من أسطوخوس أو أسطوخادس، وهي جزيرة  
في جنوبي فرنسا، كان أهلها معروفين بالقصص والفناء والأنس، كما هم عليه إلى هذا العهد، وكان سكانها  
خليطاً من الروم واليونانيين والفلسطينيين. (انظر المجلد الثاني من مجلة الزهر ٨ ص ٣٥ —

إلى فارس فأخذ غناء كثيرا وتعلم الضرب ، ثم قديم إلى الحجاز وقد أخذ محاسن تلك  
النغم وألقى منها ما استغبطه من الثبرات والنغم ؛ وكان أول من فعل ذلك ، وتبعه  
الناس بعد ؛ وعلم ابن مريج ، وعلم ابن مريج الفريض . قالوا : وكان في صباه  
فطنا ذكيا ، وكان مولاه مُعجبا به ، فكان يقول : لَيَكُونُ لهذا الغلام شأن ،  
وما ينعني من حقه إلا حُسْنُ فِرَاسَتِي فيه ، ولئن عشتُ لأتفرقتُ ذلك ، وإن مُثِّ  
قبله فهو حر . فسمعه مولاه يوما يتغنى بشعر ابن الرقاع يقول :

أَلِمَّ عَلَى طَلَلٍ عَفَا مُتَقَادِمٌ • بَيْنَ اللَّؤْلُؤِ وَبَيْنَ قَيْبِ النَّأَمِ  
لَوْلَا الْحَيَاءُ وَأَنْتَ رَأْسِي قَدْ عَسَا • فِيهِ الْمَشِيبُ لَزُرْتُ أُمَّ الْقَاسِمِ

فدعاه مولاه فقال : اَصْدُ يَا بَنِي ، فأعاده فإذا هو أحسن مما أبتدأ به ، وقال :  
إِنَّ هَذَا لَبَعْضُ مَا كُنْتُ أَقُول . ثم قال له : أَنَّى لَكَ هَذَا ؟ قال : سمعتُ هذه  
الأحاجم تنغى بالفارسية فقلبتها في هذا الشعر . قال : فانت حرلوجه الله . فلزم  
مولاه وكثر أدبه وأتسع في غنائه وشهر بمكة وأعجبوا به . فدفع إليه مولاه حبيد بن  
سُريج وقال : يا بَنِي صلِّه وأجنيده فيه . وكان ابن سُريج أحسن الناس صوتا ،  
فتعلم منه ثم برز عليه . وقد قيل : إنه إنما سمع الغناء من الفرس لما أمر معاوية  
ببناء دُورِه بمكة التي يقال لها « الرُّقْط » ، وكان قد حمل إليها بتائين من الفرس  
الذين كانوا بالعراق فكانوا يلحنونها ، وكان سعيد بن مسجع يأتهم فيسمع غنائهم  
على بتائهم ، فما استحسّن من ألحانهم أخذه ونقله إلى الشعر العربي ، ثم صاغ على  
نحو ذلك . وكان من قديم غنائه الذي صنعه على تلك الألحان شعر الأخوص ، وهو :

أَسْلَامَ إِنَّكَ قَدْ مَلِكْتَ فَأَجِيبِي • قَدْ يَمْلِكُ الْحُرَّ الْكَرِيمُ فُيَسْجُجُ  
مُنَى عَلَى مَا رَبَّ أَطْلَيْتَ عَنَاءَهُ • فِي الْقُلِّ عِنْدَكَ وَالْعَنَاءُ تُسْرُجُ

(١) في الأصل : « الفيك » . والتصويب عن معجم ياقوت (ج ٢ ص ٧٢٥ طبع أوربا) .

إني لأنصحكم وأعلم أنه • سيان عندك من يشئ ويتصح  
وإذا شكوت إلى سلامة حبها • قالت أجد منك ذا أم تمزح

وهذا من أقدم الغناء العربي المنقول عن الفارسي • قال : وماش سعيد بن مسجع  
حتى لقيه معبد وأخذ عنه في أيام الوليد بن عبد الملك •

- ومن أخبار سعيد مارواه أبو الفرج الأصفهاني بسند رفعه قال : كتب عامل  
عبد الملك بن مروان بمكة إليه أن رجلا أسود يقال له سعيد بن مسجع قد أفسد  
فتيان قريش وأنفقوا عليه أموالهم • فكتب إليه : أن أقبض ماله وسيره إلى • فتوجه  
أبن مسجع إلى الشام • فصاحبه رجل له جوار مقيتات في الطريق • فقال له : أين  
تريد ؟ فأخبره الخبر وقال : أريد الشام • فصاحبه حتى بلغا دمشق • فدخل مسجدها  
فسألا : من أحسن الناس بأمر المؤمنين ؟ فقالوا : هؤلاء نفر من قريش وبنوهم •  
فوقف أبن مسجع عليهم فسلم • ثم قال : يا فتيان • هل فيكم من يضيف رجلا  
غريبا من أهل الحجاز ؟ فنظر بعضهم إلى بعض وكان عليهم موعد أن يذهبوا إلى  
قينة يقال لها « برق الأفق » • فتناقلوا به إلا قتي منهم تدم فقال له : أنا أضيفك •  
وقال لأصحابه : انطلقوا أتم وأنا أذهب مع ضيفي • فقالوا : لا • بل تبي • معنا  
أنت وضيفك • فذهبوا جميعا إلى بيت القينة • فلما أتوا بالقداء قال لهم سعيد :  
إني رجل أسود • ولعل فيكم من يقدرني • فانا أجلس وأكل ناحية وقام • فاستحيوا  
منه وبعثوا له بما أكل • فلما صاروا إلى الشراب قال لهم مثل ذلك ففعلوا •  
ثم أخرجوا جاريتين • فجلسا على سرير قد وُضِعَ لهما فغتا إلى العشاء ثم دخلتا •  
ونجرت جارية حبسة الوجه والهيئة وهما معها فجلسا أسفل السرير عن يمينه  
وشماله وجلست هي على السرير • قال أبن مسجع : فتمثلت هذا البيت :

٢٠

• (١) : تدم • خشي الدم والوم •



فقلتُ أشمسُ أم مصابيحُ بيعة \* بدتْ لك خَلْفَ السَّجْفِ أم أنتَ حالمٌ  
فغَضِبْتُ الجارية وقالت : أ يضرب مثْلُ هذا الأسودِ بي الأمثال ! فنظروا إلى  
نظراً متكرراً ، ولم يزالوا يُسَكِّنونها . ثم غنَّت صوتاً . قال ابن مسجج : فقلت :  
أحصلتِ والله ! فغَضِبَ مولاهُ وقال : أمثلُ هذا الأسودِ يُقِيمُ على جاريقي !  
فقال لي الرجل الذي أنزلني عنده : قُمْ فأنصرف إلى منزلي ، فقد قُتِلَتْ على القوم .  
فذهبت أقوم . فذمَّ القوم وقالوا : بل أقيم وأحسن أدبك . فالتُّ . ففنت ، فقلت :  
أخطأتِ والله وأساءتِ ! ثم أندفعتُ ففتيت الصوت ؛ فوثبت الجارية فقالت  
لمولاه : هذا أبو عثمان سعيد بن مسجج . فقلت : إني والله ، أنا هو ، والله لا أقيم  
عندكم ووثبت ؛ فوثب القرشيون : فقال هذا : تكون عندي ، وقال هذا : تكون  
عندي ، [ وقال هذا : بل عندي <sup>(١)</sup> ] . فقلت : والله لا أقيم إلا عند سيدي !  
( يعني الرجل الذي أتته ) منهم وسألوهُ عما أقدمه . فأخبرهم . فقال له صاحبه : إني أحمرُّ  
الليلة عند أمير المؤمنين ، فهل تحسن أن تحذو ؟ فقال : لا والله ، ولكني أصنع حذاءً .  
فقال له : إن منزلي بمحذاء منزل أمير المؤمنين ، فإذا وافقتُ منه طيبَ نفس أرسلتُ  
إليك . ومضى إلى عبد الملك . فلما رآه طيب النفس أرسل إلى ابن مسجج ؛ فأخرج  
رأسه من وراء شُرْفِ القصر ثم حذا :

إنك يا معاذُ يَأْتِ القُضْلُ <sup>(٢)</sup> \* إن زُلْزِلَ الأقدامُ لم تُزَلِّلْ  
عن دين موسى والكاتب المُنَزَّلِ <sup>(٣)</sup> \* تُقيم أصداعُ القروى المَبِيلِ  
\* للفق حتى يشعوا للأعليلِ \*

(١) الزيادة عن الأغانى (ج ٣ ص ٢٨٣ طبع دار الكتب المصرية) .

(٢) في الأصل : \* إنك يا معاذي المفضل \* والتصويب عن الأغانى .

(٣) في الأصل : « أخراج » . وفي الأغانى : « أصداع » ، وظاهر أن كليهما محرف عما ابتدأه ،  
لأنه من صدغ يصدغ صدوغاً وصدفاً بمعنى مال ، ومنه لأتقين صدقك أى مراك .

فقال عبد الملك للقرشي : مَنْ هذا ؟ فقال : رجل حجازي قديم عليّ . قال : أحضره ، فأحضره . ثم قال له : [هل] تنقّي غناء الرُكبان ؟ فنقّي . فقال له : هل تنقّي الغناء المتقن ؟ قال نعم . قال : هيه ، فنقّي ، فأهتر عبد الملك طرباً ، ثم قال : أقسم بالله إنك في القوم أسما كبيراً ، مَنْ أنت ؟ ويلك ! قال : أنا المظلوم المقبوض ماله المسير عن وطنه «سعيد بن مسجع» ، قبض مالي عامل الجواز ونفاني . فتنبّس عبد الملك ثم قال : قد وضح حُرّ قتيان قرشي في أن يُنفذوا عليك أموالهم ، وأمنته ووصله وكتب إلى عامله بالجواز أن أردّد إليه ماله ، ولا تتعرض إليه بسوء . والله أعلم .

### ذكر أخبار سائب خاثر

- ١٠ هو أبو جعفر سائب خاثر بن يسار ، مولى لبني ليث . وأصله من قِـم كسرى ، واشتراه عبد الله بن جعفر فأعتقه . وقيل : بل كان على ولائه لبني ليث ، ولكنه أقطع إلى عبد الله بن جعفر ولزيمه وحُرّف به . وهو أول مَنْ عمل المود بالمدينة وفقى به . قال : وكان عبد الله بن عامر بن عُكر يَزِي سبي إماء صَنَاجَات فأتى بهنّ (١) المدينة . فكنّ يلعبن في يوم الجمعة ويسمع الناس منهنّ ، فأخذ عنهنّ . وقديم رجل فارسي يُعرف بلَيْشِيْط ، فنقّي ، فسيب عبد الله بن جعفر منه . فقال له سائب خاثر : ١٥ أنا أصنع لك مثل غناء هذا الفارسي بالعربية . ثم خدا علي عبد الله بن جعفر وقد عمل في :

(١) الزيادة من الأغاني .

(٢) في الأغاني (ج ٧ ص ١٨٨) (طبع بولاق) : «إشترى» .

(٣) من اللامعات بالصنع ، وهو صفة مستدرة من محاسن تغريب بانري مثلها ، وقيل : الصنع ذو الأوتار الذي يلعب به .

لَمَنِ الدِّيارُ رَسومُها قَفَرُ \* لَعِبَتْ بِها الأرواحُ والقَطَرُ  
وَحَلَّ لَها مِنْ بَعدِ ساكِنا \* جِجِجٌ مَضِينٌ ثَمَانٍ أَوْ عَشْرُ  
وَالزَّعْفَرانُ عَلى تَرائِبا \* شَرِقُّ بِه اللَّبَّاتُ وَالنَّحْرُ

قال ابن الكلبي: وهو أول صوت غنى به في الإسلام من الغناء العربي المتغن  
الصنعة. قال: ثم اشتري عبد الله بن جعفر نسيطا بعد ذلك، فأخذ عنه سائب  
خاثر الغناء العربي، وأخذ عنه ابن مريح وجيلة ومعبدة وعزة الميلاء وغيرهم. وقيل:  
إنه لم يكن يضرب بالعود وإنما كان يقرع بالقضيب ويغني مرتجلا. قال  
ابن الكلبي: وكان [سائب تاجرا] موصرا يبيع الطعام بالمدينة، وكان تحته أربع  
نسوة. وكان آتطاعه إلى عبد الله بن جعفر، وهو مع ذلك يحاطل سروات الناس  
وأشرافهم لظرفه وحلاوته وحسن صوته. وكان قد آلى على نفسه ألا يغني أحدا  
سوى عبد الله بن جعفر إلا أن يكون خليفة أولي عهد أو ابن خليفة؛ فكان على  
ذلك إلى أن قُتل، على ما ذكره. وأخذ عنه معبد غناء كثيرا. قال: وسمع معاوية  
غناء سائب خاثر مرارا، فالتمزة الأولى لما وقد عبد الله بن جعفر إلى معاوية وهو  
معه، فسأل عنه معاوية، فأخبره عبد الله خبره وأستأذنه في دخوله عليه، فأذن له.  
فلما دخل قام على الباب ثم رفع صوته فغنى:

\* لَمَنِ الدِّيارُ رَسومُها قَفَرُ \* الأيات

فالتفت معاوية إلى عبد الله وقال: أشهد لقد حسنته. وقضى معاوية حوائجه  
وأحسن إليه ووصله. وقيل: أشرف معاوية ليلة على منزل يزيد، فسمع صوتا  
أعجبه، واستخف السماع فاستمع حتى مل، ثم دعا بكرمى بخلص عليه وأشتهى  
الاستراحة، فاستمع بقية ليلته. فلما أصبح غدا عليه يزيد فقال: يا بني، من كان

جليسك البارحة؟ قال : أئى جليس يا أمير المؤمنين؟ واستعجم عليه . فقال : عرفتني به فإنه لم يخف على شيء من أمرك . قال : هو سائب خاثر . قال معاوية : فأكثر له يا بنى من برِّك وصيتك ، فما رأيت بحالته بأما .

قال ابن الكلبي : وقدم معاوية المدينة في بعض ما كان يقدم ، فأمر حاجبه بالإذن للناس ، فخرج ثم رجع فقال : ما بالباب أحد . فقال معاوية : وأين الناس ؟ قال : عند عبد الله بن جعفر . فركب معاوية بقلته ثم توجه إليهم . فلما جلس قال بعض القرويين لسائب خاثر : مطرفي هذا لك إن أندفعت تغني ( وكان المطرف من خز ) ، فقام بين السماطين وغنى فقال :

لنا الحفائض الغريبات بالضحى <sup>(١)</sup> \* وأسيافنا يقطرون من تجمد دما

فسمع منه معاوية وطرب وأصغى إليه حتى سكت وهو مستحسن لذلك ، ثم أنصرف ، وأخذ سائب خاثر المطرف <sup>(٢)</sup> .

وكان مقتل سائب خاثر بالمدينة يوم الحرة . قال : وكان يخشى على نفسه من أهل الشام . فخرج إليهم وجعل يقول : أنا مغن ، ومن حالي ومن قصتي كيت وكيت ، وقد خدمت أمير المؤمنين يزيد وأباه قبله . فقالوا له : غن لنا ، ففعل :

فقام أحدهم فقال : أحسنت والله ، ثم ضربه بالسيف فقتله . وبلغ يزيد خبره ومصرته ١٥ اسمه في أسماء من قيل فلم يعرفه وقال : من سائب خاثر ؟ فعرف به ، فقال : ويله ما له وما لئ ! ألم نحمين إليه ونصله ونخلطه بأنفسنا ! فما الذي حمله على عداوتنا ! لا جرم أن يغيبه علينا صرعه . وقيل : إنه لما بلغه قتله قال : إنا لله ! أو بلغ

(١) كذا في الأغاني ( ج ٧ ص ١٩٠ طبع بولاق ) وكامل المبرد وديوان قائله سيدنا حسان بن ثابت الطحير في أوربا . وفي الأصل : « في الدي » .

(٢) روى المبرد في الكامل حكاية لمارية مع عبد الله بن جعفر تشبه هذه من بعض الوجوه ( انظر صفحة ٣٩٠ طبع أوربا ) .

القتل إلى سائب خائز وطبقته ! ما أرى أنه بقي بالمدينة أحد ، وقال . قبحكم الله  
يا أهل الشام ! تجردم وجدوه في حائط أو حديقة مستترا فقتلوه . وقد قيل : إنه  
تقدم يوم الحوة وقاتل حتى قُتل . والله أعلم .

### ذكر أخبار طويس

هو عيسى بن عبد الله . وكنته أبو عبد المنعم ، وضيها المختون فقالوا :  
أبو عبد النعم . وطويس لقب غلب عليه ، وقيل : اسمه طأوس ، مولى بني مغزوم .  
وكان أيضا بلقب بالنائب ؛ لأنه غي :

قد برأى الحب حتى • يكث من وجدى أذوب

وهذا أول غناء غناه وهزج هزجه . وقد ضرب المثل به في الشؤم فقالوا :

« أشام من طويس » لأنه ولد يوم مات رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقُتل يوم

مات أبو بكر رضى الله عنه ، وخين يوم مات عمر رضى الله عنه ، وتزوج يوم قُتل

عثمان ، وولد له يوم مات علي بن أبي طالب رضى الله عنه . وكان محمداً أحول

طويلاً ، وقيل : إنه ولد ذاهب العين اليمنى . قالوا : وكانت أمه تمشي بين نساء

الأنصار بالثام . وطويس أول من صنع الهزج والرمل في الإسلام ، وكان الناس

يضربون به المثل فيقولون : « أهزج من طويس » . وكان لا يضرب بالعود

وإنما يتقر بالدف . وكان ظريفاً طالماً بالمدينة وأنساب أهلها .

حكى أبو الفرج الأصفهاني بسنده إلى المداخي قال : قدم ابن سريج المدينة ،

فجلس يوماً في جماعة وهم يقولون له : أنت والله أحسن الناس غناء ، إذ مر بهم

طويس فسمعهم . وما يقولون ، فاستل دفة من حوضته ونقره وغنى ، فلما سمعه

- (١) ابن سريج قال : هذا والله أحسنُ الناسُ غناءً لا أنا . وقال المدائني ، قال مسلمة ابن عمار : حدثني رجل من أصحابنا قال : خرجنا في سفر ومعنا رجلٌ من أصحابنا فأتيناه إلى وادٍ ، فقدمونا بالفداء ، فمَدَّ الرجلُ يده إلى الطعام فلم يَقْبِضْ عليه ، وكان قبل ذلك يأكل معنا ، فخرجنا نَسْأَلُ عن حاله فنلقى رجلاً طويلاً أحول مضطرب الخلق في زِيِّ الأعراب ، فقال لنا : مالكم ؟ فأنكرنا سؤاله لنا ، فأخبرناه خبر الرجل . فقال : ما اسم صاحبكم ؟ فقلنا : أُمَيْدٌ ، فقال : هذا وادٍ قد أَخَذَتْ سِباحُهُ فارتحلوا ، فلو قد جاوزتم الوادي استمَرَّ صاحبكم وأَسَدٌ وأَكَل . قلنا في أنفسنا : هو من الجنِّ ، ودخلتنا قَرْصَةٌ . ففهم ذلك وقال : يُقْبِضُ رَوْعَكُمْ فانا طَوَيْسٌ . فقال له رجلٌ من الأعراب مرحباً بك أبا عبد النعم ، ما هذا الزِّي ؟ فقال : دعاني بعض أودائي من الأعراب فخرجت إليهم وأحببتُ أن أَمْطِئَ الأحياء فلا يُنْكروني . فسأله رجلٌ منّا أن يفتيناه ، فأدفع وتقرَّبْتُ كان معه مَرِيحٌ ، فلقد خُيِّلَ لي أنَّ الوادي ينطق معه حسناً . وتَمَجَّجنا من علمه وما أخبرنا به من أمر صاحبنا .

- قال المدائني : وكان طَوَيْسٌ وَلَمَّا بالشعر الذي قالته الأوس والخزرج في حروبهم ، وكان يريد بذلك الإغراء ، فَقَلَّ مجلسُ أَتَمَّعَ فيه هذان الحَيَّانُ ففتى فيه طَوَيْسٌ إلا وَقَعَ فيه شيء . فَنَهَى عن ذلك ، فقال : والله لا تَرَكْتُ الغناءَ بشعر الأنصار حتى يُوسِدوني التراب ، وذلك لكثرة تولُّع القوم به ، وكان يُسَدِّي السرائر ويُخْرِج الضغائن ، وغناؤه يُستحسن ولا يُصبر من حديثه .

- (١) كذا في الطبري والأغاني (ج ٣ ص ٣٦ طبع دار الكتب المصرية) وهو مسلمة بن عمار بن سلم بن زياد الزبدي . وفي الأصول : « مسلم » وهو تحريف .  
(٢) حيازة الأغاني : « ظلتنا رجلاً ... » (٣) أخلت سباحه : صمرت .  
(٤) استمر : قوى واستقام أمره .  
(٥) كذا في الأصل . والذي في الأغاني : « استمر صاحبكم وأكل » بدون « أسد » .

وحكى الأصمهاني عفا الله عنه قال : كان بالمدينة غنث يقال له النغاشي .  
 فقيل لمروان بن الحكم : إنه لا يقرأ من كتاب الله تعالى شيئا ، فبعث إليه فاستقرأه  
 أم الكتاب ؛ فقال : والله ما معي بناتها ، أو ما أقرأ البنات فكيف أقرأ أمتهن !  
 فقال : أنتزأ لا أتم لك ! فأمر به فقتل <sup>(١)</sup> ببطحان ، وقال : من جاءني بغنث فله  
 عشرة دنانير . فأتي طويس وهو في بني الحارث بن الخزرج فأخبر بمقالة مروان ؛  
 فقال : أما فضلي الأمير عليهم بفضلي حتى جعل في وفيهم شيئا واحدا ! . ثم خرج  
 حتى نزل السويداء (على ليلتين من المدينة في طريق الشام) فترطها ، فلم يزل بها بقية  
 عمره . وعمر حتى مات في ولاية الوليد بن عبد الملك . ثم ساق الأصمهاني هذه  
 القصة في موضع آخر بسند آخر قال : خرج يحيى بن الحكم وهو أمير على المدينة ،  
 فبصر بشخص في السبغة مما يل مسجد الأحزاب ؛ فلما نظر إلى يحيى جلس ؛  
 فاستراب به ، فوجه إليه أعوانه ، فأتي به كأنه امرأة في ثياب مصبغة مصقولة  
 وهو ممسك بخصب . فقال له أعوانه : هذا ابن نفاش الغنث . فقال : ما أحسبك  
 تقرأ من كتاب الله تعالى شيئا ! إقرأ أتم القرآن ؛ فقال : لو عرفت أمتهن عرفت  
 البنات . فأمر به فضربت عنقه . وساق نحو ما تقدم ، إلا أنه قال : جعل في كل  
 غنث ثلثمائة درهم .

وحكى أيضا بسند رفعه إلى صالح بن كيسان وغيره : أن أبان بن عثمان لما  
 أمره عبد الملك على الحجاز أقبل ، حتى [إذا] دنا من المدينة تلقاه أهلها وخرج  
 إليه أشرفها ، فخرج معهم طويس . فلما رآه سلم عليه ، ثم قال له : أيها الأمير ،

(١) بطحان (فتح الباء) ، وأكثرهم يضمها . قال ابن الأثير : واصله الأحمق ؛ اسم واحد  
 المدينة ، واليه ينسب البطحانيون . ( انظر اللسان مادة « بطح » ) .  
 (٢) الزيادة عن الأغاني ( ج ٤ ص ٢١٩ طبع دار الكتب المصرية ) .

﴿١٠﴾

إني كنت قد أعطيت الله تعالى عهداً إن رأيتك أميراً لأخيتين يدي إلى المرتقين  
ثم أزدو بالكف بين يديك . ثم أبدى عن دفة وتغنى [شعر ذى جَدَنِ الجُمَيْرِي] :<sup>(١)</sup>

ما بال أهلك يا ربَّابُ • نُحْرًا كأنهم غضابُ

فطرب أبان حتى كاد يطير ، ثم جعل يقول : حَسْبُكَ يا طائوس ! — ولم يقل له

طويس لبنة في عينه — ثم قال له : اجلس ، بجلس . فقال له أبان : قد زعموا •

أنك كافر . فقال له : جُعِلْتُ فِدَاكَ ! والله إني لأشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً

رسول الله [صلى الله عليه وسلم] وأصلى الخمس وأصوم رمضان وأتبع البيت . قال :

أما أنت أكتب أم عمرو بن عثمان ؟ — وكان عمرو أخا أبان لأبيه وأمه — فقال

طويس : جُعِلْتُ فِدَاكَ ! أنا والله مع جلال نساء قومي أسبك بذيولهن يوم زُفَّت

أهلك التباركة إلى أهلك الطيب . فاستحيا أبان ورعى بغيره إلى الأرض .<sup>(٢)</sup>

### ذكر أخبار عبد الله بن سريج<sup>(١)</sup>

هو أبو يحيى عبد الله بن سريج ، مولى بني نوفل بن عبد مناف . وقال ابن الكلبي :

إنه مولى لبني الحارث بن عبد المطلب . وقيل : إنه مولى لبني ليث ، ومثله بمكة .

وقال الحسن بن عتبة النهدي : إنه مولى لبني طائذ بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم .

وحكى أبو الفرج الأصبهاني أنه كان آدمَ أحمرَ ظاهرَ الدَّمِ سِنَاطاً ، في عياله قبل<sup>(٢)</sup> ،

ويبلغ خمسا وثمانين سنة ، وكان منقطعاً إلى عبد الله بن جعفر .

(١) آزود : أغرب .

(٢) الزيادة عن الألف (ج ٤ ص ٢١٩ طبع دار الكتب المصرية) .

(٣) في الأصول : « عل أهلك » . والتصويب عن الألف .

(٤) هكذا بالأصول . وسيأتي قريباً أنه يسمى « حيد بن سريج » . واضطربت فيه أصول الأغاني ،

فورد في بعضها : « حيد » . وفي بعضها : « حيد الله » . وفي بعضها : « حيد الله » .

(٥) السِنَاط : القدي لا حية له أصلاً أو الخليفة البارز أو من له حية وليس في عارضه قدي .

(٦) القتل : مثل الخولد في المعنى أو هو أحسن منه .



ونقل أيضا عن ابن الكلبي أنه كان مختئا أحول أعمش، يلقب وجه الباب .  
 وكان لا يفتي إلا متقباً، مُسَيِّلَ الْقِتَاعِ عَلَى وَجْهِهِ . قال : وكان أحسن الناس  
 غناء، وكان يفتي مُرْتَجِلاً وَيُوقِعُ بِقَضِيبٍ، وقيل : كان يضرب بالعود، وغنى في زمن  
 عثمان بن عفان، ومات في خلافة هشام بن عبد الملك . وقيل : كان اسمه حُبَيْد بن  
 سُرَيْج من أهل مكة . وقال ابن جُرَيْج : كان حُبَيْد بن سُرَيْج مولى آل خالد بن أسيد،  
 وقيل : كان أبوه تَرْكَا، وقيل : كان عُوْدُهُ عَلَى صِنْعَةِ عِيدَانِ الْفُرْسِ، وهو أَوَّلُ مَنْ  
 ضَرَبَ بِهِ عَلَى الْغَنَاءِ الْعَرَبِيَّةَ؛ وذلك أنه رآه مع المعجم الذين قَدِمَ بِهِمْ ابْنُ الزَّيْرِ  
 لِبِنَاءِ الْكُتُبَةِ، فَاعْتَجَبَ أَهْلُ مَكَّةَ غَنَائِهِمْ . فقال ابن سُرَيْج : أنا أضرب به على غَنَائِي،  
 فَضَرَبَ بِهِ فَكَانَ أَحَدُ الْقِتَاعِ . وأخذ الغناء عن سَعِيدِ بْنِ مَسْعُودٍ، وقد تقدّم  
 ذكر ذلك . وأوّل ما اشتهر بالغناء في خِثَانِ ابْنِ مَوْلَاهُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ  
 أَبِي حُسَيْنٍ . قال ابن سُرَيْج لَأُمِّ الْغَلَامِ : خَفَضَ مَلِيكَ بَعْضَ الْمَقَرَمِ وَالْكَثْفَةِ،  
 فَوَاللَّهِ لَأُفَيِّتَنَّ نِسَاءَكَ حَتَّى لَا يَدْرِينَ مَا جِئْتُ بِهِ . وكان معبداً إذا أعجبه غناء نفسه  
 قال : أنا اليوم سُرَيْجِي .

ومن أخباره أيضا أن عطاء بن أبي رباح لقيه بذى طوى وعليه ثياب مُصَبَّغَةٌ  
 وفي يده جَرَادَةٌ مَشْدُودَةُ الرَّجْلِ بِخِطِّ طَيْرِهَا وَيَمِيزُهَا كَمَا تَخْلُفُ، فقال له عطاء:  
 يَا قَتَانُ، أَلَا تَكُفُّ عَمَّا أَنْتَ فِيهِ ! كَفَى اللَّهُ النَّاسَ مَثَوْنَتَكَ . فقال له ابن سُرَيْج:  
 وَمَا عَلَى النَّاسِ مِنْ تَلْوِينِ ثِيَابِي وَلَعِبِي بِجِرَادَتِي ! فقال : مُتَّقِنُهُمْ أَغَانِيكَ الْخَبِيثَةَ .  
 فقال له ابن سُرَيْج : بِحَقِّ مَنْ تَبِعْتَهُ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ  
 وَبِحَقِّ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ طَلِكَ إِلَّا سَمِعْتَ مَتَى يَبْتَئُ مِنَ الشَّعْرِ، فَإِنْ سَمِعْتَ  
 مِنْكَ أَمْرَتَنِي بِالْإِمْسَاكِ عَمَّا أَنَا عَلَيْهِ، وَأَنَا أَقْسَمُ بِاللَّهِ وَبِحَقِّ هَذِهِ الْبَلْبَةِ إِنَّ أَمْرَتَنِي

بعد استماعك متى بالإمساك عما أنا عليه لأفعلن . فأطعم ذلك عطاءً في ابن سريج  
وقال له : قل . فأندفع يفتني بشعر جرير :

إِنَّ الَّذِينَ قَدَّوْا بِبَيْتِكَ فَادْرُوا \* وَشَلَّا بَعِيَّتَكَ لَا يَزَالُ مَعِينَا

غَيْضُنْ مِنْ صَبْرَاتِنِ وَقُلْنَا لِي \* مَاذَا لَقِيتَ مِنَ الْهَوَى وَلَقِينَا

قال : فلما سمعه عطاء اضطرب اضطراباً شديداً وداخلته أَرْيَحِيَّةٌ ، خلفت ألا يكفكم  
أحدًا بقية يومه إلا بهذا الشعر ، وصار إلى مكانه من المسجد الحرام ، فكان كل من  
يأتيه يسأل عن حلال أو حرام أو خبر لا يُحْيِيهِ إلا بأن يضرب إحدى يديه على الأخرى  
ويُنْشِدُ هذا الشعر حتى صلى المغرب ، ولم يُعَاوِدْ ابْنَ سَرِيحٍ بعدها ولا تعرّض له .  
وحكى عنه أيضاً أن عمر بن أبي ربيعة حج في عام من الأعوام ومعه ابن سريج ،

فلما رموا الجمرات تقدما الحاج إلى كتيب على خمسة أميال من مكة مشرف على طريق  
المدينة وطريق الشام والعراق ، وهو كتيب شاخ مُقَرَّد عن الكُثْبَانِ ، فصارا إليه  
فأكلا وشربا . فلما آنشبا أخذ ابن سريج الدف فنقره وجعل يتغنى وهم ينظرون  
إلى الحاج . فلما أمسيا رفع ابن سريج صوته وتغنى بشعر لعمر بن أبي ربيعة ، فسمعه  
الرُّكْبَانُ ، ففعلوا يصيحون به : يا صاحب الصوت ، أما ننتق الله لقد جهست الناس عن

مناسكهم ، فيسكت قليلا حتى إذا مضوا رفع صوته فيقف آخرون ، إلى أن وقف  
عليه في الليل رجل حسن الهيئة على فرس حقيق حتى وقف بأصل الكتيب ، ثم نادى :  
يا صاحب الصوت ، أيسهل عليك أن تردّ شيئا مما سمعته منك ؟ قال : نعم ونعمة  
حين ، فأيا تريد ؟ فأقترح صوتا فغناه . ثم قال له ابن سريج : إزدد إن شئت ، فأقترح  
صوتا آخر فغناه ، فقال له : والثالث ولا أستريدك ، فغناه الثالث . وقال له ابن  
سريج : أقيت لك حاجة <sup>(١)</sup> ؟ قال نعم ، تنزل لأخطبك ، فتزل إليه فإذا هو يزيد

(١) في الأصول هكذا : ( أقيت الزجاجة ) . والصواب من الأناج ( ج ١ ص ١٠٣ ) .

ابن عبد الملك، فأعطاه حُلته وخنّاه وقال : خذها ولا تُخدّع فيها فإن شرائها ألف وستمائة دينار؛ فعاد ابن سريج بهما فأعطاهما لعمر بن أبي ربيعة وقال : هما بك أشبهُ منهما بي، فأخذهما وعوّضه عنهما ثلاثمائة دينار؛ وغدا فيهما إلى المسجد، فعرّفهما الناس وجعلوا يتعجبون ويسألون عمر عنهما، فيُخبرهم أن يزيد بن عبد الملك كساه ذلك . وقيل : إن عمر بن عبد العزيز مرّ به فسمِع ابنَ سريج وهو يفتي، فقال : لله دَر هذا الصوت لو كان بالقرآن ! .

قال إبراهيم بن المهدي : كان ابن سريج رجلا عاقلا أدبيا، وكان يماشر الناس بما يشتهون فلا يفتنهم بما مَدَح به أعداؤهم ولا بما فيه مَرّ عليهم أو غضاضة منهم . ومن أخباره ما حكاه أبو الفرج الأصبهاني بإسناده، قال : كتب الوليد بن عبد الملك إلى عامل مكة أن أُنْخِص إلى ابن سريج، فأخفصه إليه . فلما قَدِم مكّة أياما لا يدعوه ولا يلتفت إليه، ثم ذكره فأستحضره، فدخل عليه وسلّم فأذن له بالجلوس وأستدناه حتى كان قريبا منه، فقال : ويحك يا عُيَيْد ! لقد بلغني عنك ما حنّني على الوفاة بك من كثرة أدبك وجودة اختيارك مع ظرف لسانك وحلاوة مجلسك . قال : جُعِلت فِداهك يا أمير المؤمنين ! « تسمع بالمُعَيّدي لا أن تراه » ، قال الوليد : إني لأرجو ألا تكونَ أنتَ ذلك، ثم قال : هاتِ ما عندك؛ فأندفع يفتي بشعر الأحوص :

وَأَنّى إِذَا حَلَّتْ بَيْتِيْشْ مَقِيْمَةٌ \* وَحَلَّ بَوِجٌ جَالِسًا أَوْ تَهْمًا <sup>(٢)</sup>

(١) هذى إحدى روايات المثل، حكاه المبدئي في جمع الأمثال، والرواية المشهورة وهي التي صُدّرت بها هذه الروايات (تسمع بالمعدي خير من أن تراه) .

(٢) بيتش (بالفتح) : أحد خاليف العين . وبيتش (بالكسر) : من بلاد اليمن أيضا قرب دهلك .

(٣) كذا في الأغاني (ج ١ ص ٢٩٨ طبع دار الكتب المصرية) روج : اسم واد بالطاقف بالبادية وفي الأصول : « روج » بالهاء المهملة . روج : قيل إنها ناسية بهان وجالسا : أي المجلس وهو نجد . وتهمة : أي تهمة .

يَمَانِيَةً سَطَّتْ وَأَصْبَحَ نَفْعُهَا \* رَجَاءً وَظَنًّا بِالْمَغِيبِ مَرَبَّحًا  
أَحَبُّ دَنَوِ الدَّارِ مِنْهَا وَقَدْ أَبَى \* بِهَا صَدْعُ شَعْبِ الدَّارِ إِلَّا تَنَلَّمَا  
بَكَاهَا وَمَا يَذْرَى سِوَى الظَّنِّ مَا بَكَى \* أَحِبًّا يَسْتَكِي أَمْ تَرَابًا وَأَعْظَمَا  
فَدَعَهَا وَأَخْلَفَ لِلْخَلِيفَةِ مِدْحَةً \* تُزِيلُ عَنْكَ بُؤْسِي أَوْ تَقِيدُكَ سَفَهَا<sup>(١)</sup>  
فَإِنِّي بِكَفِّهِ مَفَاتِيحَ رَحْمَةٍ \* وَغَيْثَ حَيَايِي بِهَا يَهْدِي النَّاسُ مُرْهَمًا<sup>(٢)</sup>  
لِمَا أَمَّاهُ الْمَلِكُ عَفْوًا وَلَمْ يُنَبِّ \* عَلَى مَلِكِهِ مَالًا حَرَامًا وَلَا دَعَا  
تَحْسِيرِهِ رَبُّ الْعِبَادِ نَحْلَفُهُ \* وَلِيًّا وَكَانَتْ اللَّهُ بِالنَّاسِ أَعْلَمَا  
يُنَالُ الْغِنَى وَالْعِزُّ مَنْ نَالَ وَدَّه \* وَيَرْهَبُ مَوْتًا حَاجِلًا مِنْ نَسَمَا<sup>(٣)</sup>

(١٢)

فَقَالَ الْوَلِيدُ : أَحَسَنْتَ وَاللَّهِ وَأَحْسَنَ الْأَحْوُسُ . ثُمَّ قَالَ : يَا حَبِيبُ هَيْهَ افْتَتَاهُ بِشَعْرِ  
عَدِي بْنِ الرَّقَّاعِ الْعَامِلِ يَدْحُ الْوَلِيدِ :

١٠

طَارَ الْكَرَى وَأَلَمَ الْحَسْمُ فَلَا كُنْتَمَا<sup>(٤)</sup> \* وَحِيلَ بَيْنِي وَبَيْنَ النَّوْمِ فَأَمْتَمْنَا  
كَانَ الشَّبَابُ قِنَاقًا أَسْتَكِنُّ بِهِ \* وَأَسْتَظِلُّ زَمَانًا نَمْتُ أَنْتَهَمْنَا  
وَأَسْتَبْدِلُ الرَّأْسَ شَيْئًا بَعْدَ دَاجِيَةٍ \* قَيْنَانَةٍ مَا تَرَى فِي صُدُغِهَا زُفَا<sup>(٥)</sup>  
فَإِن تَكُنْ مِيعَةً مِنْ بَاطِلٍ ذَهَبْتُ \* وَأَعْقَبَ اللَّهُ بَعْدَ الصَّبُورَةِ الْوَرَمَا  
فَقَدْ أَيْدَتْ أُرَايَ الْخَوْدَ رَابِيَةً \* عَلَى الْوَسَائِدِ مَمْرُورًا بِهَا وَلِيعَا<sup>(٦)</sup>

١٥

- (١) فِي الْأَخْفَى : « دَانَهَا » . وَرَضَ الْفِعْلُ هَذَا عَلَى تَوْحِيدِ أَنْ الْأَوَّلَ مَرْفُوعٌ ، كَأَنَّهُ قِيلَ : تُزِيلُ عَنْكَ  
بُؤْسِي أَوْ تَقِيدُكَ سَفَهَا ، أَوْ عَلَى أَنَّهُ سَتَأْتَفُ كَأَنَّهُ قِيلَ : أَوْحَى بِخَبْرِكَ مَعْنَى .  
(٢) يُقَالُ : أَرْضَعْتُ السَّيَّءَ إِذَا أَنْتَ بِالرَّحِمِ ، جَمْعُ رَحْمَةٍ وَهِيَ الْمَطْرُ الضَّعِيفُ الدَّائِمُ .  
(٣) فِي الْأَصُولِ : « تَشْتَا » . وَالصُّوْبُ مِنَ الْأَخْفَى .  
(٤) أَلَمَ : نَزَلَ . مَا كُنْتُ : دَنَا وَحَضَرَ .  
(٥) قَيْنَانَةٌ : حَسَةُ الشَّعْرِ طَوِيلَتُهُ . وَالزُّجْعُ : الْحَصَارُ مَقْدَمُ شَعْرِ الرَّأْسِ مِنْ جَانِبِي الْجَبِيَةِ .  
(٦) فِي الْأَخْفَى : « رَابِدَةٌ » .

٢٠

برَاقَةِ الثَّغْرِ يَشْفِي الْقَلْبَ لَذُنْهَا \* إِذَا مُقْبِلَهَا فِي رِقْعِهَا كَرَعَا  
كَالْأُخُوَانِ بَضَائِحِ الرُّوضِ صَبَبَهَا \* غَيْثُ أَرْشٍ بَقْتَضِاجٍ وَمَا هَمَّهَا  
صَلَّى الَّذِي الصَّلَوَاتُ الطَّيِّبَاتُ لَهُ \* وَالْمُؤْمِنُونَ إِذَا مَا جَمَعُوا الْجَمْعَا  
عَلَى الَّذِي سَبَقَ الْأَقْوَامُ ضَاحِيَةً \* بِالْأَجْرِ وَالْمَحْمَدِ حَتَّى صَاحِبَاهُ مِمَّا  
هُوَ الَّذِي جَمَعَ الرَّحِمُ أَفْتَدَى \* عَلَى يَدَيْهِ وَكَانُوا قَبْلَهُ شَيْخَا<sup>(١)</sup>  
هَذَا بِذِي الْعَرْشِ أَنْ نَحْيَا وَنَقْدَهُ \* وَأَنْ نَكُونَ لِرَاجٍ بَعْدَهُ تَبَا  
إِنِّ الْوَلِيدَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ لَهُ \* مُلْكٌ أَطَاعَ عَلَيْهِ اللَّهُ فَأَوْضَعَا  
لَا يَمْنَعُ اللَّهُ مَا أَعْطَى الَّذِينَ هُمْ \* لَهُ عِبَادٌ وَلَا يُعْتَظُونَ مَا مَعَا<sup>(٢)</sup>

فقال الوليد : صدقت يا حبيد ، أتى لك هذا ؟ قال : (هو من عندي الله) .  
قال الوليد : لو خير هذا قلت لأحسنك أدبك . قال ابن سريج : (ذلك فضل الله  
يؤتيه من يشاء) قال الوليد : (يزيد في الخلق ما يشاء) . قال ابن سريج : (هذا من  
فضل ربي ليبلونني أشكر أم أكفر) . قال الوليد : ليعلمك والله أكثر وأعجب إلى  
من غناك اغنى ؛ فغناه بشعر عدي بن الرقاع يمدح الوليد فقال :  
عَرَفَ الدِّيَارَ تَوْهَمَا فَأَعْتَادَهَا \* مِنْ بَعْدِ مَا تَمِيلُ إِلَيْهَا أَبْلَادَهَا<sup>(٣)</sup>

(١) كذا في الأتاني (ج ١ ص ٢٩٩ طبع دار الكتب المصرية) . وفي الأصول : « وصل  
الذي ... الخ » .

(٢) كذا في الأتاني . وفي الأصول : « لا يمنع الناس » .

(٣) رأينا أن تنبت هذه القصيدة كاملة ، وقد قلنا من مجلة الآثار السنة الثانية ص ٤٤٤ وقد  
نشرها فيها المرحوم أحمد محمود باشا وقال : إنه لا يوجد منها في كتب اللغة والأدب إلا أبيات متفرقة وإنه  
متر عليها تامة في مجموع غلطوط قديم بخطوة المرحوم أحمد زكي باشا مكتوب عليه بخط حديث أنه لصلالي .  
والأبيات الموضوعة بين قوسين مرصعين غير موجودة بالأصل .

(٤) أبلادها : آثارها . وفي رواية أخرى « درس » بدل « شمل » .

١٥

٢٠

[إلا روابي كلهن قد أصطل \* جحراً وأشمل أهلها إيقادها<sup>(١)</sup>  
 كانت رواحل للقدور فُعريت \* منهق وأستلب الزمان رماذها  
 وتكرت كل التنكح بعدنا \* والأرض تعرف بعلمها وجمادها<sup>(٢)</sup>  
 ولرب واضحة الموارد حرة \* كالزيم قد ضربت به أوادها<sup>(٣)</sup>  
 تصطاد بهجتها المعل بالصبأ \* عرساً فتقصده ولن يصطادها<sup>(٤)</sup>  
 كالظليسة البكر الفريدة ترعى \* من أرضها فقاتها وعهادها<sup>(٥)</sup>  
 خضبت لها عقد البراق جينها \* من عرسها حليانها وعهادها<sup>(٦)</sup>  
 كالزبن في وجه العروس تبدلت \* بعد الحياء فلاعبت أرادها  
 تُرعى أغن كأن إبرة رَوْقه \* قلم أصاب من الدواة يدادها  
 ركبته به من عاج متعباً \* قفراً تُرث وحشهُ أولادها<sup>(٧)</sup>  
 فترى حماريه التي تسقى الثرى \* والمهر يُورق نبتها روادها<sup>(٨)</sup>  
 بانت سعاد وأخلفت ميعادها \* وتباعدت عنا لئتمنع زادها

(١) رواية الأغانى « رواكد » بدل « روابي » ، و« جحراً أشمل » بدل « جحراً وأشمل » .

(٢) البيل : الأرض المرتفعة التي لا يصبها مطر إلا مرة واحدة في السنة ، والجناد : الهابة التي لم يصبها مطر ولا في سنة .

(٣) في الأغاني (ج ١ ص ١١٩) : « طفلة » .

(٤) المعل بالصبأ : المشغول به الخلعى ، وأقصده : رماه بهم قتلته .

(٥) الفقات : جمع فقة ، وهي — كما قال الأزهري — شجرة مستديرة ترتفع من الأرض قدر شبر وتيسر ، والنهاد : جمع عهد بالفتح وعهدة (بالفتح والكسر) وهي مطر بعد مطر يدرك آخره بل آتله .

(٦) في الأصل :

خضبت لها عقد البراق جينها \* من عرسها طليانها وعهادها

والبراق : جمع برقة وهي أرض غليظة مخططة بمسجاة ورميل . والطليان والبراد نباتان .

(٧) حاجج : اسم موضع .

(٨) حمانيه : مساطفه وثناياه ، وتسق : من الوسق وهو الجمع ، والمهر : المظلم من الأرض .

إني إذا ما لم تصلني خلقى \* وتباعدت عني آعفتُ رِبادها<sup>(١)</sup>  
 [إما ترى شئني تقشع ليّتي \* حتى علا وصحّ يلوح سوادها<sup>(٢)</sup>  
 فلقد ثبتت يد الفتاة وسادة \* لي جاعلا يسرى يدي وسادها  
 وأصحاب الجيش العزم فارساً \* في الخيل أشهد كرها وطرادها  
 وقصيدة قد بثّ أجمع بينها \* حتى أقوم ميلها وسنادها<sup>(٣)</sup>  
 نظراً المثقف في كعوب قناته \* حتى يقسم تعافه منادها<sup>(٤)</sup>  
 فسترت عيب معيشتي بشكرهم \* وأتيت في سعة النعم سدادها<sup>(٥)</sup>  
 وعليت حتى ما أامل واحداً \* عن صلي واحدة لكي أزدادها  
 صلي الإله على امرئ ودعته \* وأتم نعمته عليه وزادها  
 وإذا الريح نتابت أنوائه \* فسق خنصرة الأحص بفاذا<sup>(٦)</sup>  
 نزل الوليد بها فكان لأهلها \* فينا أظا أنيسها وبلاذها  
 ألا ترى أن البرية كلها \* أتمت خزائنها إليه فسادها  
 ولقد أراد الله إذ ولاكها \* من أمة إصلاحها ورشادها  
 أغمرت أرض المسلمين فأقبلت \* وكففت عنها من يروم فسادها  
 وأصبحت في أرض المدق مصيدة \* سمت أفاص غورها ونجسادها  
 ظفراً ونصراً ما تناول مثله \* أحد من الخلفاء كان أرادها

(١) الخلة بالضم : الخلية . (٢) يلوح سوادها : يغيره .

(٣) السداد : هو اختلاف الحركات التي تلي الأرواف في الروي .

(٤) منادها : مرجعها . (٥) السداد : ما تسم به الخلة . (٦) الأحص : كورة

كبيرة مشهورة ذات قرى ومزارع بين القبلية وبين الشمال من مدينة حلب تسمى « خنصرة » مدينة كان  
 ينزلها عمر بن عبد العزيز ومضى صغيرة وقد خربت الآن إلا اليسير منها كذا في ياقوت ، وقد أورد البيت هكذا :

وإذا الريح نتابت أنوائه \* فسق خنصرة الأحص وزادها

فإذا نسوت له النساء وجدته \* جمع المكارم طرقتها وتلاذها  
 [غلب المسامح الوليدُ ممسحة \* وكفى قريش المعضلات وسادها  
 تأتيه أسلاب الإعزة عسوة \* قسراً ويجمع للحرور عساده  
 وإذا رأى نار المدق تضربت \* ساهى جماعة أهلها فآقتاده  
 بمزمرهم تبدو الرأوى ذى وصى \* كالحزة آحتل الضحى أطوادها<sup>(١)</sup>  
 أطفأت نارا للحرور وأوقدت \* نار قلحت براحتيك زنادها  
 فهدت بصيرتها لمن يبغي الهدى \* وأصاب حرشديها حساده  
 وإذا غدا يوماً بتفحة نائل \* عرضت له الغد مثلاً فأطاده  
 وإذا صلت خيل تبادر غايه \* فالسابق الجالى يقود جياده].

- ١٠ فأشار الوليد إلى بعض الخدم فغطوه بالخلع، ووضعوا بين يديه كيس الدنانير  
 وبدر الدرهم، ثم قال الوليد: يا مولى بن نوفل بن الحارث لقد أوتيت أمراً جليلاً  
 فقال ابن سريج: وأنت يا أمير المؤمنين لقد آتاك الله ملكاً عظيماً وشرافاً عالياً وعزاً  
 بسط يدك فيه فلم يقبضه منك ولا يفعل إن شاء الله، فأدام الله لك ما ولاك  
 وحفظك فيما أمركك، فإنك أهل لما أعطاك، ولا يترحم منك إذ رآك له موضعاً.  
 قال: يا نوفل، وخطيب أيضاً! قال ابن سريج: هنك نطقت، ولسانك تكلمت،  
 وبمرك بيتك، وكان قد أمر بإحضار الأوصى بن محمد الأنصاري وصدي بن  
 الرقاق العاملي، فلما قديما عليه أمر بلاتزالهما حيث أمر سريج فأنزلا منزلاً بجوار منزله.  
 فقالا: والله أقرب أمير المؤمنين كان أحب إلينا من قريبك يا مولى بن نوفل، وإن  
 فى قريبك لما يلدنا ويسفلنا عن كثير مما نريد. فقال لهما ابن سريج: أوقلة شكراً!

(١) الوحى: الخلعة، وأخرة بافتتح الأرض الصلبة الطيبة. والمعنى أن الرأوى الذى يحارب فيها هذا  
 الجيش تبدو الظاهر كأنها حرة حل مراب الضحى أطوادها وجبالها العالية.



فقال له عدى: "كأنك يا ابن الفناء تَمُنُّ علينا، [على وعلى]" <sup>(١١)</sup> إن جمعنا وإياك سقُف بيت أدمحْنُ دار عند أمير المؤمنين، فقال الأحوص: أولًا تحتمل لأبي يحيى الزَّلة والمفسوة، وكفارة يمين خير من بلّاج في غير منفعة. فتحوّل عدى وبقى الأحوص. وبلغ الوليد ما جرى بينهم، فدعا ابن سريج فأدخله بيتًا وأرغى دونه سترًا ثم أمره إذا فرغ الأحوص وعدى من كلمتهما أن يغنى، فلما دخلا وأنشده مدائح لها فيه، رفع ابن سريج صوته من حيث لا يروّنه وضرب بعود. فقال عدى: يا أمير المؤمنين، أأذن لي أن أتكلّم؟ قال: قل يا عايل، قال: مثل هذا عند أمير المؤمنين ويبحث إلى ابن سريج يتخطى رقاب قریش والعرب من تهامة إلى الشام ترفع أرض وتخفضه أخرى ليسمع غناؤه! قال: ويحك يا عدى! أولًا تعرف هذا الصوت؟ قال: لا والله ما سمعته قط ولا سمعتُ مثله، ولولا أنه في مجلس أمير المؤمنين لقلت طائفة من الجن يتفنون، فقال: أخرج عليهم، فخرج فإذا ابن سريج. فقال عدى: "حقّ لهذا أن يُجمل! حقّ لهذا أن يجمل! لا، لا، ثم أمر لها بمثل ما أمر به لابن سريج وأرحل القوم."

وروى أبو الفرج أيضًا عن سهل بن بركة وكان يجمل عود ابن سريج قال: كان على مكة نافع بن علقمة اليماني فشُد في الفناء والمفتين والنيبذ ونادى في المختين. فخرج فيئة من قریش إلى بطن محسر وبشوا برسول لهم، فجاءهم براوية من شراب الطائف، فلما شربوا وطربوا قالوا: لو كان معنا ابن سريج تم سرورنا، فقلت: هو على لكم، فقال لي بعضهم: دوتك هذه البغلة فاركها وأمض إليه، فأتيته فأخبرته بمكان القوم وطلبهم إياه. فقال لي: ويحك! وكيف لي بذلك

(١) الزيادة عن الأغانى (ج ١ ص ١١٩) .

(٢) بطن محسر: موضع بين مكة ودمرة، وقيل: بين منى ودمرة.

مع شدة السلطان في الغناء وندائه فيه . فقلت له : أتردهم ؟ قال : لا والله ! فكيف لي بالعود ؟ فقلت : أنا أخبؤه لك فشألك . فركب وستر العود فأردفني . فلما كنا ببعض الطريق إذا بناهع بن طقمة قد أقبل ؛ فقال لي : يا ابن بركة ، هذا الأمير . فقلت له : لا بأس عليك ! أرسل عنان البغلة وأمض ولا تخف ، ففعل . فلما حاذيناه صرفني ولم يعرف ابن مريج ، فقال لي : يا ابن بركة ، من هذا أمامك ؟ قلت : من ينبغي أن يكون ! هذا ابن مريج ؛ فتهيم ثم تمثل :

فإن تتج منها يا أبا ت مسلماً \* فقد أفلت الجحاج خيل شبيب

ثم مضى ومضينا . فلما كنا قريباً من القوم نزل إلى شجرة يستريح . فقلت له : غنني مرتيلاً ؛ فرفع صوته فغنى لي أن الشجرة تنطق معه ، فغنى وقال :

- ١٠ كيف التواء بطن مكة بعدما \* هم الذير<sup>(١)</sup> تحب بالإجماد  
أم كيف قلبك إذ تويت غمراً \* سبقاً<sup>(٢)</sup> خلافهم وركبك<sup>(٣)</sup> بادي  
هل أنت إن ظنن الأحبة غاды \* أم قبل ذلك مذج<sup>(٤)</sup> بسواد

قال : فقلت : أحسنت والذي فلق الحبة وبرأ النسمة ! ولو أن كثانة كلها سمعتك لاستحسنتك ، فكيف بناهع بن طقمة ! المفروء من غره نافع . ثم قلت : زدني وإن

- ١٥ كان القوم متعلقة قلوبهم بك ؛ فغنى وتناول عوداً من الشجرة فوقع به على الشجرة ؛ فكان صوت الشجرة أحسن من خفق بطون الصان على الميدان إذا أخذتها عيدان<sup>(٥)</sup> الدفل ، وغنى :

لا تجمعي هجرًا على وغربة \* فالهجر في تلف الحب مريع

(١) كذا في الأغاني (ج ١١ ص ٢٠ طبع بولاق) . وفي الأصل : « واركك » .

٢٠ (٢) في الأصل : « من قبل ذلك » . والتصويب من الأغاني .

(٣) في الأصل : « لاستحسنت » والتصحيح من الأغاني .

(٤) الدفل : شجر مر أخضر حسن المظهر يكون في الأودية .

مَنْ ذَا فَدَيْتِكَ يَسْتَطِيعُ لِحَبِّهِ • دَفَعًا إِذَا أَشْتَمَلْتَ عَلَيْهِ ضُلُوعُ  
فقلت : بنفسى أنت والله ، من لا يُكَلِّ ولا يُكَلِّ ! والله ما جِوَلُ مَنْ فِهْمَكَ ، اِرْكَب  
بنا قَدَتِكَ نَفْسِي • قال : أهْلِي كَمَا أَهْلُكَ أَقْصَى بَعْضُ شَأْنِي • فقلت : وهل عما  
تريد مَدْفَعٌ ! • فقام فوصلَ رَكْمَتَيْنِ ثُمَّ ضَرَبَ بِيَدِهِ إِلَى الشَّجَرَةِ وَقَالَ : أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ  
إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ • ثُمَّ مَضَيْنَا وَالْقَوْمُ مُسْتَشِيرُونَ • فَلَمَّا دَنَوْنَا مِنْهُمْ إِذَا  
الْغَرِيضُ يَفْتَنِيهِمْ :

مِنْ خَيْلٍ حَتَّى لَا تَرَالَ مُنْفِرَةٌ • سَمِعْتُ عَلَى شَرْفِ صَيْلٍ حِصَانٍ  
فَبَكَى أَبْنُ سَرِيحٍ حَتَّى ظَنَنْتُ أَنْ نَفْسَهُ قَدْ خَرَجَتْ • فقلت : مَا يَبْكِيكَ يَا أَبَا بَحِيٍّ ؟  
جُعِلْتُ فِدَاكَ لَا يَسُوءُكَ اللَّهُ وَلَا يُرِيكَ سُوءًا<sup>(١)</sup> ! قَالَ : أَبْكَانِي هَذَا الْخَنُثُ بِحَسَنِ  
فَنَائِهِ وَشَجَا صَوْتِهِ ، وَاللَّهِ مَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ أَنْ يَفْنَى وَهَذَا الصَّبِيُّ حَتَّى • ثُمَّ نَزَلَ وَاسْتَرَحَّ  
وَرَكِبَ • فَلَمَّا سَرْنَا هُنَيْدَةً أَدْفَعُ الْغَرِيضُ يَفْنَى لَمْ يَلْحَنَّهُ :

يَا خَلِيلِي قَدْ مِلْتُ تَوَانِي • بِالْمُصَلَّى وَقَدْ سَمِعْتُ الْبَقِيْعَا  
بَلْغَانِي دِيَارَ هِنْدٍ وَسُعْدَى • وَأَرْجِعَانِي فَقَدْ هَوَيْتُ الرَّجُوعَا  
قَالَ : وَلِصَوْتِهِ دَوَى فِي تِلْكَ الْجِبَالِ • فَقَالَ أَبْنُ سَرِيحٍ : يَا بَنَ بَرَكَةَ ، أَسَمِعْتَ مِثْلَ هَذَا  
الْغَنَاءِ قَطُّ ؟ أَقَالَ : وَنَظَرُوا إِلَيْنَا فَأَقْبَلُوا تَسَاوَى يَسْحَبُونَ أَطْعَامَهُمْ وَجَعَلُوا يَقْبَلُونَ وَجْهَهُ  
أَبْنُ سَرِيحٍ فَتَزَلَّ فَأَقَامَ عِنْدَهُمْ ثَلَاثًا ، وَالْغَرِيضُ لَا يَنْطَلِقُ بِحَرْفٍ ، وَأَخَذُوا فِي شَرَابِهِمْ  
وَقَالُوا : يَا حَبِيبَ النَّفْسِ وَشَقِيقَهَا ، أَعْطَاهَا بَعْضُ شَأْنَهَا • فَضَرَبَ بِيَدِهِ إِلَى جَيْبِهِ فَأَخْرَجَ  
مِنْهُ مِضْرَابًا ثُمَّ أَخَذَهُ بِيَدِهِ وَوَضَعَ الْعُودَ فِي حَجَرِهِ — فَمَا رَأَيْتُ<sup>(٢)</sup> [يَدًا] أَحْسَنَ مِنْ يَدِهِ

(١) في الأصول : « والله لا يسوءك هذا ولا يريك سوءا » • والتصويب عن الأغانى :

(٢) في الأغانى : « بعض منها » •

(٣) كذا في الأغانى • وفي الأصل : « إلى جنبه » •

(٤) الزيادة عن الأغانى -

ولا خشبة تخيلت لي أنها جوهرة إلهي - ثم ضرب فلقد ضجّ القوم جميعاً ، ثم غنى  
فكلّ قال : لَيْتَ لَيْتَ ! فكان مما غنى به [والحنّ له] <sup>(٢)</sup> هنزج :

لَيْتَكَ يَا سَيِّدِي \* لَيْتَكَ أَلْقَا عَدَا

لَيْتَكَ مِنْ ظَالِمِي \* أَحْبَبْتُهَا مَجْتَبِي

قُسُومِي إِلَى مَلَبِنَا \* تَحَكَّ الْجَوَارِي الْخُودَا

وَضَعَ يَدَ فَوْقَ يَدٍ \* زَفَعَهَا يَدَا يَدَا

فكلّ قال : نفعل ذلك ؛ فلقد رأيتنا نستيق أينما تقع يده على يده . ثم غنى :

مَا هَاجَ شَوْكَكَ بِالصَّرَاثِمِ \* رَبَّعُ أَحَالَ لَأَلَّ عَاصِمِ <sup>(٣)</sup>

رَبِّعُ تَهَادَمَ عَهْدِهِ \* هَاجَ الْمَحَبَّ عَلَى التَّقَادِمِ

فِيهِ التَّوَامُ وَالشَّبَا \* بَّ النَّاعِمُونَ مَعَ التَّوَامِ

مِنْ كُلِّ وَاصِحَةٍ الْجِيْدِ \* مِنْ حَقِيمَةٍ رِيَا الْمَعَاصِمِ

ثم غنى بقوله :

شَجَانِي مَغَانِي الْحَيِّ وَأَنْشَقَّتِ الْعَصَا \* وَصَاحَ غِرَابُ الْبَيْنِ أَنْتَ مَرِيضُ

فَفَاضَتْ دُمُوعِي عِنْدَ ذَلِكَ صَبَابَةً \* وَفِيهِنَّ خَوْدُ كَالْمُهَادَةِ غَضِيضُ

وَوَلَّيْتُ مَحْزُونَةً الْفُؤَادِ مُرَوَّعًا \* كَكَيْبًا وَدُمُعِي فِي الرَّدَاءِ يَفِيضُ

قال : فللقيد رأيت جماعة من الطير وقعن بقربنا وما نئس من قبل ذلك منها

شيئاً . فقالت الجماعة : يَا تَامَّ السُّرُورِ وَكَيْالَ الْجَالِسِ ، لقد سبيعد من أخذ بمحطه <sup>(٤)</sup>

منك وخاب من حُرْمِكَ ، يَا حَيَاةَ الْقُلُوبِ وَكَسِيمَ النُّفُوسِ جَعَلْنَا اللَّهَ فِدَاءَكَ ، غَنَّا .

فَنَسَى :

(١) في الأغانى : « سجع » . (٢) زيادة من الأغانى . (٣) في الأغانى : ٢٠

« لَامَ حَاصِمِ » . (٤) في الأصول : « يحطك » . والتصويب من الأغانى .

يا هند إنك لو علمت • بيت بمأذنين نئابها

قال : فبدّرت من بينهم فقبلت عيديه ، قهافت القوم عليه بقبولونه ، ولقد رأيته وأنا أرفضهم عنه شفقة عليه .

وكانت وفاة ابن مريح بالعلّة التي أصابته من الجذام بمكة في خلافة سليمان ابن عبد الملك أو في خلافة الوليد ، ودُفن في موضع يقال له « دسم » . رحمة الله عليه وعفاه عنه وعفّر له . والحمد لله رب العالمين .

حكى أنه لما أحضر نظر إلى أبلته نبيكي فبكى وقال : إنه من أكبر همّي أنيت وأخشى أن تضيعى بمدى . فقالت : لا تخف لما غيّت شيئا إلا وأنا أغنيه . فقال : هاتي ، فأندعت فغنت وهو مصغ إليها . فقال : قد أصبت ما في نفسي وهويت على أمريك . ثم دنا سعيد بن مسعود المذنب فزوجه إياها ، فآخذ أكثر غناء أيها وأتمضه .

### ذكر أخبار معبد

هو معبد بن وهب ، وقيل : ابن قطن مولى ابن قطن ، وقيل : إن قطن مولى العاص بن واقصة الخزومي<sup>(٢)</sup> ، وقيل : مولى معاوية بن أبي سفيان . غنى معبد في أيام بني أمية في أوائلها ، ومات في أيام الوليد بن يزيد بدمشق .

قال أبو الفرج الأصفهاني :

إنه لما مات خرجت سلامة جارية الوليد بن يزيد بن عبد الملك وأخذت بممود السرير والناس ينظرون إليها وهي تتدبه وتقول شعر الأحوص :

(١) دسم : موضع قرب مكة .

(٢) في الأغاني ( ج ١ ص ٣٦ طبع دار الكتب المصرية ) : « دسم » بالياء الواحدة .

قد لَمَّ نرى بَثَّ ليلي • كَأَنَّ الداءَ الْوَجِيعَ  
وَنَجَّى الْهَمَّ مِسْقَى • بَاتَ أَدْنَى مِنْ نَجْوَى  
كَلَامٍ أَبْصَرْتُ رَبِّعًا • خَالِيًا فَاضَتْ دُمُوعِي  
قَدْ خَلَا مِنْ مَسِيدِ كَا • نَ لَنَا غَيْرَ مُضِيعِ  
لَا تَلْتَمِسْ إِنْ خَشَعْنَا • أَوْ هَمَّنا بِخُشُوعِ

وكان معبدٌ قد علمها هذا الصوت فندبته به . قال لصاحبه بن إبراهيم الموصلي :  
كان معبد من أحسن الناس غناءً ، وأجودهم صنعة ، وأحسنهم خلقاً ، وهو إمام  
أهل المدينة في الغناء ، وأخذ عن سائب خائِرٍ ونسيب الفارسي مولى عبدالله بن جعفر ،  
وعن جميلة مولاة هُزَ (بن من بن سلم) . وفي معبد يقول الشاعر :

أَجَادَ طَوَيْسٌ وَالشَّرِيفِيُّ بَعْدَهُ • وَمَا قَصَبَاتُ السَّبْقِ إِلَّا لِمَعْبِدِ

وحكى أبو الفرج أيضاً :

أن الوليد بن يزيد اشتاق إلى معبد ، فوجه إليه البريد إلى المدينة فأحضره . فلما  
بلغ الوليد قدومه أمر بركة مَلِكُ ماء وَرْدٍ وَخُلِطَ بِهِ سَكٌ وَزَعْفَرَانٌ ، ثم جلس الوليد  
على حافة البركة وفُرش لمعبد مُقَابِلَهُ وَضُرِبَ بَيْنَهُمَا سِتْرٌ لِيَسَّ مَعَهُمَا ثَالِثٌ . ووجه  
بمعبد فقيل له : سَلِّمْ عَلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَاجْلِسْ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ ، فَسَلِّمْ فَقَدْ عَلَيْهِ مِنْ  
خَلْفِ السَّجَفِ ، ثم قال له : أَعْتَدِي لِمِ وَجْهَتِ إِلَيْكَ ؟ قال : اللَّهُ أَعْلَمُ وَأَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ .  
قال : ذَكَرْتُكَ فَأَجَبْتُ أَنْ أَسْمَعَ مِنْكَ . فقال له معبد : أَأَغْنِي مَا حَضَرَ أَوْ مَا يَقْتَرِحُهُ  
أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ ؟ قال : [بَلْ] غَنَّى :<sup>(١)</sup>

مَازَالَ يَمْلِكُو عَلَيْهِمْ رَبُّبُ دَهْرِهِمْ • حَتَّى تَفَاقَتُوا وَرَبُّبُ الدَّهْرِ عَدَاءُ

(١) كذا في الألفاظ (ج ١ ص ٣٨ طبع دار الكتب المصرية) . وفي الأصل : «خلقاً» بألفاء.  
المعينة وهو تصحيف ، (٢) الزيادة عن الألفاظ .

ففتناه . فرفع الجوارى السَّجَفَ ، ثم نخرج الوليدُ فآلَى نفسه في البركة فغاص فيها ، ثم نخرج منها ، فأستقبله الجوارى بثياب غير الثياب التي كانت عليه ، ثم شرب وسقى معبدًا ثم قال له : غَنِّي يا معبد :

يا رَبِّعُ مالِكَ لا تُجِيبُ متبًا \* قد عاج نحوكَ زائرًا ومسلماً  
جادتكَ كُلُّ صحابةٍ هَطَّالَةٍ \* حتى تُرى عن زَهْرَةٍ متبهاً :<sup>(١)</sup>  
لو كنتَ تدري من دمالكُ أجبتَه \* وبكيتَ من حُرِّقٍ عليه إذا دما

قال : ففتناه . وأقبل الجوارى فرفضن السَّترَ ، ونخرج الوليدُ فآلَى نفسه في البركة فغاص فيها ثم نخرج ، فليس ثياباً غير تلك الثياب ، ثم شرب وسقى معبدًا وقال له : غَنِّي يا معبد :

تَجِبْتُ لِمَا رَأَيْتَنِي \* أُنْذِبُ الرِّيحَ الحَمِيلَا  
واقفًا في الدارِ أبكى \* لا أرى إلَّا الطلولا  
كيف تبكى لأناسٍ \* لا يَمْلُونَ الدَّمِيلَا<sup>(٢)</sup>  
كلما قُلْتُ أطمأنتُ \* دارهم جَدَّوا الرِّجِلَا<sup>(٣)</sup>

قال : فلما غناه آلَى نفسه في البركة ثم نخرج فرددوا عليه ثيابه ، ثم شرب وسقى معبدًا وقال له : يا معبد ، من أراد أن يزداد حُظْوَةً عند الملوك فليكنم أسرارهم . فقال : ذلك مما لا يحتاج أمير المؤمنين إلى إيصائي به . فقال الوليد : يا غلام أحمل إلى معبد عشرة آلاف دينار <sup>(٤)</sup> فمُحْصِلْ له في بلده وأتني دينارًا لشفقة طريقه ، فحُمِلَتْ إليه كلها ، وُمِلَ على البريد من وقته إلى المدينة . وقد قيل : إنه أخطاه في ذلك المجلس خمسة عشر ألف دينار .

(١) كذا في الأغاني . والزهرة : الهبة والنفارة والحسن . وفي الأصل : « ترى من زهره » .  
وصحبه المرحوم الأستاذ الشحيطي في نسخته من الأغاني : « يرى من زهره » . (٢) الدميل : ضرب من السير . (٣) في الأغاني ( ج ١ ص ٥٤ ) : « قالوا » . (٤) أى تدفع وتسلم .

وقال أبو الفرج بسند رفعه :

- إن معبدًا كان قد علم جاريةً من جوارى المجاز الفناء تدعى "طيبة" <sup>(١)</sup> وعنى بتفريخها؛ فأشترها رجل من أهل العراق وأخرجها إلى البصرة وباعها هناك ، فأشترها رجل من أهل الأهواز فأعجب بها وذهبت به كل مذهب وقلبت عليه ، ثم مات بعد أن أقامت عنده برهةً من الزمان ؛ فأخذ جواريه أكثر غنائها عنها . فكان لحنه آياها وأسفه طليها لا يزال يسأل عن أخبار معبد وأين مستقره ، ويظهر التعصب له والميل إليه والتقديم لفنائه على سائر الأغاني من أهل عصره ، إلى أن حُرِف ذلك منه وبلغ معبدًا خبره . فخرج من مكة حتى أتى البصرة ؛ فلما وردا صادف الرجل قد خرج عنها في ذلك الوقت واليوم إلى الأهواز . فجاء معبدٌ في طلب سفينة تجمله إلى الأهواز ، فلم يجد غير سفينة الرجل ، فركب فيها وكلاهما لا يعرف الآخر وأخذت السفينة . فلما صاروا بضم نهر الأبله <sup>(٢)</sup> ، أمر الرجل جواريه بالفناء فغنين ، إلى أن غنت إحداهن صوتا من غناء معبد فلم تُجد أداه ؛ فصاح بها معبد : يا جارية ، إن غناءك هذا ليس بمستقيم . فقال مولاهما وقد غضب : وأنت ما يدريك الفناء ما هو ! ألا تُمسك <sup>(٣)</sup> وتلزم شأنك ! فأمسك . ثم غنت أصواتا من غناء غيره وهو ساكتٌ لا يتكلم حتى غنت من غنائها فأخلفت ببعضه ؛ فقال لها معبد : يا جارية ، قد أخلفت بهذا الصوت إخلالا كثيرا . فغضب الرجل وقال له : ويلك ! ما أنت والفناء ! ألا تتحلف عن هذا الفضول ! فأمسك معبد . وعنى الجوارى

(١) في أكثر أصول الأغاني المخطوطة والمطبوعة : « طيبة » .

(٢) الأبله (بضم أله وثانيه واللام وضمة) : اسم بلدة على شاطئ دجلة البصرة العظمى

في زاوية الخليج التي يدخل إلى مدينة البصرة ، كما في معجم البلدان لياقوت .

(٣) كذا في أكثر أصول الأغاني . وفي بعض أصوله : « لم تمسك ... » وفي الأصل هنا :

« ... وأنت ما يدريك ما الفناء ما هو إلا أن تمسك ... » .



ملياً، ثم غنت إحداهن صوتاً من غنائه فلم تصنع فيه شيئاً . فقال لها معبد :  
يا هذه، أما تقومين على أداء صوت واحد انغضب الرجل وقال له : ما أراك تدع  
هذا الفضول بوجه ولا حيلة ! فأقسم بالله إن عاودت لأخرجتك من السفينة .  
فأمسك معبد، حتى سكنت الجوارى سكنته، فاندفع يغنى الصوت الأول حتى فرغ  
منه . فصاح الجوارى : أحسنت والله يارجل، فأصده . قال : لا والله ولا كرامة .  
ثم اندفع يغنى الثاني، فقلن لسيدهن : ويحك ! هذا والله أحسن الناس غناء، فسله  
أن يعيده علينا ولو مرة واحدة لعلنا نأخذه منه، فإنه إن فاتنا لم نجد مثله أبدا .  
قال : قد سمعتن سوء رده عليكم وأنا خائف مثله منه، وقد استقبلناه بالإساءة، فأصبرن  
حتى نُداريه . قال : ثم غنى الثالث فزلزل عليهم الأرض . فوثب الرجل فقبل رأسه،  
وقال : يا سيدي أخطأنا عليك ولم نعرف موضعك . فقال له : وهبك لم تعرف  
موضعي، قد كان ينبغي لك أن تثبت ولا تسرع إلى سوء العشرة وجفاء القول .  
فلم يزل يرفق به حتى نزل إليه، وكان معبد قد أجلس في مؤثر السفينة . فقال له  
الرجل : ممن أخذت هذا الغناء ؟ قال : من بعض أهل المجاز، فن أبن أخذه  
جواريك ؟ قال : أخذه من جارية كانت لي، كانت قد أخذت الغناء عن أبي عباد  
معبد وكانت تحل منى مكان الروح من الجسد، ثم استأثر الله بها وبقي هؤلاء الجوارى  
وهن [من] تلميها، فانا إلى الآن أتعصب لمعبد وأفضله على المغنين جميعا، وأفضل  
صنعه على كل صنعة . فقال له معبد : وإنك لانت هو ! أفصرتني ؟ قال لا .  
قال : فصرك معبد بيده صلته ثم قال : فانا والله معبد وإليك قليمٌ من المجاز  
ووافيت البصرة ساعة نزلت السفينة لأقصداك بالأهواز، والله لا قصرت في جواريك

﴿١٥﴾

(١) في بعض أصول الأغانى : « أما تقوين » . (٢) الزيادة من الأغانى .

(٣) في الأصول : « فانه » والصواب من الأغانى .

هؤلاء ولأجل ذلك في كل واحدة خلقاً من الماشية . فأكب الرجل والبحارى على يده ورجليه يقبلونها ويقولون : كتمتْنا نفسك حتى جفوناك في المخاطبة وأسأنا عشرتك وأنت سيدنا ومن نتمنى أن نلقاه . ثم غير الرجل أبواب معبد وطلع عليه مدة خلغ وأعطاه في ذلك الوقت ثلثمائة ديناراً وطيباً وهدايا مثلها ، وأمجد معه إلى الأهواز فأقام عنده حتى رضى حلق جواريه ، ثم ودعه وأنصرف إلى الحجاز .

### ذكر أخبار الغريص

وما يتصل بها من أخبار عائشة بنت طلحة

- هو عبد الملك ، وكنيته أبو زيد ، وقيل : أبو مروان . والغريص لقب لقب به ؛ لأنه [ كان ] طرياً الوجه يضراً غص الشباب حسن المنظر ، فلقب بذلك .  
 ١. والغريص : الطري من كل شيء . وقال ابن الكلبي : شُبّه بالإغريض وهو الجمار ثم ثقل ذلك على الألسنة فحذفت الألف فقل : الغريص . وهو من مؤلدي البربر .  
 وولاه للثريا (صاحبة عمر بن أبي ربيعة) وأخواتها الرضيا وقرية وأم عثمان بنات على بن عبد الله بن الحارث بن أمية الأصغر . قالوا : وكان يضرب بالمود ويتقر بالدف ويوقع بالضبيب . وكان قبل الفناء خياطاً . وأخذ الفناء في أول أمره عن عبيد بن مريح ، لأنه كان قد خدمه ؛ فلما رأى ابن مريح طبعه وطرقة وحلاوة  
 ١٥. منطقه ، خشي أن يأخذ غناه فيقلب عليه ويفوقه بحسن وجهه ، وحسنه ، فأعتل عليه وشكاها إلى مولاته ، وكثرت دفعته إليه ليعلّمه الفناء ، وجعل يفتني طبعه ثم طرده .  
 فعرف مولاته غرض ابن مريح فيه وأنه حسدته ؛ فقلن له : هل لك أن تسمع

(١) القى في الأغانى (ج ٢ ص ٣٥٩ طبع دار الكتب المصرية) : « أبو زيد » .

(٢) الزيادة عن الأغانى .

نَوَحْنَا عَلَى قَتْلَانَا فَتَأَخَذَهُ وَتَفَتَّى عَلَيْهِ ؟ قَالَ نَعَمْ . فَأَسْمَعْنَهُ الْمَرَاتِي فَأَحْتَنَاهَا وَنَحْرَجْ  
غَنَاءَهُ عَلَيْهَا . وَكَانَ يَنْوَحُ مَعَ ذَلِكَ فَيَدْخُلُ الْمَاتَمَ وَتُضْرَبُ دُونَهُ الْمُجَبُّ ثُمَّ يَنْوَحُ فَيَقِينُ  
كُلَّ مَنْ سَمِعَهُ . فَلَمَّا كَثُرَ غَنَائُوهُ صَدَلَ النَّاسُ إِلَيْهِ لِمَا كَانَ فِيهِ مِنَ الشَّجَا ؛ فَكَانَ ابْنُ  
سَرِيحَ لَا يَفْنَى صَوْتًا إِلَّا عَارَضَهُ فِيهِ فَيَفْنَى فِيهِ لَحْنًا آخَرَ . فَلَمَّا رَأَى ابْنُ سَرِيحَ مَوْقِعَ  
الْفَرِيضِ اشْتَدَّ عَلَيْهِ وَحْسَدُهُ ، فَفَنَى الْأَرْمَالَ وَالْأَهْرَاجَ ، فَأَشْتَاهَا النَّاسُ . فَقَالَ لَهُ  
الْفَرِيضُ : يَا أَبَا يَحْيَى قَصَّرْتَ الْغَنَاءَ وَحَذَفْتَهُ . قَالَ : نَعَمْ يَا حَنْثُ حِينَ جَعَلْتَ  
تَنْوَحُ عَلَى أَبِيكَ وَأَمَّا ذَلِكَ . قَالَ : وَلَمْ يُفَضَّلْ ابْنُ سَرِيحَ عَلَيْهِ إِلَّا بِالسَّبْقِ ، وَأَمَّا غَيْرُ  
ذَلِكَ فَلَا .

وقال بعضهم : كان الفريضُ أشجى غناءً ، وابنُ سريحَ أحكم صسعةً . وحكى  
أبو الفرج الأصفهاني بسند رفعه إلى أيوب بن حباية عن مولى لآل الفريض قال :  
حدثني بعضُ مولىي أن قد ذكُرَ الفريضُ فترجمن عليه وقلن : جاءنا يوماً فحدثنا بحديث  
أنكرناه عليه ثم صرنا به بعد ذلك حقيقةً . قالت : وكان ابنُ سريحَ يجوارنا فدلعهناه  
إليه ولقن الغناء ، وكان من أحسن الناس صوتاً ، ففتن أهل مكة بحسن وجهه  
مع حسن صوته . فلما رأى ذلك ابنُ سريحَ نحاه عنه<sup>(١)</sup> . فكان بعضُ مولىاته  
تعلمه النباحة فبرز فيها . فلفاه يوماً فقال : نهتني الجرح أن أنوح وأسمعنني صوتاً  
عجيباً ، فقد آبتيتُ عليه لحناً فأسمعه مني ، فأندفع ففتني بصوتٍ عجيبٍ في شعرٍ لم أر  
الأسدي :

حَلَقْتُ لَهَا بِاللَّهِ مَا بَيْنَ ذِي الْفَضَا \* وَهَضَبِ الْقَتَانِ مِنْ عَوَانٍ وَمِنْ بَنِي

(١) كذا في الأغاني . وفي الأصول : « مدل الناس إليه لشجائه » .

(٢) كذا في الأغاني . وفي الأصل : « جلاه عنه » . (٣) كذا في الأغاني . والقنان :

جبل لبني أسد فيه ماء يدعى العسيرة . وفي الأصل : « هضب القنان » وهو منحرف .

أحبُّ إلينا منك دَلًا وما نرى \* به عند ليل من ثواب ولا أجر  
 قالت : فكذبناه وقلنا : شيءٌ فكَّر فيه وأخرج به على هذا الجنس . فكان في كل  
 يوم يأتينا فيقول : سمعت البارحة صوتاً من الجن يترجيع وتقطع ، فقد بنيتُ عليه  
 صوت كما وكذا بشعر فلان ، فلم يزل على ذلك ونحن نُنكر عليه . فإنا لكذلك ليلة  
 وقد آجتماع جماعة من نساء أهل مكة في جمع لنا سَمَرنا فيه ليلتنا والغريصُ يغتينا  
 بشعر عمر بن أبي ربيعة حيث يقول :

أين آل زيلب جد البكور \* تَمَّ فَلَايَ هواها تَصِيرُ

إذ سمعنا في بعض الليل عَزِيفًا عجيبًا وأصواتًا ذَهْرَتًا وأَفْرَعَتًا . فقال لنا الغريصُ :  
 إن في هذه الأصوات صوتاً إذا نِمْتُ سمعته وأصبح أبني عليه غِناءً ، فأصغيتا إليه  
 فإذا نغمته نغمة الغريص بعينها ، فصدفناه تلك الليلة .

وكانت وفاة الغريص باليمن في خلافة سليمان بن عبد الملك أو عمر بن عبد العزيز ،  
 وكان قد هَرَبَ من نافع بن علقمة لما ولي مكة من مكة إلى اليمن وأستوطنها  
 ومات بها .

والغريص أخبارٌ مستظرفة وحكايات مستحسنة قد رأينا أن نُثبت في هذا  
 الموضع ، استغف عليه إن شاء الله تعالى .

فمن ذلك ما حكاه أبو الفرج الأصبهاني في كتابه المترجم بالأغاني في أخبار  
 الحارث بن خالد بن العاص بن هشام بن المغيرة المخزومي ، بعد أن ساق قطعة من  
 أخباره مع عائشة بنت طلحة بن عبيد الله ، وأنه كان يهواها ويشبب بها في شعره ،  
 ثم قال في أثناء ذلك : لما قَدِمْتُ عائشة بنت طلحة مكة أرسل إليها الحارثُ  
 وهو أمير مكة يومئذ ، وكان وليها من قبل عبد الملك بن مروان ، فأرسل إليها :  
 إني أريد السلام عليك ، فإذا خَفَّ ذلك عليك أَدْنَيْتُ ، وكان الرسولُ الغريصُ .

فأرسلت إليه : **لَمَّا دُرِّمٌ** ، فَإِذَا أَحْلَانَا أَذْنَاكَ . فلما أحلت خرجت مرراً على بنتها ، ولحقها الغريضة بُسْفَانٌ أو قريب منه ومعه كتاب الحارث إليها ، وفيه :

مَا ضَرَكَمَ لَوْ قَلْتُمْ سَدَدًا \* لَأَكَّ الْمَطَايَا عَاجِلٌ غُدُّهَا

وَلَمَّا عَلَيْنَا نِعْمَةً سَلَقَتْ \* لَسْنَا عَلَى الْإَيَّامِ نَجْجِدُهَا

لَوْ أَتَمَمْتُ أَسْبَابَ نِعْمَتَا \* تَمَّتْ بِذَلِكَ عِنْدَنَا يَدُّهَا

فلما قرأت الكتاب قالت : ما يدع الحارث باطله ! ثم قالت للغريضة : هل أحدثت شيئاً ؟ قال : نعم فأسمي ، ثم أندفع يقف في هذا الشعر . فقالت عائشة : والله ما قلنا إلا سَدَدًا ولا أردنا إلا أَنْ نَشْتَرِيَ لِسَانَهُ ؛ وَأَسْتَحْسِنُ الشَّعْرَ ، وأمرت للغريضة بخمسة آلاف درهم وأثواب ، [وقالت<sup>(٢)</sup> : زِدْنِي . ففني في قول الحارث أيضاً حيث يقول :

زَعَمُوا بِأَنَّ الْبَيْنَ بَعْدَ غَدٍ \* فَالْقَلْبُ مِمَّا أَحْدَثُوا يَحِفُّ

وَالْعَيْنُ مِنْذُ أَجَدَّ بَيْنَهُمْ \* مِثْلُ الْجُمَانِ دَمَوْعُهَا تَكِفُّ

نَشْكُو وَنَشْكُو مَا أَشْتَبَ بِنَا \* كُلُّ بَوْشَكِ الْبَيْنِ مُعْتَرِفُ

ومقالها ودموعها مُجْجِمٌ \* أَقْلُ حَنِينِكَ حِينَ تَنْصَرِفُ

فقالت عائشة : يا غريضة ، بحق عليك أهو أمرك أن تقفني في هذا الشعر ؟ قال : لا وحياتك يا سيدتي ، فأمرت له بخمسة آلاف درهم ، ثم قالت : غفني في [غير<sup>(٢)</sup> شعره ، ففناها بشعر عمر بن أبي ربيعة — وكان عمر قد سأله ذلك — فقال :

أَجَمْتُ خُلُقِي مَعَ الْمَجْرِبَاتِ \* جَلَّ اللَّهُ ذَلِكَ الْوَجْهَ زَيْنًا .

أَجَمْتُ يَتْنَهَا وَلَمْ تَكُ مِنْهَا \* لَذَّةُ الْعَيْشِ وَالشَّابَابِ قَضِينَا

٢٠ (١) في الأصل : « والله ما قال » . والتصويب عن الأغاني (ج ٣ ص ٣٢٠ طبع دار الكتب المصرية) . (٢) التكلفة عن الأغاني .

فتوت حوولاً واستقلت \* لم تزل طائلاً ولم تقض دينا  
ولقد قلت يوم مكة لما \* أرسلت تقرأ السلام علينا  
أنهم الله بالرسول الذي أر \* سل والمرسل الرسالة صينا

قال: فضحكت ثم قالت: وأنت يا غريض فأنهم الله بك عينا وأنهم أبى ربيعة عينا، لقد تطفئت حتى أدت إلينا رسالته، وإك وفاءك له لما يزيدنا رغبة فيك وثقة بك. وكان عمر سال الغريض أن يغنيها بشعره هذا لأنه كان قد ترك ذكرها لما غضبت بنو تيم من ذلك، فلم يجب التصريح بها وكريه إغفال ذكرها. فقال له عمر بن أبى ربيعة: إن أبلغنا هذه الأبيات في غناءك فلك خمسة آلاف درهم، فوق له، وأمرت له عائشة بخمسة آلاف درهم. ثم أنصرف الغريض من عندها، فلقى طائكة بنت يزيد بن معاوية امرأة عبد الملك بن مروان وقد كانت حجت في تلك السنة؛ فقال لها جواريا: هذا الغريض. فقالت لمن: على به؛ فحش به إليها. قال الغريض: فلما دخلت سأمت فردت على وسألتني عن الخبر، فقصصته عليها. فقالت: غنى بما غنيته به، ففعلت؛ فلم أرها تهش لذلك؛ فغنيته معرضا ومدت برا بنفسي في شعر مرة بن تحكان السعدي يخاطب امرأته وقد نزل به أضياف:

أقول والضيف غشي ذماته \* على الكريم وحق الضيف قد وجبا  
ياربة البيت قومي غير صاغرة \* ضمي إليك رجال القوم والقربا  
في ليلة من جمادى ذات أندية \* لا يصر الكلب في ظلماتها الطنبا  
لا ينبع الكلب فيها غير واحدة \* حتى يلقى على خيشومه النبا

(١) كذا في الأغانى. وفي الأصل: «م لطف».

(٢) كذا في الأغانى (طبع دار الكتب المصرية). وفي الأصل: «فأقصمت».

(٣) القمامة (يفتح الدال وكسرهما): الذمة والعهدة.

فقال وهى منسمة : نعم وقد وجب حَقُّك يا غريب، ففني، ففنيها :

يادهرُ قد أَكْثَرْتُ لِحَفَّتِنَا <sup>(١)</sup> \* بَسَرَاتِنَا <sup>(٢)</sup> وَوَقَرْتُ فِي الْعَظَمِ

وَسَلْبَتِنَا مَا لَسْتُ مُخَلِّقُهُ <sup>(٣)</sup> \* يادهر ما أَنْصَفْتَ فِي الْحُكْمِ

لَوْ كَانَتْ لِي قِرْنٌ أَنَاضِلُهُ \* مَا طَاشَ عِنْدَ حَفِيفَةٍ سَهْمِي

لَوْ كَانَتْ يُعْطَى النِّصْفُ قُلْتُ لَهُ \* أُحْرِزْتُ قِسْمَكَ فَأَلَهُ عَن قِسْمِي

فَقَالَتْ : تُعْطِيكَ النِّصْفَ فَلَا يَضِيعُ سَهْمُكَ عِنْدَنَا وَتُحْزِلُ لَكَ قِسْمَكَ، وَأَمَرَتْ

لَهُ بِخَمْسَةِ آلَافِ دِرْهَمٍ وَثِيَابٍ عَدَنِيَّةٍ وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْإِلْطَافِ . قَالَ الْفَرِيسُ : فَأَتَيْتُ

الْحَارِثَ بْنَ خَالِدٍ فَأَخْبَرْتُهُ الْخَبَرَ وَقَصَصْتُ عَلَيْهِ الْقِصَّةَ، فَأَمَرَ لِي بِمِثْلِ مَا أَمَرْتَا لِي

بِجَمِيعَا، وَأَتَيْتُ أَبْنَ أَبِي رَيْبَعَةَ فَأَعْلَمْتُهُ بِمَا جَرَى، فَأَمَرَ لِي بِمِثْلِ ذَلِكَ . لَمَّا أَنْصَرَفَ

أَحَدٌ مِنَ ذَلِكَ الْمَوْسِمِ بِمِثْلِ مَا أَنْصَرَفْتُ بِهِ : نَظَرَةٌ مِنْ حَائِشَةٍ، وَنَظَرَةٌ مِنْ مَائِكَةٍ — وَهِيَ

أَجَلُ نِسَاءِ طَائِفَتِهِمَا — وَبِمَا أَمَرْتَا لِي بِهِ، وَالمُتَرَلِّقَةُ عِنْدَ الْحَارِثِ — وَهُوَ أَمِيرُ مَكَّةَ —

وَأَبْنِ أَبِي رَيْبَعَةَ وَمَا أَجَازَانِي بِهِ جَمِيعًا مِنَ الْمَالِ .

وَلَنُصِِّلَ هَذَا الْفَصْلَ بِشَيْءٍ مِنْ أَخْبَارِ حَائِشَةَ بِنْتِ طَلْعَةَ؛ لِأَنَّ الشَّيْءَ بِالشَّيْءِ

يَذْكُرُ .

هِيَ حَائِشَةُ بِنْتُ طَلْعَةَ بْنِ حَبِيدٍ اللَّهِ بْنِ حِثَّانٍ بْنِ طَامِرٍ بْنِ عَمْرِو بْنِ كَعْبٍ بْنِ

سَعْدِ بْنِ تَيْمٍ . وَأُمُّهَا أُمُّ كَلْتُومَ بِنْتُ أَبِي بَكْرٍ الصَّدِيقِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ . وَكَانَتْ حَائِشَةُ

لَا تَسْتَرُ وَجْهَهَا مِنْ أَحَدٍ . فَأَتَاهَا مُصْعَبٌ فِي ذَلِكَ فَقَالَتْ : إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى

وَتَمَنَّى بِمِثْلِ جَمَالِ أَحِبِّتُ أَنْ يَرَاهُ النَّاسُ وَيَعْرِفُوا فَضْلِي عَلَيْهِمْ فَمَا كُنْتُ لِأَسْتَرَهُ ،

وَوَالِقَهُ مَا فِيَّ وَصَمَّةٌ يَقْدِرُ أَنْ يَذْكُرَنِي بِهَا أَحَدٌ .

(١) فِي الْأَصُولِ : « كَثُرَتْ لِحَفَّتِنَا » . وَالتَّصْوِيبُ مِنَ الْأَخْفَى وَلِسَانُ الْعَرَبِ (مَادَّةُ «وَقَرُ»)

(٢) وَوَقَرُ الْعَظَمِ : مَدَحُهُ . (٣) فِي الْأَصْلِ : « مَا كُنْتُ » وَالتَّصْوِيبُ مِنَ الْأَخْفَى .

(٤) النِّصْفُ (مِثْلُهُ) : أَمْرٌ بِمَعْنَى الْإِنْصَافِ .

- قال أبو الفرج الأصبهاني : وكانت شيرسة الخُلُق ، وكذلك نساء بني تميم ، هن أشمرُ خلق الله خُلُقاً وأحظاظاً عند أزواجهن . قال : وآلت عائشة من زوجها مصعب بن الزبير ، فقالت : أنت ملّ كظهر أُمّي ، وقعدت في غرفةٍ وهيأت ما يصلحها . بلقيد مصعبٌ أن تكلمه فأبت . فبعث إليها ابن قيس الرقيات فسأها كلامه . فقالت : كيف يميني ؟ فقال : ها هنا الشّمنيّ فقيه أهل العراق فاستفتيه .
- فدخل الشّمنيّ عليها فأخبرته ، فقال : ليس هذا بشيء ، فأمرت له بأربعة آلاف درهم . وحكى أبو الفرج أن مصعب بن الزبير لما حرّم على زواج عائشة بنت طلحة ، جاء هو وعبد الله بن عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق وسعيد بن العاص إلى عزة الميلاء — وكانت عزة هذه يالفها الأشراف وغيرهم من أهل المروءات ، وكانت من أطرف الناس وأصلهم بأمر النساء — فقالوا لها : إنا خطبنا فأ نظري لنا .
- فقالت لمصعب : يابن أبي عبد الله ، ومن خطبت ؟ قال : عائشة بنت طلحة . قالت : فانت يابن أبي أحيحة ؟ قال : عائشة بنت عثمان بن عفان . قالت : فانت يابن الصديق ؟ قال : أم الهيثم بنت زكريا بن طلحة . فقالت : يا جارية ، هاتي منقلى (منى خفيها) ، فلبستهما وخرجت ومعها خادمٌ لها ، فبدأت بعائشة بنت طلحة ، فقالت : فديتك ، كفا في مادبة أو ماتم لقريش ، فذاكروا جمال النساء وخلقهن فذكرك فلم أدرك كيف أصفك ، فديتك ، فإني ثيابك ، ففعلت فأقبلت وأدبرت فأرتج كل شيء منها . فقالت لها عزة : خذي ثوبك . فقالت عائشة : قد قضيت حاجتك وبقيت حاجتي . فقالت عزة : وما هي ؟ فديتك ! قالت : تغني صوتاً . فأندفعت تنقي لحنها في شعر بلجبل بن عبد الله بن معمر العدري :
- خيلٌ حوياً بالحصلة من جمل \* وأترابها بين الأصيفر فأجبل
- قف بمغان قد عفا رسمها الجبل \* تصافها الأيام بالريح والوبل



❦

فلودرج النمل الصغار بجلدها \* لاندب أعلى جلدها مدرج التمل  
وأحسن خلق الله جيذا ومقلاة \* <sup>(١)</sup>نُسبَه [في النسوان بالشادن الطفل]

فقبلت عائشة ما بين عينها ودعت لها بعشرة أنواب وطرائف من أنواع الفضة،  
فدفعته إلى مولاتها . وأتت النسوة على مثل ذلك تقول ذلك لمن . ثم أتت القوم  
في السقيفة . فقالوا : ما صنعت ؟ فقالت : يابن أبي عبد الله ، أما عائشة فلا والله ما رأيت  
مثلا مقبلة ولا مذبرة ، <sup>(٢)</sup>محطوطة المتنين ، عظيمة العجينة ، ممتلئة التراب ، تبيّة  
الشعر وصفحة الوجه ، فرط الشعر ، ممتلئة الصدر ، نجيسة البطن ذات عكبي ، مضمخة  
السرة ، ممرولة الساق ، يربح ما بين أعلاها إلى قدميها ، وفيها عيان ، أما أحدهما  
فيواريه الجمار ، وأما الآخر فيواريه الخلف : عظم الأذن والقدم . وكانت عائشة بنت  
طلحة كذلك . ثم قالت حرة : وأما أنت يابن أبي أحيحة فإني والله ما رأيت مثل  
خلق عائشة بنت عثمان لامرأة قط ! ليس فيها عيب والله لكأنما أفرغت إفراغا  
ولكن في الوجه ردة ، وإن استشرختي أشرت عليك . قال : هات . قالت : عليك  
بوجه تستأنس به . وأما أنت يابن الصديق : فوالله ما رأيت مثل أم الهيثم ، كأنها  
خوط بانه تنقي ، أو كأنها جان يتنقى حل رمل ، لو شئت أن تعقد طرفيها لفعلت ،  
ولكنها <sup>(٣)</sup>مختة الصدر وأنت عريض الصدر ، فإذا كان كذلك كان قبيحا ، لا والله  
حتى يملأ كل شيء مثله . قال : فوصلها الرجال والنساء وتزوجوهن .

وحكى أبو الفرج أيضا : أن مصعب بن الزبير إنما تزوجها بعد عبد الله بن  
عبد الرحمن بن أبي بكر . وقال : وكانت طالحة بنت طلحة <sup>(٤)</sup>نُسبَه بخالتها عائشة أم المؤمنين  
رضي الله عنها ، فزوجتها عائشة من ابن أخيها عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي بكر ، وهو

(١) الحكمة من الأغاني (ج ١٠ ص ٥٥ طبع بولاق) .

(٢) محطوطة المتنين : ممددتها . (٣) شحة الصدر : دقيقته .

أول من تزوجها . ولم تلد عائشة بنت طلحة من أحد من أزواجها غيره ، ولدت له عمران وبه كانت تُكنى<sup>(١)</sup> ، وعبد الرحمن وأبا بكر وطلحة ونفيسة ، ولكل من هؤلاء جَبِّ . وأنا من عقب طلحة بن عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي بكر من ولده ليث ابن طلحة . وليس هذا موضع سرد نسبي فأسرده .

- قال أبو الفرج : وصارمت عائشة بنت طلحة زوجها عبد الله بن عبد الرحمن . ونعجت من داره مُغَضِّبة تريد عائشة أم المؤمنين رضى الله عنها . فراها أبو هريرة فسبح الله تعالى وقال : كأنها من الحور العين . فكثت عند عائشة قريبا من أربعة أشهر . وكان عبد الله قد آلى منها ، فأرسلت عائشة إليه : إني أخاف عليك الإيلاء ، فضمها إليه وكان موليا<sup>(٢)</sup> منها . فقيل له : طلقها ، فقال : يقولون طلقها لأصبح ثاويا \* مقيما على الحسم ، أحلام نائم وذاك فراق أهل بيت أحبهم \* لهم زلفه عندي لإحدى العظامم وتوفى عبد الله بعد ذلك وهو عنده ، فافتحته فأها عليه ، وكانت عائشة أم المؤمنين رضى الله عنها تمد هذا عليها في ذنوبها التي تعتدها . ثم تزوجها بعده مصعب بن الزبير ، فمهرها خمسمائة ألف درهم وأهدى لها مثل ذلك . فبلغ ذلك أخاه عبد الله بن الزبير فقال : إك مصعبا قدم أيره وأخر خيره . فبلغ قوله عبد الملك ابن مروان فقال : لكنته هو أخر خيره وأيره . وكتب عبد الله الى أخيه يؤنبه على ذلك ويقسم عليه ألا يلحق بمكة ولا يتزل بالمدينة ولا يتزل إلا بالبيداء ، وقال له : إني لأرجو أن تكون الذى يُحَسِّف به بالبيداء ، لما أمرتكم بتزولها إلا لهذا . فصار إليه وأرضاه من نفسه فأمسك عنه .

(١) كذا في الأغاني . وفي الأصل : « وبه كان يكنى » .  
(٢) في الأصول : « ملق فيها » . والتصويب من الأغاني .

- وكانت عائشة تمتنع على مصعب في غالب الأوقات . لحكى أنه دخل عليها يوما وهي نائمة ومعه ثمانى لؤلؤات قيمتها عشرون ألف دينار، فأنبها ونثر اللؤلؤ في حجرها .
- فقلت : نومتى كانت أحب إلى من هذا اللؤلؤ . ولم تزل حاملة معه على مثل ذلك حتى شكا ذلك إلى كاتبه ابن أبي قرة . فقال له : أنا أكفيك هذا إن أذنت لي .
- قال : نعم ! افعل ما شئت . فأتاها ليلاً ومعه أسودان فأستأذن عليها . فقلت : أفى مثل هذه الساعة ؟ قال نعم ؛ فأذنت له فدخل . فقال للأسودين : أحفرا هاهنا بئرا . فقلت له جاريتها : وما تصنع بالبئر ؟ قال : شؤم مولائك ، أمرنى هذا الظالم أن أدفنها حية ، وهو أسفك خلق الله لدم حرام . قالت عائشة : فأفطرني أذهب إليه ؛ قال : هيهات لاسبيل إلى ذلك ، وقال للأسودين : أحفرا . فلما رأت الجدد منه بكت وقالت : يا بن أبي قرة ، إنك لقاتل ما منه بد ؟ قال : نعم ، وإنى لأعلم أن الله عز وجل سيخزيه بعدي ، ولكنه قد غضب وهو كافر الغضب . قالت : وفى أى شيء غضبه ؟ قال : من امتناعك عليه وقد ظن أنك تبغضينه وتسطلمين إلى غيره ، فقد جبن . فقالت : أنشدك الله إلا ماودته . قال : أخاف أن يقتلني ؛ فبكت وبكى جوارياها . فقال لها : قد رقت لك وحلف لها إنه يفر بفسه ، وقال لها : لما أقول ؟ قالت : تضمن له حتى أنى لا أعود أبدا . قال : فما لي عندك ؟ قالت : قيام بفتحك ما عشت . قال : فأعطيني الموائيق فأعطته . فقال للأسودين : مكانكما . وأتى مصعباً فأخبره . فقال : أستوثق منها بالإيمان ؛ فأستوثق منها ففعلت ، وصلحت بعد ذلك لمصعب .

قال : وكان مصعب من أشد الناس إعجاباً بها ، ولم يكن لها شبيه في زمانها حسنا وديانة وجمالا وهيئة وشارة وحقه . وإنما دعت يوماً نسوة من قريش ، فلما جفنها

أجلستين في مجلس قد نُضِدَ فيه الريحان والفواكه والطيب والمجامرُ، وخلعت على كل امرأة منهن خلعة من الرشي والخز ونحو ذلك، ودعت حَزَّةَ المَيْلَاءِ ففعلت بها مثل ذلك وأضعفته ؛ ثم قالت لعزّة : هاتِ يا عزّة ففَتِنَا . ففتنهن في شعر أمرئ القيس فقالت :

- ونفر أغرّ شَيْبَ اللَّيْلِ • لَدَيْدِ الْمُقْبِلِ وَالْمُبْتَسِمِ  
وما ذُقْتُه غَيْرَ ظَنٍّ بِهِ • وبالظنِّ يَقْضَى عَلَيْكَ الْحُكْمُ

- وكان مصعب قريباً منهن ومعه إخوانٌ له ، فقام فَأَتَقَلَّ حتى دنا منهن والسنوب مُسَبِّلٌ ، فصاح بها : يا هذه ، إنا قد ذُقناه فوجدناه على ما وصفت ، فبارك الله فيكِ يا عزّة ، ثم أرسل إلى عائشة : أما أنت فلا سبيل لنا اليك مع من عندكِ ، وأما عزّة فتأذنين لها أن تفتِنَا هذا الصوتَ ثم تعود إليك ، ففعلت ونجرت حَزَّةَ اليهم ففتنهم هذا الصوتَ مراراً ، وكاد مصعب أن يذهب عقله فرحاً . ثم قال لها : يا عزّة ، إنك تُحْسِنِينَ القول والوصف ، وأمرها بالود إلى مجملها .

- قال : ولم تزل عند مصعب حتى قُتِلَ عنها . فخطبها بشر بن مروان ، وقدم عمر ابن عبيد الله بن معمر التيمي من الشام فقتل الكوفة ، فبلغه أن بشرًا خطبها ، فأرسل إليها جارية لها وقال : قُولِي لأبْنَةِ عَمِّي : إِنْ عَمِكَ يُقْرَمُكَ السَّلامُ ويقول لك : أنا خير لك من هذا المَسْجُورِ المَطْحُولِ ، وأنا ابن عمك أحقُّ بك ، وإن تزوجتُ بك ملائٌ يبتك خيراً وفرجك أيراً . فترجته فبنى عليها بالحيرة ، فهدت له سبعة أفرشة مَرَّضُها أربع أذرع ، فأصبح ليلةً بنى بها عن تسعة . فلقيته مولاة لها فقالت : أبا حفص ، فديتُكِ لقد كَلَمْتُ في كلِّ شيءٍ حتى في هذا . وقيل إنه لمَّا تزوجها حمل إليها ألف ألف درهم ، ثممها ألف ألف مهر ، ونعمها ألف هدية ، وقال لمولاتها : لك على ألف دينار إن دخلتُ بها الليلة ، وأمر بالمال حُمِلَ فَأُلْقِيَ في الدار وغُطِّي

بالتياب؛ وخرجت عائشة فقالت لمولاتها : ما هذا ؟ أفرش أم ثياب ؟ قالت :  
أظفرى إليه ؛ فنظرت فإذا هو مال ، فنبهت . فقالت الجارية : أجزأ من حل هذا  
المال أن يبيت عزربا ! قالت : لا والله ، ولكن لا يجوز دخوله إلا بعد أن أترين له  
وأستعد . قالت : وماذا ؟ فوالله لو وجهك أحسن من كل زينة وما تمدن يديك إلى  
طيب أو ثوب أو مال أو فراش إلا وهو عندك ، وقد عزمت عليك أن تأذني له .

فقالت : أفعل . فذهبت إليه فقالت له : بنت بنا الليلة . بفاءهم عند العشاء الآخرة  
فأدني إليه طعام فأكل الطعام كله حتى أحرى الخوان وغسل يده وسأل عن المتوضأ  
فأخبر به ، فقام فتوضأ وقام يصلي حتى ضاق صدرى ونمت ، ثم قال : أغلظكم آذن ؟  
قلت : نعم فأدخل ، فأدخلته وأسبلت الستر عليهما . فصدت له في بقية الليلة  
على قلتها سبع عشرة مرة دخل المتوضأ فيها ، فلما أصبحنا وقفت على رأسه فقال :  
أتهولين شيئا ؟ قلت : نعم والله ما رأيت مثلك ! أكلت أكل سبعة وصليت صلاة  
سبعة ونكحت نيك سبعة ! فضحك وضرب بيده على منكب عائشة وقال لها :  
كيف رأيت ابن عمك ؟ فضحكت وغطت وجهها وقالت :

قد رأيتك فلم تحل لنا • وبلوناك فلم ترص الخبر

ومكثت عائشة عند عمر بن عبيد الله ثمانى سنين حتى مات سنة اثنتين وثمانين .  
ولما مات نديته قائمة ، ولم تدب أحدا قبله من أزواجها إلا جالسة . فقيل لها في ذلك  
فقالت : إنه كان أكرمهم على وأمسهم بى رجما ، فأردت ألا أتزوج بعده . وكانت  
المرأة إذا نديت زوجها قائمة لا تتزوج بعده أبدا . ولم تترقج عائشة بنت طلحة بعد  
زوجها عمر بن عبيد الله .

ومن أخبار عائشة بنت طلحة أيضا ما رواه أبو الفرج الأصماني بسنده إلى يزيد  
ابن عياض ، قال :

- استأذنت عائكة بنت يزيد بن معاوية عبد الملك في الحج، فأذن لها وقال :  
 أرفعي حوائجك واستظيري، فإن عائشة بنت طلحة تخرج، ففعلت وتجهزت ببهيئة  
 جهلت فيها . فلما كانت بين مكة والمدينة إذا موكب<sup>(١)</sup> قد جاء فضبطها وفزق  
 جامعتها، فقالت : أرى هذه عائشة بنت طلحة، فسألت عنها، فقالوا : هذه جاريتها .  
 ثم جاء موكب آخر أعظم من ذلك، فقالوا : عائشة عائشة، فضبطهم فسألت عنها،  
 فقالوا : هذه ما شعثها . ثم جاءت مواكب على هذا لحاشيتها، ثم أقبلت في ثلثائة  
 راحلة عليها القباب والموادج، فقالت عائكة : ما عند الله خير وأبقى . قال : ووفقت  
 عائشة بنت طلحة على هشام بن عبد الملك، فقال لها : ما أوفدك؟ قالت : حسيت  
 السماء مطرها ومنع السلطان الحق . قال : فانا أصل رحلك وأصرف حَقَّك . ثم بعث  
 إلى مشايخ بني أمية فقال : إن عائشة جئني فأمسروا عندي الليلة فحضروا، فماذا كروا  
 شيئا من أخبار العرب وأشعارها وآثارها إلا أفاضت معهم فيه ، وما طلع نجم  
 ولا غار إلا أتممت . فقال لها هشام : أما الأول فلا أنكروا، وأما النجوم فمن أين لك؟  
 قالت : أخذته من خالتي عائشة رضي الله عنها، فأمر لها بمائة ألف درهم وردّها إلى  
 المدينة .

- قال : ولما تأيمت عائشة كانت تقيم بمكة سنة وبالمدينة سنة، وتخرج إلى مال لها  
 بالعلاف عظيم وقصر لها هناك فتترو وتجلس فيه بالعشيات ، فتتناضل بين [يديها]<sup>(٥)</sup>  
 الزمأة . فترجها الميمري الشاعر، فسألت عنه فأنتسب لها، فقالت : أنتوني به، يغني به .

(١) كذا في الأغانى (ج ١٠ ص ٦٠ طبع بولاق) . وفي الأصل : « فضمنها » .

(٢) في الأغانى : « خازنها » .

(٣) هكذا بالأصول . وفي الأغانى : « أخلتها » .

(٤) كذا بالأغانى . وفي الأصل : « مقيمة » .

(٥) زيادة يقتضها السياق .

فقلت له : أئْسِدْنِي مِمَّا قَلَّتْ فِي زَيْنَب ؛ فَأَمْتَنَعَ وَقَالَ : بِنْتُ عَمِّي وَقَدْ صَارَتْ عَظَامًا بِأَلِيَّة . قَالَتْ : أَقْسَمْتُ عَلَيْكَ لِمَا فَعَلْتُ ؛ فَأَنْشَدَهَا قَوْلَهُ :

تَزَلْنَ بِفَسْحٍ<sup>(١)</sup> ثُمَّ رُحْنٍ عِشْبَةٍ \* يُلَيِّنُ لِلرَّحْمَنِ مُعْتَمِرَاتٍ  
يُجْمَرْنَ أَطْرَافَ الْأَكْفِ مِنَ التَّقَى \* وَيَخْرُجْنَ جُمُوعَ اللَّيْلِ مُعْتَجِرَاتٍ<sup>(٢)</sup>

وَلَمَّا رَأَتْ رَكِبَ الْخَيْمَى رَاعِيهَا \* وَكَزْنَ مِنْ أَنَّ يَلْقِيَنَّهُ حَذِرَاتٍ

تَضُوقُ سِكَابِلُنَّ نَهْمًا أَنْ مَشَتْ \* بِهِ زَيْنَبُ فِي نِسْوَةٍ خَيْرَاتٍ

— وزينب هذه هي زينب بنت يوسف الثقفي أخت المجاج، وكان الخيمى يهواها ويشتب بها، وله معها أخبار يطول شرحها ليس هذا موضع إيرادها — قال : فقلت له عائشة لما أنشدها هذا الشعر : والله ما قلت إلا جميلاً، ولا وصفت إلا كرماً وطيباً وديناً وثقياً، أعطوه ألف درهم . فلما كانت الجمعة الأخرى تمرض لها، فقلت : عليّ به ؛ فجاء فقلت له : أنشدني من شعرك في زينب ؛ قال : فَأَنْشَدُنِيكَ مِنْ قَوْلِ الْحَارِثِ فَيْك . فوثب موالياً إليه ، فقلت : دعوه فإنه أراد أن يستعيد لأبنة عمه، هات ؛ فَأَنْشَدَهَا :

ظَلَمَ الْأَمِيرُ بِأَحْسَنِ الْخَلْقِ \* وَغَدَا بِبَيْتِكَ مَطْلَعُ الشَّرْقِ

وَتَسْوَاءُ تُثْقِلُهَا عَجَبُ نَبْهَا \* نَهَضَ الضَّمِيرُ بِنَوْءٍ بِالْوَسْقِ

مَا صَبَحَتْ زَوْجًا بِطَلَبَتِهَا \* إِلَّا غَدَا بِكَوَاكِبِ الطَّلَقِ

بِضَاءٍ مِنْ تَيْمٍ كَلَفَتْ بِهَا \* هَذَا الْجَنُونُ وَلَيْسَ بِالْعَشَقِ

(١) اسم راد بمكة .

(٢) في الكامل البرد (ص ٢٩٠ طبع أوروبا) ورد هذا البيت هكذا :

يُجْمَرْنَ أَطْرَافَ الْبُتَانِ مِنَ التَّقَى \* وَيَخْرُجْنَ شَطْرَ اللَّيْلِ مُعْتَجِرَاتٍ

فقلت : والله ما ذكر إلا جبلاً ، ذكر أني إذا صبحتُ زوجاً بوجهي غذا بكواكب الطلّق ، وأنى غدوتُ مع أمير تزوجني الى الشرق ، أعطوه ألف درهم وأكسوه حلتين ولا تعدّ لإيتائنا يا نعيمى - والله أعلم . [ولنرجع إلى أخبار المغنين] .<sup>(١)</sup>

### ذكر أخبار محمد بن عائشة

- يكنى أبا جعفر ولم يكن له أب يعرف فليُسب الى أمه ، وكان يزعم أن اسم أبيه جعفر . وعائشة أمه مولدة لكثير بن الصلت الكندى حليف قريش ، وقيل : هى مولدة لآل المطلب بن [أبي] وداعة السهمي . وقال ابن عائشة — وقد سأل الوليد بن يزيد فقال : يا محمد أليغية أنت ؟ — : كانت أمى يا أمير المؤمنين ماشطة وكنت غلاماً ، وكانت إذا دخلت الى موضع قالت : أرفعوا هذا لابن عائشة ، فغلبت على نسي . قالوا : وكان ابن عائشة يفتن كل من سمعه ، وكان فتيان [من] المدينة قد فسدوا في زمانه بمحادثته وبجالسته . وأخذ عن معبد ومالك بن أبى السَّمْع ، ولم يموتا حتى ساواهما على تقديمه لها وأعرافه بفضلها . وكان تياهاً سيئ الخلق ، إن قال له إنسان : تنق قال : المثل يقال هذا ! فإن غنى وقال له إنسان : أحسنت ، سكت ، فكان قليلاً ما يتنفع به .

- ١٥ • وكان ابن عائشة متقطعاً الى الحسن بن الحسن ، وكان الحسن مكراً له . فسأله الحسن أن يخرج معه الى البَغِيَّة ، فأمتنع ابن عائشة ، فأقسم عليه وأظهر الخلد .

(١) هذه الزيادة في إحدى النسخ .

(٢) الزيادة عن الأغانى (ج ٢ ص ٢٠٣ طبع دار الكتب المصرية) .

(٣) في الأصل بعد هذه العبارة : « قال » وهى مكررة مع قوله : « وقال ابن عائشة » .

(٤) رواية الأغانى (ج ٢ ص ٦٢) « قالوا » .

(٥) ضيعة بالمدينة أرمين غزيرة كثيرة النخل لآل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كما في القاموس .



فلما عين ما ظهر عليه قال : أخرج طائفا لا كارها ؛ فأمر له ببغلة فركبها ومضيا إلى البقيعة ، فزلا الشعب ثم أكلوا . وقال له : غنى ، فاندفع ففناه صوتا فاستحسنه . فقال ابن عائشة : والله لا غنىتك في يومى هذا شيئا . فأقسم الحسن ألا يفارق البقيعة ثلاثة أيام . فأغتم ابن عائشة ليمينه وندم . فلما كان في اليوم الثانى قال له : غن فقد برت يمينك ؛ فنظر إلى ناقة تقدم جماعة إلى فاندفع يفتى :

تمتر بكنة دلة المنجني \* بقى يرى بها السور يوم القتال

وهى أبيات لأمية بن أبى طالب الهذلى يصف حمارا وحشيا ؛ والبيت « يمر » بالياء . وقيل : سال العقيق مرة فدخل عرصبة سعيد بن العاص [الماء] <sup>(١)</sup> حتى ملاها ، فخرج الناس إليها ، وخرج ابن عائشة بجلس على قرن البئر . فبينما هم كذلك إذ طلع الحسن على بغلة ومعه غلامان أسودان ، فقال لهما : امضيا رويدا حتى تحفيا بأصل القرن الذى عليه ابن عائشة ، فعلا ذلك . ثم ناداه الحسن : كيف أصبحت يا ابن عائشة قال : بخير . قال : أنظر من تحتك ، فنظر فإذا العبدان . قال : أنصرفهما ؟ قال نعم . قال : فهما حُران لئن لم تغننى مائة صوت لأمرتهما بطرحك فى البئر ، وهما حُران لئن لم يفعلنا لأقطعن أيديهما . فاندفع ابن عائشة وغنى بشعر الهذلى :

ألا لله ذك من قى قورم إذا رهبوا  
وقالوا من قى للمهر \* ب يرقبنا ويرقب  
فكننت فنامهم فيها \* إذا تدعى لها تلُب

(١) الزيادة من الأغانى (ج ٢ ص ٢٠٥ طبع دار الكتب المصرية) .

(٢) كذا فى الأغانى (ج ٢ ص ٢٠٦) وفى الأصل : « فهما حُران لئن لم تمن مائة صوت لأمرهما

بطرحك فى البئر وهما حُران ان لم يفعلنا إن لم أقطع أيديهما » .

(٣) فى الأصل : « ترقب » والتصحيح من الأغانى وديوان الهذليين .

ذَكَرْتُ أُنَى فَعَاوِدِي \* صُدَاعُ الرَّأْسِ وَالْوَصَبُ

كَمَا يَتَأَدُّ ذَاتَ الْبُؤْسِ بَعْدَ سَلَوِهَا الطَّرْبُ

حَلَّ صَبَدُ بْنُ زُهْرَةَ بَثُّ طُولِ اللَّيْلِ أَتَقَبُّ

وروى أبو الفرج الأصفهاني بسند رفعه إلى حماد الراوية :

- أن الوليد بن يزيد استقدمه من العراق إلى الشام على دواب البريد . وكان  
مما حكاه عنه قال : قَدِمْتُ عَلَيْهِ فَأَذِنَ لِي ، فَدَخَلْتُ فَإِذَا هُوَ عَلَى سَرِيرٍ مُتَمَدٍّ وَعَلَيْهِ  
ثَوْبَانِ أَصْفَرَانِ وَعِنْدَهُ مَعْبِدٌ وَمَالِكُ بْنُ أَبِي السَّمْعِ وَأَبُو كَامِلٍ مَوْلَاهُ ، فَأَسْتَنْشَدَنِي :  
• أَمِنَ الْمُنُونِ وَرِيهَا تَوَجُّعٌ •<sup>(١)</sup>

فَأَسْتَنْشَدْتُهُ حَتَّى أَتَيْتُ عَلَى آخِرِهَا . ثُمَّ قَالَ : يَا مَالِكُ ، غَنِّني :

- ١٠ الْأَهْلُ هَاجَكَ الْأَظْلَمَا \* نُنْ إِذْ جَاوَزْنَا مُطْلَمَا

فَفَنَاءَ . ثُمَّ قَالَ : غَنِّني :

جَلَا أَمِيَّةٌ حَتَّى كُلِّ مَظْلَمَةٍ \* سَهَلَ الْحِجَابُ وَأَوْفَى بِالذَى وَعَدَا

فَفَنَاءَ . ثُمَّ قَالَ : غَنِّني :

أَتَلَسَّى إِذْ تُودَعُنَا سُلَيْمَى \* وَفَرَجَ بَشَامَةٍ ، سُبْحَى الْبَشَامُ !<sup>(٢)</sup>

- ١٥ فَفَنَاءَ ؛ ثُمَّ أَتَاهُ الْحَاجِبُ فَقَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، الرَّحُلُ الَّذِي طَلَبْتَ بِالْبَابِ ،  
فَإِذْنُ لَهُ فَدَخَلَ شَابٌ لَمْ أَرَأْ أَحْسَنَ وَجْهًا مِنْهُ . فَقَالَ لَهُ : غَنِّني :  
وَهَى إِذْ ذَاكَ طَلِبَهَا مِرْرٌ \* وَلَهَا يَثُّ جَوَارٍ مِنْ لُحَبٍ  
فَفَنَاءَ ، فَنَبَذَ إِلَيْهِ الثَّوْبَيْنِ ، ثُمَّ قَالَ : غَنِّني :

(١) وروى : « ودي » وكلاهما صحيح ، لأن المتن يذكر ودي .

٢٠ (٢) رواية اللسان : « أذكر » بدل « أتلى » . وروى بوجه آخر الشعر بغير :  
• أذكر يوم تفصل عارضها •

طاف الخيال فرحبا \* ألفا برؤية زيبا

ففضب معبد وقال : يا أمير المؤمنين ، إنا مُقبلون عليك بأقدارنا وأسانتنا وإنك تركتنا بمنزلة الكلب وأقبلت على هذا الصبي . فقال : يا أبا عباد ، ما جهلت قدرك ولا سنك ، ولكن هذا الغلام طرحنى فى مثل اللطنجير من حرارة غناؤه . قال حماد : فسألت عن الغلام فقيل لى : هو ابن عائشة .

وحكى عن شبيب من تنوخ قال : كنتُ صاحبَ سرِّ الوليد بن يزيد ، فرأيت ابنَ عائشة عنده وقد غناه :

إنى رأيتُ صبيحةَ النَّفَر \* حورًا تقين عزيمةَ الصبرِ

مثل الكواكب فى مطالعها \* بعد العشاء أطفن بالبدرِ

ونجحتُ أبني الأبرحُ حسيًا \* فرجعتُ موفورًا من الوزرِ

فطرب الوليد حتى كفر وألحد ، وقال : يا غلام ، أسقنا بالسماة السابعة ، ثم قال : أحسنت والله يا أميرى ، أعد بحق عبد الشمس فأعاد ، ثم قال : أحسنت يا أميرى والله ، أعد بحق أمية فأعاد ، ثم قال : أعد بحق فلان حتى بلغ من الملوك نفسه ، فقال : أعد بحياتى فأعاده ، فقام فأكب عليه ، فلم يبق عضو من أعضائه إلا قبله وأهوى إلى فرجه ، لجعل ابن عائشة يضم نَفْذيه عليه ؛ فقال : والله العظيم لا ترم حتى أقبله ، فأبداه له فقبل رأسه ، ثم تزع ثيابه فآلقاها عليه وبنى مجودا إلى أن أتوه بمثلها ، ووهب له ألف دينار وحمله على بغلة وقال : أركبها بأبى أنت وأنصرف ، فقد تركتنى على مثل المقل من حرارة غناك . فركبها على بساطه وأنصرف .

(١) فى الأغاني (ج ٢ ص ٢٢٦ طبع دار الكتب المصرية) : « الزابحة » .

(٢) أى لا تبرح .

وَحَكِي أَيْضًا أَنَّ ابْنَ عَائِشَةَ أَنْصَرَفَ مِنْ عِنْدِ الْوَلِيدِ وَقَدْ غَنَاهُ :

إِبْسَلَكَ مَعْقِلًا أَرْجُو وَحِصْنًا \* قَدْ أَصَيْتَنِي الْمَعَاقِلُ وَالْحَصُونُ<sup>(١)</sup>

فَأَمَرَ لَهُ بِنْتَايَيْنِ أَلْفَ دِرْهَمٍ وَمِثْلَ كَارَةِ الْقَصَارِ كَسُوهُ . فَبَيْنَا ابْنَ عَائِشَةَ يَسِيرُ

إِذْ نَظَرَ إِلَيْهِ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ وَادِي الْقُرَى ، وَكَانَ يَسْتَهِي الْغَنَاءَ وَيَشْرِبُ النَّبِيذَ ، فَقَالَ

لِفُتْلَامِهِ : مَنْ هَذَا الرَّاكِبُ ؟ قَالَ : ابْنُ عَائِشَةَ الْمُغَنَّى ، فَدَنَا مِنْهُ فَقَالَ : جُعِلَتْ

فِدَاكَ ! أَنْتَ ابْنُ عَائِشَةَ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ ؟ قَالَ : لَا أَنَا مُوَلَّى لِقُرَيْشٍ وَطَائِفَةٍ أُمَى ، وَحَسْبُكَ

هَذَا . قَالَ : وَمَا هَذَا الَّذِي أَرَاهُ بَيْنَ يَدَيْكَ مِنَ الْمَالِ وَالْخُسُوفِ ؟ قَالَ : غَنَيْتُ أَمِيرَ

الْمُؤْمِنِينَ صَوْتًا فَأُطْرِبُهُ فَكَفَرْتُ وَتَرَكْتُ الصَّلَاةَ وَأَمَرْتُ بِهَذَا الْمَالِ وَهَذِهِ الْكُسُوفِ .

قَالَ : جُعِلَتْ فِدَاكَ ! فَهَلْ تُمْنُّ عَلَى أَنْ تُسَمِّعَنِي مَا اسْمَعْتَهُ لِيَأَيَّاهُ ؟ فَقَالَ : وَيْلَكَ !

أَمْثَلِي يُكَلِّمُ هَذَا فِي الطَّرِيقِ ! قَالَ : فَمَا أَصْنَعُ ؟ قَالَ : أَخْلَقْنِي بِالْبَابِ . وَحَرَّكَ ابْنُ عَائِشَةَ

بِفُلْتِهِ لِيَنْقَطِعَ عَنْهُ ، فَعَدَا مَعَهُ حَتَّى وَافَا بِالْبَابِ كَفَرْتَنِي رِهَانٍ . وَدَخَلَ ابْنُ عَائِشَةَ

فَكَثَّ طَوِيلًا طَعْمًا أَنْ يَضِجَرَ فَيَنْصَرِفَ ، فَلَمْ يَفْعَلْ حَتَّى أَحْيَاهُ . فَقَالَ لِفُتْلَامِهِ :

أَدْخِلْهُ ، فَلَمَّا دَخَلَ ، قَالَ لَهُ : وَيْلَكَ ! مِنْ أَيْنَ صَبَّكَ اللَّهُ عَلَى ! قَالَ : أَنَا رَجُلٌ مِنْ

أَهْلِ وَادِي الْقُرَى أَشْتَهِي هَذَا الْغَنَاءَ . فَقَالَ لَهُ : هَلْ لَكَ فِيمَا هُوَ أَنْفَعُ لَكَ مِنْهُ ؟ قَالَ :

وَمَا ذَاكَ ؟ قَالَ : مَا تَمَّا دِينَارٌ وَعِشْرَةُ أَبْوَابٍ تَنْصَرِفُ بِهَا إِلَى أَهْلِكَ . فَقَالَ لَهُ : جُعِلَتْ

فِدَاكَ ! وَاقِهُ إِنِّي بَيْتُهُ مَا فِي أُذُنَا — حَلَقَةُ مِنَ الْوَرِقِ فَضْلًا عَنِ الذَّهَبِ ،

وَإِنِّي زَوْجَةٌ مَا عَلَيْهَا — شَهِدَ اللَّهُ — قَبِيصٌ ، وَلَوْ أُعْطِيتُنِي جَمِيعَ مَا أَمَرَ لَكَ بِهِ

أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى هَذِهِ الْحَالَةِ وَالْفَقْرَ الَّذِي نَرَى تَحْتَكُمَا وَأَضَعْتَنِي عَلَى هَذَا لَكَانَ

(١) كَذَا فِي الْأَثَانِي (ج ٢ ص ٢٢٧) . وَفِي الْأَصْلِ : « وَرَاحَتِي » .

(٢) الْقَصَادُ هُوَ الَّذِي يَحْزِرُ الْبَابَ وَيُدْخِلُهَا . وَالْكَارَةُ : مَا يَجْعَلُهُ مِنَ الْبَابِ . قَالَ صَاحِبُ اللِّسَانِ :  
وَصِمَتْ بِذَلِكَ لِأَنَّهُ يَكُونُ نِيَابَهُ فِي تَوْبٍ وَاحِدٍ وَيَجْعَلُهَا فَيَكُونُ بَعْضُهَا عَلَى بَعْضٍ .

الصوتُ أعجبَ إلى . فتحجَّبَ ابنُ عائشةَ وغناه الصوتُ ، فجعلَ يمزكُ رأسه  
ويطربُ له طرباً شديداً حتى ظنَّ أن عتقه ستَنقصفُ ، ثم نرج من عنده ولم يرزاه  
شيئاً . وبلغ الخبرُ الوليدَ بنَ يزيد ، فسألَ ابنَ عائشةَ عنه ، فجعلَ يغيبُ عن الحديثِ ؛  
فلم يزلْ به حتى صدَّقه الحديثُ ، فطلبَ الرجلُ ، فطلبَ حتى أحضرَ إليه ووصله  
صلةً سليمةً وجعله من ندمائه ووكله بالسُّقَى ؛ فلم يزلْ معه حتى قُتلَ رحمه الله .

وعن عليِّ بنِ الجهم الشاعر قال : حدثني رجلٌ أن ابنَ عائشةَ كان واقفاً  
بالموسمِ مُهَجِّراً . فزوبه بعضُ أصحابه فقال : ما يُقيمك هاهنا ؟ إني أعرف  
رجلاً لو تكلمَ لحبسَ الناسَ هاهنا فلم يذهب أحدٌ ولم يبق . فقال له الرجلُ : ومن  
ذاك ؟ قال : أنا ؛ ثم أندفعَ يفتي :

١٠ جَرَتْ سُمّاً فقلتُ لها أيجزى \* نوى مشمولةٌ فسقِ اللُفأُ

بنفسى من تذكُّره مَقَامٌ \* أظنُّه ومطلُّهُ عناءُ

قال : لحبسَ الناسَ واضطربتِ المحاملُ ومدَّتِ الإبلُ أعتاقها ، فكادت الفتنة  
أن تقع . فأتى به هشامُ بنُ عبد الملك ، فقال له : يا عدو الله ! أردتَ أن تفتنَ الناسَ !  
قال : فأمسكْ عنه وكان تباها ؛ فقال له هشامُ : أرُقُّ بِتيمك . فقال : يَحْتَقُ لمن  
كانت هذه قدرته على القلوب أن يكون تباها ! فضحك هشامُ وغلَى سبيله .

واختلَفَ في وفاةِ ابنِ عائشةَ وسببها . فقيل : كانت وفاته في أيام هشام بن  
عبد الملك ، وقيل : في أيام الوليد بن يزيد وهو أشبه ، لأنه قد تَهدَّمُ أنه نادم الوليدَ  
وغناه . والذي يقول : إنه توفى في أيام هشام يزعمُ أنه نادم الوليدَ في أيام ولايته  
العهد . وكانت وفاته بذى خُشْبٍ ، وهو على أميال من المدينة . قيل : كان سببُ  
وفاته أن الغمر بن يزيد نرج إلى الشام ؛ فلما نزل قصر ذى خُشْبٍ جلس على سطحه ،

- ففتى ابن عائشة صوتاً طرب له الغمر، فقال : أعده فآبى ، وكان لا يردّد صوتاً  
لسوء خلقه . فأمر به فطرح من أعلى السطح فمات . وقيل : بل قام من الليل يقول  
وهو مسكراً فسقط من السطح فمات . وقيل : بل كان قد رجع من عند الوليد بن  
يزيد ، فلما قرب من المدينة نزل بذى خُشب ، وكان والى المدينة إبراهيم بن هشام  
أخزومي وكان في قصره هناك ، فدعاه فأقام عنده ذلك اليوم . فلما أخذوا في الشرب  
أخرج الخزومي جواريه ، فنظر إلى ابن عائشة وهو يغمز جاريةً منهجاً ، فقال لخادمه :  
إذا خرج ابن عائشة يريد حاجته فأرّم به من القصر ، وكانوا يشربون في سطح القصر .  
فلما قام رماه الخادم فمات . وقيل : بل أقبل من الشام فزّل بقصر ذى خُشب فشرّب  
فيه ثم صعد إلى أعلى القصر فنظر إلى نسوة يمشين في ناحية الوادي ، فقال لأصحابه :  
هل لكم فيهن ؟ فقالوا : وكيف لنا بهن ! فلبس ملاءةً مدلوكةً ثم قام على شُرْفَةٍ من  
شُرَفَاتِ القصر وتغنى بشعر ابن أبيّة :

وقد قالت لأثراب \* لها زُهرٍ تلاقينا

تعالين فقد طاب \* لنا العيش تعالينا

- فأقبلن عليه ، فطرب وأستدار فسقط فمات ، صفا الله تعالى عنه ورحمه . وقيل : بل  
مات بالمدينة . وأقول هذه الأبيات :

سَلِمَى أزمعت بيتنا \* وأين لقاءها أيننا

وقد قالت لأثراب \* لها زُهرٍ تلاقينا

تعالين فقد طاب \* لنا العيش تعالينا

فأقبلن إليها مُسَمَّيات \* يرحات يتهادينا

- إلى مثل مهة الرم \* على تكسو المجلس الزينا

إلى خَوْذِ مُنَمَّة • حَقَّقَ بِهَا وَقْدِنَا  
تَمَيَّنَ <sup>(١)</sup> مُنَاهِق • فَكَّنَا مَا تَمَنَيْنَا

### ذكر أخبار ابن محرز

هو مسلم، وقيل: عبد الله بن محرز، ويكنى أبا الخطاب، مولى عبد الدارين  
فُصِّي • وكان أبوه من سَدَنَةِ الكعبة، وأصله من الفرس، وكان يسكن المدينة  
مرة ومكة مرة، فكان إذا أتى المدينة أقام بها ثلاثة أشهر يتعلم الضرب من عزرة  
الميلاء ثم يرجع إلى مكة فيقيم بها ثلاثة أشهر، ثم يخص إلى فارس فتعلم الحان الفرس  
وأخذ غنائهم، ثم صار إلى الشام فتعلم الحان الروم وأخذ غنائهم • وأسقط من  
ذلك ما لا يستحسن من غناء الفريقين ونظمهم وأخذ غائسها، فمزج بعضها ببعض  
وألف منها الأغاني التي صنعها في أشعار العرب، فأتى بما لم يُسمع مثله • وكان يقال  
له صَبَاحُ العرب •

وقيل: إنه أول من أخذ الغناء عن ابن مسجّع • وهو أول من غنى بالزمل  
وما غنى قبله • وكان ابن محرز قليل الملابس للناس، فاجمل ذلك ذكره • وأخذ أكثر  
غناؤه جارية كانت لصديق له من أهل مكة كانت تألفه فأخذها الناس عنها •  
ومات بعلّة الجذام، وكان ذلك سبب امتناعه من معاشرته الخلفاء ومخالطة الناس •  
وحكى أنه رحل إلى العراق، فلما بلغ القادسية لقيه حنين فقال له: كم متلك  
نفسك من العراق؟ قال: ألف دينار؛ قال: هذه خمسمائة دينار فخذها وأنصرف  
وأحلف ألا تعود، ففعل • فلما شاع ما فعل حنين لآلمه أصحابه: فقال: والله لو

(١) في الأصل: «فتين» • والتصويب عن الأغاني (ج ٢ ص ٢٣٧ طبع دار الكتب المصرية).

(٢) كذا في الأغاني (ج ١ ص ٣٧٨ طبع دار الكتب المصرية). وفي الأصل: «الحان الشام» •

دخل العراق ما كان لي معه خبراً آكله ولا طُرِحْتُ ثم سقطتُ إلى أنوار الدهر . ولم أقف من أخبار ابن محرز على أكثر من هذا فأورده . والسلام .

### ذكر أخبار مالك بن أبي السمح

هو أبو الوليد مالك بن أبي السمح . وأسم أبي السمح جابر بن ثعلبة الطائي ، وأمه قرشية من بني تخزوم ، وقيل : بل أم أبيه [منهم] ، وقيل فيه : مالك بن أبي السمح بن سليان . وكان أبوه منقطعاً إلى عبد الله بن جعفر بن أبي طالب ويتقياً في حجره أوصى به أبوه إليه . وكان مالكٌ أحولاً طويلاً . وأخذ الفناء عن جميلة . ومهد وعمر ، وأدرك الدولة العباسية . وكان منقطعاً إلى بني سليان بن علي ، ومات في خلافة أبي جعفر المنصور .

- ١٠ وروى الأصفهاني بسنده إلى الورداني ، قال :
- كان مالك بن أبي السمح الملقب من طيء ، فأصابتهم <sup>(٢)</sup> حُطمة في بلادهم بالجبلين ، فقلبت به أمه وبأخوة له وأخوات أيتام لاشيء لهم . وكان يسأل الناس على باب حمزة بن الزبير . وكان معبدٌ منقطعاً إلى حمزة يكون عنده في كل يوم . فسمع مالكٌ غناءه فأعجبه وأشتهاه . وكان لا يفارق باب حمزة يسمع غناء معبد إلى الليل ولا يطوف بالمدينة ولا يطلب من أحد شيئاً ولا يريم موضعه ، فينصرف إلى أمه ولم يكسب شيئاً فنضربه ، وهو مع ذلك يترجم بالحان معبد فيؤذيها فقياً بغير لفظ . وجعل حمزة كلما غدا أوراخ رآه ملازماً لبابه ، فقال لفلانة يوماً : أدخل هذا الغلام إلى فادخله الغلام إليه ، فقال له حمزة : من أنت ؟ قال : غلام من طيء

(١) الزيادة عن الأفاقي (ج ٥ ص ١٠١ طبع دار الكتب المصرية) .

(٢) الحطمة : السعة الشديدة . (٣) لا يريم : لا يريح .



أصابنا حُطْمَةٌ بالجليلين فهبطنا إليكم ومعى أملى وإخوة<sup>١</sup>، وإني لزمْتُ بآبك فسمِعت  
من دارك صوتاً عجيبى ولزمت بآبك من أجله . قال : فهل تعرف منه شيئاً ؟  
قال : أعرف لحنه كله ولا أعرف الشعر . فقال : إن كنت صادقاً إنك لفيهم .  
ودعا بمعبد فأمره أن يغنى صوتاً فغناه ، ثم قال لمالك : هل تستطيع أن تقول له ؟  
قال نعم . قال : هاتيه ، فأندفع فغناه فأذى نغمه بغير شعر<sup>(١)</sup>، يؤدى مدائيه وليأنيه  
وعطفائه ونبراته ومتعلقاته لا يحرم منه حرفاً . فقال لمعبد : خذ هذا الغلام إليك وخرجه  
فليكون له شأن . قال معبد : ولم أفعل ذلك ؟ قال : لتكون عأسه منسوبة إليك  
ولأعداك إلى غيرك فكانت عأسه منسوبة إليه . فقال معبد : صدق الأمير ، وأنا  
أفعل ما أمرتني به . قال حمزة لمالك : كيف [وجدت<sup>(٢)</sup>] ملازمك لبابنا ؟ قال : أرايت  
إن قلتُ فيك غير الذى أنت له مستحق من الباطل أكنت ترضى بذلك ؟ قال  
لا . قال : وكذلك لا يسرك أن تتخذ بما لم تفعل ، قال نعم . قال : فوالله ما شِيت  
على بابك شعبة قط ، ولا أتقبلت إلى أهل منه بغير . فأمر له ولأئمه وإخوته بمنزل  
وأجرى عليهم رزقاً وكسوة وأمر لهم بخادم يخدمهم وعبد يقيمهم الماء ، وأجلس  
مالكاً معه فى مجالسه ، وأمر معبد أن يطارحه فلم يتشب أن مهر . فخرج مالك يوماً  
فسمع امرأة تنوح على زيادة الذى قتله هذبة بن خشم - والشعر لأخى زيادة - :

أبعد الذى بالتعف نيف كويكب \* وهينة رميس ذى ثراب وجندل  
أذكرك بالبقيا على من أصابنى \* وذلك أتى جاهد غير مؤئل<sup>(٣)</sup>  
فلا يدننى قويمى لزيد بن مالك \* لئن لم أعجل ضربه أو أعجل

(١) فى الأصول : « شى » والصحيح عن الأغاني (ج) ص ١٠٣ طبع دار الكتب المصرية .  
(٢) الزيادة عن الأغاني . (٣) فى الأغاني : « وبقواى أتى ... » وورد البيت فى المسان  
(مادة « بين ») منسوبة إلى أبي القميّام الأسدى هكذا :

أذكر بالبقوى على ما أصابنى \* وبقواى أتى جاهد غير مؤئل

وَالْآنَ تَلَى نَارِي مِنَ الْيَوْمِ أَوْغِيدُ \* بَنِي عَمَّا فَالْتَهَرُ ذُو مُتَطَوَّلٍ  
أَنْتُمْ عَلَيْنَا كُلَّكَالِ الْحَرْبِ مَرَّةً <sup>(١)</sup> \* فَتَحْنُ مُنِيخُوهَا عَلَيْكُمْ بِكُلِّكَالٍ <sup>(٢)</sup>

- فَفَتَى فِي هَذَا الشَّعْرِ لَحْنَيْنِ، أَحَدُهُمَا نَحَا فِيهِ نَحْوُ الْمَرَأَةِ فِي نَوَاحِهَا وَرَقَّةُ وَأَصْلَحَهُ،  
وَالْآخَرُ نَحَا فِيهِ نَحْوُ مَعْبِدٍ فِي غَنَائِهِ، ثُمَّ دَخَلَ عَلَى حِمَزَةٍ فَقَالَ لَهُ: أَيُّهَا الْأَمِيرُ، إِنِّي قَدْ صَنَعْتُ  
غَنَاءً فِي شِعْرِ مَعْبِدٍ أَهْلَ الْمَدِينَةِ يُشِيدُونَهُ وَقَدْ أَعْجِبَنِي، فَإِنْ أِذِنَ الْأَمِيرُ غَنَيْتُهُ. قَالَ:   
هَاتِي؛ فَفَتَى اللَّحْنَ الَّذِي نَحَا فِيهِ نَحْوُ مَعْبِدٍ؛ فَطَرِبَ حِمَزَةً وَقَالَ: أَحَسَّنْتَ بِأَغْلَامِ،  
هَذَا الْغَنَاءُ غَنَاءُ مَعْبِدٍ بِطَرِيقَتِهِ. قَالَ: لَا تَعَجَّلْ أَيُّهَا الْأَمِيرُ وَأَسْمِعْ مَنِي شَيْئًا لَيْسَ  
مِنْ غَنَاءِ مَعْبِدٍ وَلَا طَرِيقَتِهِ؛ فَغَنَاءَ اللَّحْنَ الَّذِي تَشَبَّهُ فِيهِ بَنُوخُ الْمَرَأَةِ، فَطَرِبَ حِمَزَةً سَخِي  
أَلْقَى عَلَيْهِ حَلَّةً كَانَتْ عَلَيْهِ قِيَمَتُهَا مِائَتًا دِينَارًا. وَدَخَلَ مَعْبِدٌ فَرَأَى حَلَّةَ حِمَزَةٍ عَلَى مَالِكٍ  
فَأَتَكَرَّهَا. وَعَلِمَ حِمَزَةٌ بِذَلِكَ فَأَخْبَرَ مَعْبِدًا بِالسَّبَبِ، وَأَمَرَ مَالِكًا فَغَنَاءَ الصَّوْتَيْنِ، فَغَضِبَ  
مَعْبِدٌ لِمَسْمَعِ الصَّوْتِ الْأَوَّلِ وَقَالَ: قَدْ كَرِهْتُ أَنْ أَخُذَ هَذَا الْغَلَامَ فَيَتَعَلَّمَ غَنَائِي فَيُدْخِلَنِي  
نَفْسُهُ. فَقَالَ حِمَزَةٌ: لَا تَعَجَّلْ وَأَسْمِعْ غَنَاءَ [صَنَعَهُ] لَيْسَ مِنْ شَأْنِكَ وَلَا غَنَائِكَ، وَأَمْرَهُ  
أَنْ يَغْنَى الصَّوْتِ الْآخَرَ فَغَنَاءَ، فَأَطْرَقَ مَعْبِدٌ. فَقَالَ لَهُ حِمَزَةٌ: وَاللَّهِ لَوْ أَفْرَدَ هَذَا الضُّبَّاهَاكَ  
ثُمَّ تَزَايَدَ عَلَى الْإِيَّامِ، وَكَلِمَا كَبِيرٍ وَزَادَ شَيْخَتْ أَنْتَ وَأَنْتَقَصْتَ، فَلَنْ يَكُونَ مَلْسُوبًا  
إِلَيْكَ أَجْمَلٌ. فَقَالَ لَهُ مَعْبِدٌ وَهُوَ مُنْتَكِسِرٌ: صَدَقَ الْأَمِيرُ. فَأَمَرَ حِمَزَةٌ لَمَعْبِدِ بِضَلْعَةٍ مِنْ  
ثِيَابِهِ وَجَائِزَةٍ حَتَّى سَكَنَ وَطَابَتْ نَفْسُهُ. فَقَامَ مَالِكٌ عَلَى رَجْلَيْهِ وَقَبَّلَ رَأْسَ مَعْبِدٍ وَقَالَ  
لَهُ: يَا أَبَا عِبَادَ، أَسَامَكَ مَا سَمِعْتُ مَنِي؟ وَاللَّهِ لَا أَغْنَى لِنَفْسِي شَيْئًا أَبَدًا مَا دُمْتُ حَيًّا!  
وَأِنْ ظَلَمْتَنِي نَفْسِي فَغَنَيْتُ فِي شِعْرِ أَسْتَحْسِنُ لَهَا نَسَبَتُهُ إِلَّا إِلَيْكَ، فَيَطْبُ نَفْسًا وَأَرْضًا

(١) فِي الْأُمُودِ: ذُ الْهَرَمِ. وَالتَّصْوِيبُ مِنَ الْأَخَانِ (ج ٥ ص ١٠٤).

(٢) فِي الْأُمُودِ: «سَتَفُوهَا». وَالتَّصْوِيبُ مِنَ الْأَخَانِ.

(٣) الزِّيَادَةُ مِنَ الْأَخَانِ (ج ٥ ص ١٠٥).

(١١٨)

عنى . فقال له معبد : أفعل هذا ونفى به ؟ قال : إى والله وأزيد . فكان مالك إذا خفى صوتاً وسُئِلَ عنه قال : هذا لمعبد ، ما غيّبتُ لنفسي شيئاً قط ، وإنما آخذُ غناءً بمعبد فأقلّعه إلى الأشعار وأحسنه وأزيد فيه وأقص منه . وحضر مالك بن أبى السَّمْع عند يزيد بن عبد الملك مع معبد وابن عائشة فغَنَوْهُ ، فأمر لكل واحد منهم بألف دينار .

وحكى عن ابن الكلبي قال : قال الوليد بن يزيد لمعبد :

قد آذنتي ولولتكَ هذه ، وقال لابن عائشة : قد آذاني آسَتهلاك هذا ، فأطلب إلى رجل يكون مذهبه متوسطاً بين مذهبيكما . فقال له : مالك بن أبى السَّمْع ، فكتب في إشغاصه إليه وسائر من بالجهاز من المفتين . فلما قَدِم مالك على الوليد بن يزيد فيمن معه نزل على القَمَر بن يزيد ، فأدخله على الوليد فغَنَاه فلم يُعْجِبْهُ . فلما أنصرف قال له القَمَر : إنا أمير المؤمنين لم يُعْجِبْهُ شيءٌ من غنائك ، فقال له : جعلني الله فداك ! اطلب لي الإذن عليه مرةً أخرى ، فإن أعجبته شيءٌ مما أُغْنِيهِ وإلا أنصرفْتُ إلى بلادى . فلما جلس الوليد في مجلس اللهُو ذكره القَمَر له ، فأذن له فشرب مالك ثلاثاً صُراحياتٍ صرفاً ؛ ودخل على الوليد وهو يُحَطِر في مشيته ، فلما بلغ باب المجلس وقف ولم يُسَلِّمْ وأخذ بحلقه الباب ثم رفع صوته فغنى :

لا عيش إلا بمالك بن أبى السَّمْع فلا تلحنى ولا تلم  
أبيض كالسدر أو كما يلعب الـ \* جارق في حالِك من الظلم  
فليس يصيبك إن رُشدت ولا \* يترك حق الإسلام والحرم  
يُصيبُ من لذة الكرام ولا \* يجهل آى الترخيص في اللعم  
يأرب ليلى لنا كاشية الـ \* برِّد ويوم كذاك لم يدُم

(١) جمع صراحة وهي آية نحر .

تَمَتَّ فِيهِ وَمَالِكُ بْنُ أَبِي السَّمْعِ الْكَرِيمِ الْأَخْلَاقِيُّ وَالشَّيْمُ  
فَطَرِبَ الْوَلِيدَ وَرَفَعَ يَدَيْهِ حَتَّى بَانَ لِبَطَاهُ وَقَامَ فَأَعْتَقَهُ، ثُمَّ أَخَذَ فِي صَوْتِهِ ذَلِكَ  
فَلَمْ يَزَالُوا فِيهِ أَيَّامًا، وَأَجْزَلَ لَهُ الْعَطِيَّةَ حِينَ أَرَادَ الْإِنْصِرَافَ . قَالَ : وَلِمَا أَتَى مَالِكُ  
عَلَى قَوْلِهِ : « أَيْبُضُ كَالْبَدْرِ » قَالَ الْوَلِيدُ :

- أَحْوَلُ كَالْفَرْدِ أَوْ كَمَا يَرْقُبُ السَّارِقُ فِي حَالِكٍ مِنَ الظُّلَمِ  
قَالُوا : وَكَانَ مَالِكُ بْنُ أَبِي السَّمْعِ مَعَ الْوَلِيدِ بْنِ يَزِيدٍ يَوْمَ قُتِلَ هُوَ وَابْنُ عَائِشَةَ .  
قَالَ ابْنُ عَائِشَةَ : وَكَانَ مَالِكُ مِنْ أَحَقِّ الْخَلْقِ، فَلَمَّا قُتِلَ الْوَلِيدُ قَالَ : أَهْرُبُ بَنَاءَ  
قُلْتُ : وَمَا يُرِيدُونَ مِنَّا ؟ قَالَ : وَمَا يُؤْمِنُكَ أَنْ يَأْخُذُوا رَأْسَيْنَا فَيَجْعَلُوا رَأْسَهُ بَيْنَهُمَا  
لِيَحْسِنُوا أَمْرَهُمْ بِذَلِكَ ! .

### ذكر أخبار يونس الكاتب

- ١٠ هو يونس بن سليمان بن كُرْدٍ بن شَهْرِيَارٍ مِنْ وَلَدِ هُرْمُزٍ، مَوْلَى لِعَمْرِو بْنِ الزُّبَيْرِ،  
وَمِنْشَوُهُ وَمَنْزَلُهُ بِالْمَدِينَةِ، وَكَانَ أَبُوهُ قَتِيبًا فَاسَلَمَهُ فِي الدِّيَّوَانِ وَكَانَ مِنْ كُتَّابِهِ . وَأَخَذَ  
الْفَنَاءَ مِنْ مَعْبِدٍ وَأَبْنِ مَرْيَحٍ وَأَبْنِ مُحَرِّزٍ وَالْفَرِيعِضِ، وَكَانَ أَكْثَرُ رَوَايَتِهِ مِنْ مَعْبِدٍ . وَلَمْ  
يَكُنْ فِي أَصْحَابِ مَعْبِدٍ أَحَدٌ مِنْهُ وَلَا أَقْوَمُ بِمَا أَخَذَ عَنْهُ مِنْهُ . وَلَهُ خَتَاءٌ حَسَنٌ، وَصَنَعَةُ  
كَثِيرَةٌ، وَشَعْرٌ جَيِّدٌ . وَهُوَ أَقْوَلُ مِنْ دَوْنِ الْفَنَاءِ . وَلَهُ كِتَابٌ فِي الْأَغَانِي نَسَبَهَا إِلَى مِنْ  
١٥ غَنَى فِيهَا . وَخَرَجَ إِلَى الشَّامِ فِي تِجَارَةٍ، فَبَلَغَ الْوَلِيدَ بْنَ يَزِيدٍ مَكَانَهُ فَأَحْضَرَهُ وَالْوَلِيدُ  
إِذْ ذَاكَ وَلَّى الْعَهْدَ . قَالَ : فَلَمَّا وَصَلْتُ إِلَيْهِ سَلَّمْتُ عَلَيْهِ، فَأَمَرَنِي بِالْجُلُوسِ، ثُمَّ دَعَا  
بِالشَّرَابِ وَالْخَوَارِى . قَالَ يُونُسُ : فَكُنْتُ يَوْمَنَا وَلَيْلَتَنَا فِي أَمْرِ عَجِيبٍ، وَغَيْبَةٍ فَأَعْجَبَ  
بِفَنَائِي إِلَى أَنْ غَيْبَتْهُ :

(١) فِي الْأَغَانِي (ج ٤ ص ٣٩٨ طبع دار الكتب المصرية) : « وَقِيلَ : إِنَّهُ مَوْلَى ... » الخ . ٢٠

إِنْ يَعْشُ مُصْعَبٌ فَتَحْنُ بِخَيْرٍ \* قَدْ أَنَا مِنْ عِشْنَا مَا تُرَبِّي

ثم تلبثت فقطعت الصوت وأخذت أعذر من غثائ بشعير في مصعب ، فضحك  
ثم قال : إِنْ مُصْعَبًا قَدْ مَضَى وَأَقْطَعَ أَثَرُهُ وَلَا عِدَاوَةَ بَيْنِي وَبَيْنَهُ وَإِنَّمَا أُرِيدُ الْفَاءَ ،  
فَامِضِ الصَّوْتِ ؛ فَعُدْتُ فِيهِ فَفَنَيْتُهُ وَلَمْ يَزَلْ يَسْتَعِيدُهُ حَتَّى أَصْبَحَ فَشَرِبَ مُصْطَلِحًا  
وهو يستعذني هذا الصوت ولا يتجاوزه . فلما مضت ثلاثة أيام قلت : جعلني الله  
فذلك لاني رجل تاجر خرجت مع تجار وأخاف أن يرتحلوا فيضيع مالي ، فقال : أنت  
تعدو غذا ، وشرب باقي ليلته وأمر لي بثلاثة آلاف دينار . لحملت إلى وضوئ  
إلى أصحابي . فلما استخلفت بهت إلى فأنيت فلم أزل معه حتى قُتِلَ .

### ذكر أخبار حنين

هو حنين بن بلّوح الحيري . وأختلف في نسبه ، قليل : هو من العباديين من  
تميم ، وقيل : إنه من بني الحارث بن كعب ، وقيل : إنه من قوم بقوا من طميم  
وجديس ، فزولوا في بني الحارث بن كعب فعُدوا فيهم . ويكنى أبا كعب . وكان  
شاهراً مغنياً من غزل المُنَفِّين ، وكان يسكن الحيرة ويكرى الجمال إلى الشام ، وكان  
نصرانياً . ومن المدائني قال : كان حنين غلاماً يعمل الفاكهة بالحيرة ، وكان لُحْداً حمل  
الراحين إلى بيوت الفتيان ومياسير أهل الكوفة وأصحاب الليان وللمُتَطَرِّين ورأوا  
رشاقته وحسن قده وحلاوته وخفة رُوحه استحلوه وأقام عندهم ، فكان يَسْنَعُ الْفَنَاءَ  
ويُصْنِئُ لَهُ ، حتى شداه منه أصواتاً فاستمعه الناس ، وكان مطبوعاً بحسن الصوت . واشتهر  
غناؤه وشعره بالفناء ومهرّقه وبلغ فيه مبلغاً كثيراً . ثم رحل إلى عمر بن داود الوادي

(١) كذا في الأغاني (ج ٢ ص ٣٤٥ طبع دار الكتب المصرية) . وفي الأصل : « بيت الفيان » .

(٢) كذا في الأغاني . وفي الأصل : « عمرو » وهو محريف .

والى حكم الوادى وأخذ منهما وغنى نفسه وآستولى على الفناء فى عصره، وهو الذى بلل لابن محرز نعمائة دينار حتى رجع عن العراق، كما قدمناه فى أخبار ابن محرز .  
وبلغ من الناس بالفناء مبلغا عظيما، حتى قيل له فيها حكي: إنك تغنى منذ خمسين سنة فما تركت لكريم مالا ولا دارا ولا حقارا إلا أتيت عليه . فقال: بأى أتم! إنما هى أنفاسي أقسمها بين الناس، أقتلوموني أن أفلي بها الثمن .

وحكى المدائنى قال: حج هشام بن عبد الملك وعديله الأبرش الكلبي؛ فوقف له حينئذ بظهر الكوفة ومعه عود وزامر له . فلما مر به هشام عرض له فقال : من هذا ؟ قيل : حنين ؛ فأمر به هشام فحُمل فى تحيل على حمل وعديله زامرته وسيره أمامه، ففناه :

أَيْنَ سَأَى بظهير الكو • فِى الآيَاتِ وَالطَّلَلُ  
تلوح كما تلوح على • جفون الصَّبِيلِ الخِلَلُ  
فأمر له هشام بماتى دينار ولزأمر بمائة دينار .

وحكى أن خالد بن عبد الله القسرى حرم الفناء بالعراق فى أيامه ثم أذن للناس يوما فى الدخول عليه طائفة؛ فدخل عليه حنين فى جملة الناس ومعه عود تحت ثيابه فقال : أصلح الله الأمير! كانت لى صناعة أعود بها على عيالى لحزنها الأمير فأضر ذلك بى وبهم . فقال : وما كانت صناعتك ؟ فكشف عن عوده وقال : هذا . فقال له خالد : حنن؛ فترك أوتاره وغنى :

أَيُّهَا الشَّامُ الْمَعِيرُ بِالده • مر أنت المبرأ الموفور  
أم لديك العهد الوثيق من الأي • لم بل أنت جاهل مغرور  
من رأيت المتون خلدن أم من • ذا عليه من أن يضام خفير

قال : فبكى خالد وقال : قد أذنت لك وحدك خاصّة ، ولا تجالس سفيهاً ولا مُعريداً . فكان إذا دُعِيَ قال : أفيكم سفيه أو معريد ؟ فإذا قالوا لا ، دخل .

وقال بشر بن الحسين بن سليمان بن سمرة بن جندب : عاش حنين بن بلّوع

مائة سنة وسبع سنين .

### ذكر أخبار سيّاط

هو عبد الله بن وهب ويكنى أبا وهب ، وسيّاط لقب ظَلَب عليه . وهو مكّي مولى نخاعة . كان مقدّماً في الفناء روايةً وصنعةً ، مقدّماً في الطرب . وهو أستاذ ابن جامع وإبراهيم الموصليّ وعنه أخذوا ، وأخذ هو عن يونس الكاتب . وكان سيّاط زوج أمّ ابن جامع . قيل : وإنما لُقّب سيّاط بهذا اللقب لأنه كان كثيراً ما يغنى :  
كانَ مزاحفَ الحياتِ فيها \* قُبيلَ الصبحِ آثارُ السيّاطِ<sup>(١)</sup>

حكى أن إبراهيم الموصليّ غنى صوتاً لسيّاط ، فقال أبنته لصاحبه : لِمَ هذا الفناء يا أبت ؟ قال : لِمَ لو عاش ما وجد أبوك خبزاً يأكله ، سيّاط .

وحكى أن سيّاطاً مرّ بأبي ريحانة في يوم بارد وهو جالس في الشمس وعليه سمّ ثوب رقيق رثّ ، فوثب إليه أبو ريحانة المذنيّ وقال : بأبي أنت يا أبا وهب ! غنّني صوتك في شعر ابن جندب :

فؤادى رهين في هوائك ومهجتي \* تذوّب وأجفاني عليك هُمُولى

ففتاه إياه ، فشق قميصه ورجع إلى موضعه من الشمس وقد ازداد برداً وجهداً . فقال له رجل : ما أغنى عنك هذا من شق قميصك ؟ فقال : يابن أحمى ، إن الشعر الحسن من المغنى المحسن ذى الصوت المطرب أدفاً للقرور من حمام نحى . فقال له

(١) في الألفاظ (ج ٦ ص ١٥٢ طبع دار الكتب المصرية) : « فيه » .

رجل : أنت عندي من الذين قال الله تعالى فيهم : ﴿ فَمَا رَجَعَتِ بَيْمَاتُهُمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ ﴾ فقال : بل أنا ن قال الله تعالى فيهم : ﴿ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ ﴾ . وقد حكيت هذه الحكاية أيضا من طريق آخر : أنه لما غناه هذا الصوت شق قبيعه حتى خرج منه وبيق عاريا وغشي عليه واجتمع الناس حوله ، وسياط واقف يتعجب مما فعل ، ثم أفاق فقام إليه . فقال له سياط : مالك يا مشغوم ! أي شيء تريد ؟ قال : غشي بالله عليك ياسيدي :

ودّع أمانة حان منك رحيل \* لك الوداع لمن تحب قليل  
مثل القضيبي تمايلت أعطائه \* فالترج يجذب منه فيميل<sup>(١)</sup>  
إن كنت شأنكم الدلال فإنه \* حسن دلالك يا أئيم جميل  
فغناه ، فظلم وجهه حتى نرج اللم من أفه ووقع صريحا . ومضى سياط وحمل  
الناس أباريخانة إلى الشمس . فلما أفاق قيل له في ذلك فقال نحو ما تقدم . قال :  
وجهه إليه سياط بقميص وسراويل وجبة وعمامة .

وكانت وفاة سياط في أيام موسى الهادي . ودخل عليه ابن جامع وقد نزل به  
الموت فقال له : ألك حاجة ؟ قال : نعم لا تريد في غناي شيئا ولا تنقص منه ، وإنما  
هو ثمانية عشر صوتا دمه رأسا برأس . وقيل : بل كانت وفاته بقاءة ، وذلك أنه  
دعاه بعض إخوانه فأتاهم وأقام عندهم وبات ، فأصبحوا فوجئوه ميتا في منزلهم ،  
بغاموا إلى أمه وقالوا : يا هنه إنا دعونا ابنك لنكرمك ونسربه ونأنس بقربه فبات  
بقاءة ، وبها نحن بين يديك ، فأحكى ما شئت ، وناشدناك الله أن [ لا ] تعرضينا<sup>(٢)</sup>

(١) في الأصل : « مالك أيضا » . ولا معنى لكلمة « أيضا » وهي غير موجودة في الألف .

(٢) كذا في الألف . وفي الأصل :

... .. أعطائه \* والرج يجذب منها فيميل

(٣) الكلمة من الألف .



للسلطان أو تدعى علينا ما لم فعله . قالت : ما كنت لأفعل ، وقد صدقتم ، وهكذا مات أبوه بغاة ، وتوجهت معهم حملته إلى منزله ودفنته .

### ذكر أخبار الأبحر

هو عبيد الله بن القاسم بن منبه ، ويكنى أبا طالب . وقيل : اسمه محمد بن القاسم ، والأبحر لقب ظب عليه . وهو مولى لكتانة ثم لبني ليث بن بكر . وكان يلقب بالחסاحس . وكان مديناً منشؤه مكة أو مكياً منشؤه المدينة . قال عورك اللّهي : لم يكن بمكة أحد أغرّف ولا أسرى ولا أحسن هيئة من الأبحر ، كانت حُلته بمائة دينار وفرسه بمائة دينار ومركبه بمائة دينار ، وكان يقف بين المازمين ويرفع حقيرته ، فيقف الناس له فيركب بعضهم بعضاً . وروى الأصفهاني بسنده إلى اصحاق ابن إبراهيم الموصل قال :

جلس الأبحر في ليلة اليوم السابع من أيام الحج حل قريب من التّنعيم فلذا عسكر جرار [ قد أقبل <sup>(١)</sup> في آخر الليل وفيه دوابٌ تُجنّب ومنها فرس أدهم عليه سرجٌ حلته ذهب ، فاندفع يفتي :

عرّفت ديار الحى خالية قفراً \* كأن بها لما توهمتها سطرا

فلما سمعه من في القباب والحامل أمسكوا وصاح صائح : ويحك أعِد الصوت ! فقال : لا والله إلا بالفرس الأدهم بسرّجه وجامه وأربعمائة دينار ، وإذا الوليد بن يزيد صاحب العسكر . فتودى : أين منزلك ؟ ومن أنت ؟ فقال : أنا الأبحر ، ومتزى على

(١) في ترجمته في الأغاني (ج ٣ ص ٣٤٤ طبع دار الكتب المصرية) : « ضية » . وورد في بعض أصول الأغاني : « ضية » و « ضية » . (٢) الذي في الأغاني « وهو مولى لكتانة ثم لبني بكر ، ويقال : إنه مولى لبني ليث » . (٣) الزيادة من الأغاني .

وَقَالَ بَابُ الْخُرَازِمِيِّ (١) : فَقَدْ عَلِمَ عَلَيْهِ رَسُولُ الْوَلِيدِ بِذَلِكَ الْفَرَسِ وَأَرْبَعًا دِينَارًا وَتَحْتَ ثِيَابٍ وَثْقَى وَغَيْرِ ذَلِكَ ، ثُمَّ أَتَى بِهِ الْوَلِيدُ ، فَأَقَامَ وَرَاحَ مَعَ أَصْحَابِهِ عَشِيَّةَ الْتَرْتُوبَةِ وَهُوَ أَحْسَنُهُمْ هَيْئَةً ، وَخَرَجَ مَعَهُ أَوْ بَعْدَهُ إِلَى الشَّامِ .

وَحَكَى عَنْ عَمْرِو بْنِ حَفْصٍ بْنِ أُمِّ كَلَابٍ (٢) : قَالَ :

- كَانَ الْأَبْيَرُ مَوْلَانَا وَكَانَ مَكِيًّا ، وَكَانَ إِذَا قَدِمَ مِنْ مَكَّةَ نَزَلَ عَلَيْنَا . فَقَالَ لَنَا يَوْمًا : أَصْبَحْنَا غِنَاءَ ابْنِ عَائِشَةَ هَذَا ، فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهِ بِجَمْعِنَا بَيْنَهُمَا فِي بَيْتِ ابْنِ هُبَّارٍ . فَفَتَى ابْنُ عَائِشَةَ ، فَقَالَ الْأَبْيَرُ : كُلُّ مَمْلُوكٍ لَهُ حَرَانٌ غَنِيَتْ مَعَكَ إِلَّا بَنَصَفَ صَوْقٍ ، ثُمَّ أَدْخَلَ إصْبَعَهُ فِي شِدْقِهِ وَفَتَى فَسَمِعَ صَوْتَهُ مِنْ فِي السُّوقِ ، فَخَشِرَ النَّاسُ عَلَيْنَا ، فَلَمْ يَقْتَرِفَا حَتَّى تَشَامَا .

### ذكر أخبار أبي زيد الدَّلال

١٠

هو أبو زيد نَاقِدٌ مَدَنِيٌّ ، مَوْلَى عَائِشَةَ بِنْتِ سَمِيعِ بْنِ الْعَاصِ ، وَكَانَ مُخْتَنًا .

قال إصمحاق :

- لم يكن في المختارين أحسن وجهًا ولا أنظف ثوبًا ولا أطرف من الدَّلال . قالوا : ولم يكن بعد طوَيْسٍ أطرف منه ولا أكثر مَلْعًا . وكان كثير النوادر تَزَوَّرَ الحديث ، فإذا تكلم أضحك التَّكَالِي ، وكان ضاحك السن ، ولم يكن يفتي إِلَّا غِنَاءً مُضْمَقًا (١) .  
(يعني كثير العمل) .

وقال أيوب بن عَبَّاد :

شهدت أهل المدينة إذا ذكروا الدَّلالَ وأحاديثه طَوَّلُوا رِقَابَهُمْ وَغَفَرُوا بِهِ ، فَعَلِمْتُ أَنَّ ذَلِكَ لِفَضِيلَةٍ كَانَتْ عِنْدَهُ . قالوا : وكان مُبْتَلًى بِالنِّسَاءِ وَالْكُوفِ مَعْهَدًا ،

٢٠

(١) كَذَا فِي الْأَخْيَارِ ، وَفِي الْأَصْلِ : « الْجَزَائِرِ » . وَهُوَ مُصَحَّفٌ .

(٢) الْقِي فِي الْأَخْيَارِ : « عَنْ عَمْرِو بْنِ حَفْصٍ بْنِ أَبِي كَلَابٍ » .

فكان يُطَلَّب فلا يُقَدَّر عليه . وكان صَحيحَ الغناء حسنَ الحُرْم . قالوا : وإنما لُقِّب  
بالدلال لشكله وحسن ظُرفه ودلّه وحلاوة منطقه وحسن وجهه . وكان مشغوقاً  
بخالطة النساء يُكثر وصفهنّ للرجال . وكان يُشاغل كلّ من يخالسه عن الغناء  
بأحاديث النساء كراهةً منه للغناء . وكان إذا غنى أجاد ، كما حكاه ابن المَاجِشُون  
عن أبيه قال : غَنَّى الدَّلَالُ يوماً بشعر مجنون بنى طامراً ، فلقد خِفْتُ الفتنَةَ على  
نفسى . واستحضره سليمان بن عبد الملك من المدينة سرّاً وغناه وأقام عنده شهراً  
ثم صرفه إلى الججاز مكرماً .

قال الأصمعيّ :

جج هشام بن عبد الملك ؛ فلما قَدِمَ المدينة نزل رجلٌ من أشرف أهل الشام وقوادِهم  
يَحْتَبِ دَارَ الدَّلَالِ ، فكان الشاميُّ يَسْمَعُ غناءَ الدلال ويُصْنِى إليه ويصمّد فوق  
السطح ليقرب من الصوت ، ثم بعث إلى الدلال : إتما أن تزورنا وإتما أن تزورك .  
فبعث إليه الدلال بل تزورنا . فبعث الشاميُّ ما يَصْلُحُ ومضى إليه بغلامين من غلمانِه  
كأنهما دُرَّتَانِ مكنوتتان . فغناه الدلالُ ، فأستحسن الشاميُّ غناهُ فقال : زدني ؛  
قال : أو ما يكفينك ما سمعت ! قال : لا والله ما يكفيني . قال : فإني لى حاجة .  
قال : وما هي ؟ قال : تبيعي أحدَ هذين الغلامين أو كليهما ، فقال : اختر  
أيّهما شئت ، فأختار أحدهما ، فقال له الشاميُّ : هو لك ؛ فقبله منه الدلالُ ؛ ثم غناه  
وغنى :

دَدَحْنِي دَوَاعٍ مِنْ أَرِيَّا فَهَيَّجْتُ \* هَوَى كَانَ قَدَمًا مِنْ فَوَادِ طَرُوبِ  
لعل زماناً قد مضى أن يَصُودَ لى \* فتَفَيَّرَ أَرَوَى عند ذاك ذنوبى  
سَبَّحْنِي أَرِيَّا يَوْمَ تَقِفُ مُحْمِرٌ \* بوجهٍ جَمِيلٍ للقلوب سَلُوبِ

(١) كذا في الأغاني (ج ٤ ص ٢٨٧ طبع دار الكتب المصرية) . وفي الأصل : « لعل زماناً للرضا » .

- فقال له الشامي: أحسنت . ثم قال له : أيها الرجل الجميل، إن لي [إليك] حاجة<sup>(١)</sup>،  
قال الدلال : وما هي ؟ قال : أريد وصيفة وليدت في سحر صالح ونشأت في خير،  
جميلة الوجه مجدولة وضيقة جعدة في بياض مشربة حمرة حسنة الهامة سبطة أميلة  
الخد عذبة اللسان لها شكل<sup>(١)</sup> [ودل] تملأ العين والنفس . فقال له الدلال: قد أصبحت  
لك، فإني عندك إن دلتك عليها؟ قال: غلامى هذا . قال: إذا رأيته وقبلتها فالغلام  
لى ؟ قال نعم . قال : فأتى امرأة كنى عن اسمها، فقال لها : أصبحت فداك!  
نزل بقربي رجل من قواد هشام، له ظرف وخطاء، وباعنى زائرا فأكرمته، ورأيت  
معه غلامين كأنهما الشمس الطالعة الميرة والكواكب الزاهرة ما وقعت عيني على  
مثلهما ولا يطول لسانى بوصفهما، فوهب لى أحدهما والآخر عنده، وإن لم يصغر  
إلى فتضى ذاهبة . قالت : وتريد ما ذا ؟ قال : طلب منى وصيفة على صفة  
لا أعلمها إلا فى أبتك، فهل لك أن تريه إياها ؟ قالت : وكيف لك بأن يرفع  
الغلام إليك إذا رآها ؟ قال : إني قد شرطت عليه ذلك عند النظر لا عند البيع .  
قالت : شاكك، لا يعلم هذا أحد . فعضى الدلال وأتى بالشامي . فلما صار إلى المرأة  
وضيح له كرمى وجلس . فقالت له المرأة : أين العرب أنت ؟ قال نعم . قالت :  
من أيهم ؟ قال : من نزعامة . قالت : مرحبا بك وأهلا ! أى شئ طلبت ؟  
فوصف لها الصفة . قالت : قد أصبحت وأمرت إلى جارية لها فدخلت فمكت  
هنية ثم خرجت فنظرت فقالت : أخرجى ، فخرجت وصيفة ما رأى [الرايون]<sup>(١)</sup>  
مثلها . فقالت لها : أقبل فأقبلت، ثم قالت : أذبرى فأدبرت تملأ العين والنفس،  
فما بقى منها شئ إلا وضع يده عليه . فقالت له : أحب أن تؤزرها لك؟ قال نعم .  
قالت : أترى ؟ فصمها الإزار وظهرت محاسنها الخفية ؛ فضرب بيده إلى عجزتها

(١). الزيادة من الألفاظ .

- وصديرها . ثم قالت : أتحب أن نجزدها لك ؟ قال نعم . قالت : [أى حبيبتى]<sup>(١)</sup>  
 وشحى ؛ فألقت الإزار فإذا أحسن خلق الله كأنها سبيكة . فقالت : يا أخا العرب ،  
 كيف رأيت ؟ قال : منية المتعنى . قال : يكمل قولين ؟ قالت : ليس يوم النظر  
 يوم البيع ، ولكن تعود غداً حتى نباعك فلا تتصرف إلا عن رضا ، فأصرف من  
 عندها . فقال له الدلال : أَرْضَيْتَ ؟ قال : نعم ، ما كنتُ أحسب أن مثل هذه  
 فى الدنيا ، وإن الصفة لتقصّر دونها ، ثم دفع إليه الغلام الثانى . فلما كان من الغد  
 قال له الشامى : آمض بنا . فضياً حتى قرط الباب ، فأذن لها فدخلت فسلماً ، ففرجت  
 المرأة بهما ثم قالت للشامى : أعطنا ما تبذل ، فقال : ما لها عندى ممن إلا وهى  
 أكثر منه ، فقولى أنت يا أمة الله . قالت : بل قل أنت ، فلما لم توطئك أعقابنا ونحن  
 نريد خلافاً وأنت لما رضا . قال : ثلاثة آلاف [دينار]<sup>(١)</sup> . قالت : والله لقبله منها  
 خير من ثلاثة آلاف [دينار]<sup>(١)</sup> . قال : أربعة آلاف [دينار]<sup>(١)</sup> . قالت : غفر الله لك  
 أعطنا أيها الرجل . قال : والله مامعى غيرها — ولو كان لزدنيك — إلا رقيق ودواب .  
 قالت : ما أراك إلا صادقاً ، أتدري من هذه ؟ قال : مخبرينى . قالت : هذه  
 أبنتى فلانة بنت فلان وأنا فلانة بنت فلان ، ثم راشداً . فقال للدلال : خذنى .  
 قال : أو ما ترضى أن ترى ما رأيت من مثلها وتهب مائة غلام بمنلى غلامك ؟ قال :

أما هذا فنع . ونحيا من عندها .

والدلال أحد من خصى من الخثين بالمدينة لما أمر سليمان بن عبد الملك طامله  
 على المدينة أبا بكر بن عمرو بن حزم يتحصيم .

وقد اختلف فى سبب ذلك ، فكان ما حكاه إسحاق بن مصعب الزبيرى  
 قال : أنا أعلم خلق الله بالسبب الذى خصى من أجله الدلال ، وذلك أنه كان القادم

- يَقْدِمُ الْمَدِينَةَ فَيَسْأَلُ عَنْ أَمْرَةٍ يَتَرَوَّجُهَا فَيُسَلِّلُ عَلَى الدَّلَالِ ؛ فَإِذَا جَاءَهُ قَالَ لَهُ :
- صِفْ لِي مَا تَعْرِيفُ مِنَ النِّسَاءِ لِلتَّرَوُّجِ ؛ فَلَا يَزَالُ يَصِفُ لَهُ وَاحِدَةً وَاحِدَةً حَتَّى
- يَلْتَمِىَ إِلَى مَا يُوَافِقُ هَوَاهُ ؛ فَيَقُولُ : كَيْفَ لِي بِهَذِهِ ؟ فَيَقُولُ : مَهْرُهَا كَذَا وَكَذَا . فَإِذَا
- رَضِيَ بِذَلِكَ أَنَّهَا الدَّلَالُ فَقَالَ لَهَا : إِنِّي قَدْ أَصَبْتُ لَكَ رَجُلًا مِنْ جَالِهِ وَقِصَّتِهِ وَهَيْئَتِهِ
- وَيَسَارِهِ ، وَلَا عَهْدَ لَهُ بِالنِّسَاءِ وَإِنَّمَا قَدِمَ بَلَدَنَا آتِفًا ؛ فَلَا يَزَالُ كَذَلِكَ يَسْأَلُهَا وَيُخَوِّفُهَا
- حَتَّى تُطِيعَهُ ، فَيَأْتِي الرَّجُلَ فَيُعْلِمُهُ أَنَّهُ قَدْ أَحْكَمَ لَهُ مَرَادَهُ . فَإِذَا تَرَوَّجَهَا قَالَ لَهَا : قَدْ
- أَنْ هَذَا الرَّجُلُ أَنْ يَدْخُلَ وَاللَّيْلَةَ مَوْعِدُهُ وَأَنْتِ مُغْتَلِبَةٌ شَيْقَةً ، فَسَاعَةَ يُجَامِعُكَ قَدْ دَفَقَتْ
- عَلَيْهِ مِثْلَ سَيْلِ الْعَرِيمِ فَيَقْدَرُكَ وَلَا يُعَاوِدُكَ وَتَكُونِينَ مِنْ أَشَامِ النِّسَاءِ عَلَى نَفْسِكَ .
- فَتَقُولُ لَهُ : كَيْفَ أَصْنَعُ ؟ فَيَقُولُ : أَنْتِ أَعْلَمُ بِدَوَاءِ قَرْجِكَ وَدَائِهِ وَمَا يُسْكِنُ عُذَّتِكَ .
- فَتَقُولُ لَهُ : مَا أَصْرَفَ لَهُ دَوَاءً أَشْفَى مِنَ الْجَمَاعِ . فَيَقُولُ لَهَا : إِنْ لَمْ تَخْفَى النِّفْضِيَّةَ
- فَأَبْعَثِي إِلَى بَعْضِ الزَّوْجِ حَتَّى يَقْضِيَ بَعْضَ وَطَرِكَ وَيُخَفِّفَ عَادِيَةَ فَرْجِكَ . فَتَقُولُ لَهُ :
- وَيْلَكَ ! وَلَا ذَا بَمَزَّةٍ فَلَا تَزَالُ الْمَحَاوَرَةَ بَيْنَهُمَا حَتَّى يَقُولَ لَهَا : فَكَمَا حُكِمَ عَلَيَّ أَقُومُ فَانْخَفُفْكِ
- وَأَنَا إِلَى التَّخْفِيفِ أَحْوج . فَتَفْرَحُ الْمَرْأَةُ فَيُجَامِعُهَا حَتَّى يَقْضِيَ وَطَرَهُ مِنْهَا ؛ فَيَقُولُ لَهَا :
- أَمَا أَنْتِ لَقَدْ أَسْرَحْتِ وَأَمْنَتِ الْعَيْبَ وَبَقِيتُ أَنَا . ثُمَّ يَأْتِي الزَّوْجَ فَيَقُولُ لَهُ : قَدْ
- وَعَدْتُنَا أَنْ تَدْخُلَ بِنَا اللَّيْلَةَ وَأَنْتَ رَجُلٌ غَرِيبٌ حَرَبٌ ، وَنِسَاءُ الْمَدِينَةِ يُحِبُّونَ الْمَطَاوِلَةَ
- فِي الْجَمَاعِ ، وَكَأَنِّي بِكَ تُجَامِعُهَا فَتُفْرِغُ وَتَقُومُ فُتَبْغِضُكَ وَتَمُوتُكَ وَلَا تَعَاوِدُكَ وَلَوْ أَعْطَيْتُنَا
- الدُّنْيَا ، وَلَا تَنْظُرُ فِي وَجْهِكَ بَعْدَهَا . فَلَا يَزَالُ فِي مِثْلِ هَذَا مِنَ الْقَوْلِ حَتَّى يَعْلَمَ أَنَّهُ قَدْ
- هَاجَتْ شَهْوَتُهُ ، فَيَقُولُ : كَيْفَ أَتَعْمَلُ ؟ قَالَ : تَطْلُبُ زَيْجِيَّةَ فَتُجَامِعُهَا مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلَاثًا
- حَتَّى تَسْكُنَ عُذَّتَكَ ، فَإِذَا دَخَلْتَ عَلَيْهَا لَمْ يَخْرُ أَمْرُكَ إِلَّا جِيلًا . فَيَقُولُ لَهُ الرَّجُلُ :
- أَعُوذُ بِاللَّهِ ! لَا أَفْعَلُ . فَإِذَا أَكْثَرَ مَحَاوَرَتَهُ قَالَ لَهُ : فَكَمَا حُكِمَ عَلَيَّ ثُمَّ فَأَقْفَلْ بِي حَتَّى تَسْكُنَ

غلبتكَ وشبَّكَ، فيفعل ذلك به مرّة أو مرتين؛ فيقول له : قد استوى أمرُك الآن وطابت نفسك، وتدخل على زوجتك فتجامعها جماعة تملؤها سرورا ولذة، فيقربُ المرأة قبل زوجها، ويقربُه الرجل قبل زوجته. فكان ذلك دأبه، إلى أن بلغ خبره سليمان ابن عبد الملك وكان غيورا شديد الغيرة، فكتب بأن يُحصَى هو وسائر المختفين بالمدينة ومكة، وقال : إن هؤلاء يدخلون على نساء قريش ويُفسدونهن؛ فورد الكتابُ على ابن حزم فخصاهم .

### ذكر أخبار عطرود

هو أبو هارون عطرود، مولى الأنصار، (٢) ثم مولى [ بن عمرو بن عوف، وقيل : إنه مولى مُزينة . مدني كان يتزل ثُباء . وكان جميل الوجه حسن الفناء طيب الصوت جيد الصنعة حسن الزى والمروعة فقيها قارئا للقرآن . وقيل : إنه كان مُعدّل الشهادة بالمدينة . وأدرك دولة بني أمية وبقي إلى أول أيام الرشيد . وكان يُنقّى مرتجلا .

وحكى أبو الفرج الأصفهاني بسند رفعه قال :

لما استُخلف الوليد بن يزيد كتب إلى عامله بالمدينة فأمره بإشخاص عطرود المغنى إليه، ففعل . قال عطرود : فدخلتُ على الوليد وهو جالس في قصره على شفير بركة مُرصّصة مملوءة بحمر ليست بالكبيرة ولكنها يدور الرجل فيها [سباحة] . قال : فوائده ما تركني أسلم حتى قال : أعطود؟ قلت : نعم يا أمير المؤمنين . قال : مالزتُ إليك مشتاقا يا أبا هارون، غشني :

(١) في الأصل : « وينشدون » والصحيح عن الأغانى .

(٢) كذا في الأغانى ( ج ٣ ص ٣٠٣ طبع دار الكتب المصرية ) وسائر قريبا . وفي الأصل هنا :

« أبو مروان » وهو تحريف . (٣) القيادة عن الأغانى .

حَى الْحَوُولِ بِجَانِبِ الْعَزْلِ \* إِذْ لَا يَشَاكِلُ شَكْلَهَا شَكْلُ  
اللَّهِ أَنْ يَجْعَلَ مَا طَلَبْتُ بِهِ \* وَالرَّخِيءُ حَقِيقَةُ الرَّحِيلِ  
إِنِّي بِحَبْلِكَ وَاصِلٌ حَبِيلٌ \* وَرِيْشُ نَبْلِكَ رَأْسُ نَبْلِي  
وَشِمَائِلِي مَا قَدْ عَلِمْتُ وَمَا \* نَبَحْتُ كَلَامِيكَ طَارِقًا مِثْلِي

- قال : فَنَبَيْتُهُ إِيَّاهُ ، فَوَاللَّهِ مَا أَعَمَّتُهُ حَتَّى شَقَّ حُلَّةَ وَشَى كَانَتْ عَلَيْهِ لَا أَدْرِي  
كَمْ قِيمَتُهَا ، فَتَجَرَّدَ مِنْهَا كَمَا وَلَدَتْهُ أُمُّهُ ، وَأَلْقَى نَفْسَهُ فِي الْبَرَكَةِ فَتَهَلَّ مِنْهَا حَتَّى تَبَيَّنَتْ  
أَنَّهُ قَدْ نَقَصَتْ قِصَصَانَا بَيْنَا ، وَأَنْعَرِجَ مِنْهَا وَهُوَ كَالْمَيْتِ سَكْرًا ، فَأُصْجِعُ وَغُطِّي ، فَأَخَذْتُ  
الْحُلَّةَ وَقُلْتُ وَأَنْصَرَفْتُ إِلَى مَتَرٍ مُتَعَجِّبًا مِنْ فِعْلِهِ . فَلَمَّا كَانَ فِي غَدٍ ، جَاءَنِي رَسُولُهُ  
فِي مِثْلِ الْوَقْتِ فَأَحْضَرَنِي . فَلَمَّا دَخَلْتُ عَلَيْهِ قَالَ : يَا عَطْرُدُ ! قُلْتُ : لَيْتَكَ  
يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ! قَالَ : غَنِي :

- أَيَذْهَبُ عَمْرِي هَكَذَا لَمْ أَتْلُ بِهِ \* مَجَالَسُ كُنْشِي قَرَحَ قَلْبِي مِنَ الْوَجْدِ  
وَقَالُوا تَدَاوِلَاتُ فِي الطَّبِّ رَاحَةً \* فَعَلَلْتُ نَفْسِي بِالْذَّوَاءِ فَلَمْ يُجِدْ  
فَنَبَيْتُهُ إِيَّاهُ ، فَشَقَّ حُلَّةَ وَشَى كَانَتْ تَلْمَعُ عَلَيْهِ بِالذَّهَبِ احْتَقَرْتُ وَاللَّهِ الْإَوَّلَى عِنْدَهَا ،  
ثُمَّ أَلْقَى نَفْسَهُ فِي الْبَرَكَةِ فَتَهَلَّ مِنْهَا حَتَّى تَبَيَّنَتْ قِصَصَانَا وَأَنْعَرِجَ كَالْمَيْتِ سَكْرًا ، فَأَلْقَى  
وُغُطِّي وَنَامَ ، وَأَخَذْتُ الْحُلَّةَ وَأَنْصَرَفْتُ . فَلَمَّا كَانَ الْيَوْمَ الثَّلَاثَ ، جَاءَنِي رَسُولُهُ  
فَدَخَلْتُ إِلَيْهِ وَهُوَ فِي بَهْرٍ قَدْ أَتَيْتُ سَتْرَهُ ، فَكَلَّمَنِي مِنْ وَرَاءِ السُّتُورِ وَقَالَ :  
يَا عَطْرُدُ ! قُلْتُ : لَيْتَكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ! قَالَ : كَأَنِّي بِكَ الْآنَ قَدْ أَتَيْتُ إِلَى الْمَدِينَةِ  
فَقَعَمْتُ فِي مَجَالِسِهَا وَقَعَدْتُ وَقُلْتُ : دَعَانِي أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ فَدَخَلْتُ عَلَيْهِ فَأَقْرَحَ عَلَيَّ  
فَنَبَيْتُهُ فَأَطْرَبْتُهُ فَشَقَّ نَيْبَآهُ وَأَخَذْتُ سَلْبَهُ وَفَعَلَ وَفَعَلَ ! وَوَاللَّهِ يَا بَنَ الزَّانِيَةِ إِن  
تَحَزَّكَتُ شَقَّتَكَ بَشِيءٌ مِمَّا جَرَى لِأَخِيرِي حَقِّكَ . يَا غَلَامُ أَطْعِمِي أَلْفَ دِينَارٍ خُذْهَا

(١) هُوَا بَيْنَ الْبَصَرَةِ وَالْمِجَافَةِ .



وانصرف إلى المدينة . فقلتُ : إن رأى أمير المؤمنين أن يأذن لي في تقبيل يده  
ويزودني نظرة منه وأغنيه صوباً ! فقال : لا حاجة بي ولا بك إلى ذلك ، فأصرف .  
قال عطرد : فخرجتُ من عنده وما علم الله أني ذكرتُ شيئاً مما جرى حتى مضت  
من دولة بني هاشم مئة . ودخل عطرد على المهدي وغناه . قيل : ودخل على  
الرشد وغناه . والله سبحانه وتعالى أعلم بالصواب .

### ذكر أخبار عمر الواديّ

هو عمر بن داود بن زاذان . وجده زاذان مولى عمرو بن عثمان بن عفان ،  
وأخذ الفناء عن حكم ، وقيل : بل أخذ حكم عنه . وهو من أهل وادي القرى .  
قديم الحرم وأخذ من غناه أهله لحقيق وصنع فأجاد . وكان طبيباً الصوت شيئاً  
مطرباً . وهو أقبل من غنى من أهل وادي القرى ، وأتصل بالوليد بن يزيد في أيام  
إمارته فتقدم عنده جدّاً ، وكان يسميه « جامع لذاتي ونحبي طربي » . وقُتل الوليدُ  
وهو يفيّنه ، وكان آثر الناس به عهداً . قال : وكان يجتمع مع معبد ومالك بن  
أبي السّمج وغيرهما من المُفَتّين عند الوليد بن يزيد ، فلا يمنعه حضورهم من تقديمه  
والإصغاء إليه والاختصاص به . وفي عمر هذا يقول الوليد بن يزيد :

إنما فُتِّحتُ في عُمرٍ \* حين قال القولُ واختلجا

إنه لُستَئير به \* فمرقد طمس السُّرجا

ويبقى الشمر ينظمه \* سيّد القوم الذي قلبا

أكل الواديّ صمته \* في حجاب الشعر فاندجا

أراد الوليد بن يزيد بقوله : « سيّد القوم » نفسه .

## ذكر أخبار حكم الوادى

- هو أبو يحيى الحكم بن ميمون، وقيل : الحكم بن يحيى بن ميمون . مولى الوليد بن عبد الملك، كان أبوه حلاقاً يتخلى رأس الوليد، فأشتراه فأعتقه . وكان حكمٌ طويلاً أحولاً، يُكرى الجمال ينقل [عليها] الزيت من الشام إلى المدينة . وقيل : كان أصله من الفرس . وكان واحدٌ عصره في الحِذْق، وكان يفتنى بالثف ويفنى مرتجلاً . وعمرهما طويلاً، غنى الوليد بن عبد الملك، وغنى الرشيد، ومات في الشطر من خلافته .
- وأخذ الفناء عن عمر الوادى، وقد قيل : إن عمر أخذ عنه . قال حماد بن إسحاق قال لى أبى : أربعة بلغت في أربعة أجناس من الفناء مبلغاً قصر عنه غيرهم : «معبد» في الثقل، و«ابن مريج» في الرمل، و«حكم» في الحرج، و«إبراهيم» في الماخورى .
- قال أبو الفرج الأصبهاني : وزار حكم الوادى الرشيد، فبرّه ووصله بثلاثمائة ألف درهم، وغيره فيمن يكتب له بها عليه؛ فقال : أكتب لى بها على إبراهيم بن المهدي . — وكان إبراهيم إذ ذاك طاملاً له بالشام — فقدم عليه حكم بكتاب الرشيد؛ فأعطاه ما كتب له به، ووصله بمثل ذلك، إلا أنه قصبه ألف درهم من الثلاثمائة ألف، وقال له : لا أصلك بمثل ما وصلك أمير المؤمنين . قال إبراهيم بن المهدي : وأقام عندي ثلاثين يوماً أخذت عنه فيها ثلاثمائة صوت، كل صوت أحب إلى من الثلاثمائة ألف التي وهبتها له . وقيل : إنه لم يشتهر بالفناء حتى صار إلى بنى العباس، فأقطع إلى محمد بن أبى العباس، وذلك في خلافة المنصور، فأعجب به واختاره على المغنين وأعجبته أهراجه . وكان يقال : إنه أهرجُ الناس . ويقال : إنه غنى الأهرج في آخر عمره؛ فلامه ابنه على ذلك وقال : أبعد الكبر ففتى غناء المغنين ! فقال له : اسكت

(١) كما في الأغاني (ج ٦ ص ٢٨٠ طبع دار الكتب المصرية) . وفي الأصلين : «غلاما» .

(٢) الزيادة من الأغاني .

فإنك جاهل، غَنَيْتُ [التفيل]<sup>(١)</sup> ستين سنة فلم أنل إلا القوت، وغَنَيْتُ الأهزاج منذ ستين فكسبتك ما لم تر مثله قط . والله أعلم .

### ذكر أخبار ابن جامع

هو أبو القاسم إسماعيل بن جامع بن عبد الله بن المطلب بن أبي وداعة  
 ابن صبيحة بن سهم بن هُصَيْن بن كعب بن لؤي . قالوا : وكان ابن جامع من  
 أحفاد خلق الله لكاتب الله تعالى ، كان يخرج من منزله مع الفجر يوم الجمعة فيصلي  
 الصبح ثم يصف قدميه حتى تطلع الشمس ، فلا يصلي الناس الجمعة حتى يحتم القرآن  
 ثم ينصرف إلى منزله . وكان حسن السمات ، كثير الصلاة . وكان يتم بهامة سوداء  
 على قلنسوة ويلبس لباس الفقهاء ويركب حماراً مرديساً في زى أهل الحجاز . وروى  
 عنه أنه قال : لولا أن القهار وحب الكلاب قد شغلاني لتركُت المغنين لا يأكلون  
 الخبز . قال ابن جامع : أخذت من الرشيد بيتين غنيتهما إياهما عشرة آلاف دينار .  
 قالوا : وكان إبراهيم بن المهدي يفضل ابن جامع فلا يقم عليه أحداً . قال : وكان  
 ابن جامع منقطعاً إلى موسى الهادي في أيام أبيه ، فضربه المهدي وطرده . فلما مات  
 المهدي بعث الفضل بن الربيع إلى مكة فاحضر ابن جامع في قبة ولم يعلم به أحداً .  
 فذكره موسى الهادي ذات ليلة فقال جلسائه : أما فيكم أحد يرسل إلى ابن جامع  
 وقد عرقتم موقعه مني ؟ فقال الفضل بن الربيع : هو والله عندي يأمر المؤمنين  
 وأحضره إليه . فوصل الفضل في تلك الليلة بعشرة آلاف دينار وولاه حجابته .

(١) التكلة من الأغانى .

(٢) في الأصول : «مرسا» والتصويب عن الأغانى (ج ٦ ص ٢٩١ طبع دار الكتب المصرية) .

والمرسى : نسبة إلى مرسى وهي أدنى بلاد النوبة التي تلى أرض أسوان ، وهي معروفة بمجودة الخبز .

وَحُكِيَ أَنَّهُ دَخَلَ عَلَى الْمَادِي فَغَنَاهُ فَمِنْ يَسْجِدِهِ فَقَالَ لَهُ الْفَضْلُ: تَرَكْتَ الْخَلِيفَةَ  
وَعَتَيْتَ الثَّقِيلَ . قَالَ : فَأَدْخُلْنِي عَلَيْهِ أُخْرَى فَأَدْخَلَهُ ؛ فَغَنَاهُ الْخَلِيفَةَ ، فَأَعْطَاهُ ثَلَاثِينَ  
أَلْفَ دِينَارٍ . قَالَ أَحْمَدُ بْنُ يَحْيَى الْمَكِّي : كَانَ أَبُو جَامِعٍ أَحْسَنَ مَا يَكُونُ غَنَاءً إِذَا  
حَزَنَ . وَأَحَبُّ الرِّشِيدِ أَنْ يَسْمَعَ ذَلِكَ ، فَقَالَ لِلْفَضْلِ بْنِ الرَّبِيعِ : أَبْعَثْ بِخَرِيطةٍ  
فِيهَا نَتِيُّ أُمِّ أَبِي جَامِعٍ - وَكَانَ بَرًّا بِأُمِّهِ - فَفَعَلَ . فَقَالَ الرِّشِيدُ : يَا بَنَ جَامِعٍ ،  
فِي هَذِهِ الْخَرِيطةِ نَتِيُّ أُمِّكَ ؛ فَأَتَدَفِّعُ أَبْنَ جَامِعٍ بِنَتِيِّكَ الْحَرْقَةَ وَالْحَزْنَ الَّذِي  
فِي قَلْبِكَ :

(١) كَمْ بِالْمَرْوَبِ وَأَرْضُ السُّنْدِ مَنْ قَدَّمَ \* وَمِنْ جَاهِجٍ صَرَخَى مَا بِنَهَا قُبُرُوا  
بُقُنْدَهَارَ وَمِنْ تُكْتَبُ مَيْتُهُ \* بُقُنْدَهَارَ يُرِيحُ دُونَهُ الْخَبْرُ  
قَالَ : فَوَلَّاهُ مَا مَلَكَ أَقْسَمًا ، وَرَأَيْتُ الْعِلْمَانَ يَضْرِبُونَ بِرُؤُوسِهِمُ الْحِطَّانَ  
وَالْأَسَاطِلِينَ ، وَأَحْمَرُ لَهُ الرِّشِيدُ بِعَشْرَةِ آلَافِ دِينَارٍ .

يُرْوَى أَبُو الْقَرَجِ بِسُنْدِهِ إِلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ حُلَيْ بْنِ عَيْمَى بْنِ مَاهَانَ قَالَ : سَمِعْتُ  
يَزِيدَ يَحْكُمُ عَنْ أُمِّ جَعْفَرٍ أَنَّهُ بَلَغَهَا أَنَّ الرِّشِيدَ جَالِسٌ وَحْدَهُ وَلَيْسَ مَعَهُ أَحَدٌ مِنْ  
التَّنَدِمَاءِ وَلَا الْمَسَامِرِينَ ، فَأَرْسَلَتْ إِلَيْهِ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، إِنِّي لَمْ أَذْكَ حَنْدَ ثَلَاثَ  
وَهَذَا الْيَوْمُ الرَّابِعَ . فَأَرْسَلَ إِلَيْهَا : عِنْدِي أَبُو جَامِعٍ ، فَأَرْسَلَتْ إِلَيْهِ : أَنْتَ تَعْلَمُ أَنِّي  
لَا أَتَيْنَاكَ يَشْرَبُ وَلَا سَمَاعٍ وَلَا فِيرَهَا إِلَّا أَنْ تُشْرِكَنِي فِيهِ ، مَا كَانَ عَلَيْكَ أَنْ تُشْرِكَكَ  
فِي هَذَا الَّذِي أَنْتَ فِيهِ ! فَأَرْسَلَ إِلَيْهَا : إِنِّي صَائِرٌ إِلَيْكَ السَّاعَةَ . ثُمَّ قَامَ وَأَخَذَ بِيَدِ  
أَبْنِ جَامِعٍ وَقَالَ لِلْخَادِمِ : امْضُ إِلَيْهَا وَأَعْلِمْهَا أَنِّي قَدْ جِئْتُ . وَأَقْبَلَ الرِّشِيدُ ؛ فَلَمَّا نَظَرَ  
(١) فِي الْأَغَالِي : « وَارِضُ الرُّومِ » . وَوَرَدَ هَذَا الْبَيْتُ فِي مَعْجَمِ الْبُلْدَانِ لِأَيُّوْبَ عِنْدَ الْكَلَامِ عَلَى  
« قُنْدَهَار » هَكَذَا :

كَمْ بِالْمَرْوَبِ مَرْوَضُ الْخَنْدِ مِنْ عَهْدِ \* وَبِزِيْرِ سَرَايِلَ قَتْلَ لَيْتِهِمْ قَبْرًا  
(٢) جَاءَ فِي مَعْجَمِ الْبُلْدَانِ : أَنَّهَا مَدِينَةٌ مِنْ بِلَادِ السُّنْدِ أَرْبَعُونَ مَشْجُورَةً فِي الْقَنْوَجِ .

إلى الخدم والوصائف قد استقبلوه علم أنها قد قامت تستقبله؛ فوجه إليها : إن  
معى ابن جامع، فعدلت إلى بعض المقاصير . وجاء الرشيد وصير ابن جامع في بعض  
المواضع التي يُسمع منه فيها، ثم أمر ابن جامع فأنذع يفتى :

ما رعدت رعدة ولا برقت \* لكنها أنشئت لنا خلقه<sup>(١)</sup>  
الماء يجري ولا نظام له \* لو يجد الماء عرقاً تحرقه<sup>(٢)</sup>  
يتنا وباتت على تمارقها \* حتى بدا الصبح حينها أرقه  
أن قيل إن الرحيل بعد غد \* والدنار بعد الجميع مفترقه

فقالت أم جعفر للرشيد : ما أحسن ما أشتيت وإفقه يا أمير المؤمنين ! ثم قالت  
لمسلم خادمها : اذفع إلى ابن جامع بكل بيت مائة ألف درهم . فقال الرشيد :  
قلبتنا يابنة أبي الفضل وسبقيتنا إلى بر ضيفنا وجلسنا . فلما خرج حمل الرشيد إليها  
مكان كل درهم ديناراً .

### ذكر أخبار عمرو بن أبي الككات<sup>(٣)</sup>

(١٢)

قال أبو الفرج الأصفهاني : هو أبو عثمان، وقيل : أبو معاذ عمرو بن  
أبي الككات، مولى بني بجم . وهو مكّي متقن حسن الصوت، من طبقة ابن جامع  
وأصحابه . وفيه يقول الشاعر :

أحسن الناس فأعلموه غناء \* رجل من بني أبي الككات

(١) يقال : نشأت لهم صحابة خلقه أي فيها أثر المهر .

(٢) في بعض أصول الأغاني : « حل نظام له » .

(٣) في الأصول : « الككات » بالياء الموحدة بدل النون وهكذا ورد في هذا الفصل كله . والمثبت هنا

هو ما ورد في الأغاني (ج ١٨ ص ١٢٦ طبع بولاق وما بعدها إلى آخر الترجمة) .

- قال محمد بن عبد الله بن قزوة : قلت لإسماعيل بن جامع يوماً : هل غلبك أحدٌ من المغنين قط ؟ قال : نعم ، كنت ليلةً ببغداد إذ جاءني رسولُ أمير المؤمنين هارون الرشيد فأمرني بالركوب ، فركبتُ حتى صرْتُ إلى الدار ، فإذا أنا بالفضل بن الربيع ومعه زُلزُلُ العود وبرصوما ، فسأمت وجلست يسيراً . فطلع خادمٌ فقال للفضل : هل جاء ؟ قال لا . قال : فأبعت إليه . ولم يزل المغنون يدخلون واحداً واحداً حتى ساءت أو سبعة . ثم طلع الخادم فقال : هل جاء ؟ فقال لا ؛ فقال : قم فأبعت في طلبه ؛ فقام فغاب غير طويلٍ فإذا هو قد جاء بعمرو بن أبي الككات . فسلم وجلس إلى جنبتي ، فقال لي : مَنْ هؤلاء ؟ قلتُ : مُغَنِّون ، هذا « زُلزُلُ » وهذا « برصوما » . فقال : لأغنينك غناءً يحرِّق هذا السقف ويحجبه الحيطان . ثم طلع النخعي فدعا بكراسي ، وخرج الجوارى فلما جلسن قال الخادم : شُدوا فشدوا عيدياتهم ؛ ثم قال : ١٠ يغني ابنُ جامع ، فغنت سبعة أو ثمانية أصوات ؛ قال : آسكت ، ولغني إبراهيم الموصل ؛ فغني مثل ذلك أو دونه ثم سكّت ، وغني القوم كلهم واحداً بعد واحد حتى قرعوا . ثم قال لابن أبي الككات : غنّ ؛ فقال لزُلزُل : شُدْ طبقتك فشُدْ ؛ ثم قال له : شُدْ فشُدْ ، ثم أخذ العود من يده بهنسه حتى وقف على الموضع الذي يريده ، ثم قال : على هذا . وأبتدأ الصوت الذي أوَّلُه « ألا لا » ؛ فوالله لقد خُيِّلَ لي أن الحيطان تجاوبه ؛ ثم رجَّع النغمة فيه ؛ فطلع النخعي فقال : آسكت لا تُنمِ الصوت فسكت . ثم قال : يجلس عمرو بن أبي الككات وينصرف سائرُ المغنين ؛ فقمنا بأسوأ حالٍ وأكسِفٍ بال ، ولا والله ما زال كلُّ واحدٍ منا يسأل صاحبه عن كلِّ ما يرويه من الغناء الذي أوَّلُه « ألا لا » طمعاً في أن يعرفه وأن يوافق غناءه فما حَرَفَه منا أحدٌ . وبات عمرو عند الرشيد ليلته وأنصرف من عنده بجوارٍ وصِلاتٍ ٢٠ وطُوفٍ سنية .

وقال موسى بن أبي المهاجر: خرج ابن جامع وابن أبي الكيثاب حين دفع الإمام من عرفة، حتى إذا كانوا بين المأزمتين جلس عمرو على طرف الجبل ثم أندفع ففنى، فركب الناس بعضهم بعضاً حتى صاحوا به واستغاثوا: يا هذا، الله الله! أسكت عنا يجهز الناس، فضبط ابن جامع يده على فيه حتى مضى الناس إلى مزدلفة.

قال علي بن الجهم: حدثني من أثنى به قال: وافقت ابن أبي الكيثاب على جسر بغداد أيام الرشيد فحدثته بحديث اتصل بي عن ابن عائشة أنه وقف في الموسم في أيام هشام، فتر به بعض أصحابه فقال: ما تصنع؟ فقال: إني لأعرف رجلاً لو تكلم لخبس الناس فلم يذهب منهم أحد ولم يبق. فقلت له: من هذا الرجل؟ قال: أنا، ثم أندفع ففنى فخبس الناس، فأضطربت المحامل ومدت الإبل أعناقها. فقال ابن أبي الكيثاب وكان متعجباً بنفسه: أنا أفعل كما فعل وقد رقي على القلوب أكثر من قدرته. ثم أندفع ففنى الصوت الذي غنى فيه ابن عائشة، وهو:

جرت سُمّاً فقلت لما أجزى • نوى مشمولاً فسق اللقاء  
بنفسى من تذكره سقام • أحالجه ومطلبه عناء

قال: ففناه، وكنا إذ ذاك على جسر بغداد، وكان على دجلة ثلاثة جسور، فأنقطعت الطرقات وأمتلأت الجسور بالناس فأزدحموا عليها وأضطربت حتى خيف عليها أن تنقطع لتقل من عليها من الناس. فأخذ فأتى به الرشيد، فقال له: يا مدق الله، أردت أن تقتل الناس! قال: لا والله يا أمير المؤمنين ولكنه بلغني أن ابن عائشة فعل مثل هذا في أيام هشام، فأحببت أن يكون في أيامك مثله. فأعجبه ذلك،

(١) في الأغانى (ج ١٨ ص ١٢٧ طبع بولاق): «حين دفعا من عرفة حتى إذا كانا».

(٢) كما في الأصل والأغانى. وكان مقتضى السياق أن يكون: «قال له»: إذ مر جع

الضيق بعض أصحابه الذي مر به.

وأمر له بال وأمره أن يغنى فغنى ؛ فسمع شيئا لم يسمع مثله ، فأحسبه عنده شهرا يستريده ، وكل يوم يُستأذن له في الانصراف فلا يأذن له حتى تَمَّ شهرا ، وأنصرف بأموال جسيمة .

وقال عثمان بن موسى : تكا على شراب يوما ومعنا عمرو بن أبي الكأث إذ قال لنا قبل طلوع الشمس : مَنْ يحبون أن يجهلكم ؟ قلنا : منصور الحَجَّي . فقال : أمهلوا حتى يكون الوقت الذي يتعبد فيه إلى سوق البقر . فكثنا ساعة ثم أندفع يغنى :

أحسنُ الناس فأعلموه غناءً \* رجلٌ من بني أبي الكأث

عَقَتِ الدَّارُ فلهِضابُ اللواتي \* بين نورٍ لفتق عَرَقاتٍ

فلم نلبث أن رأينا منصورا من بُعد قد أقبل يركض دابته نحونا . فلما جلس إلينا قلت له : من أين طيبت بنا ؟ قال : سمعتُ صوت عمرو وأنا في سوق البقر ، فخرجت أركض دأبتي حتى صرْتُ إليكم . قال : وبيننا وبين ذلك الموضع ثلاثة أميال .

وقال يحيى بن يعلى بن سعيد : بينا أنا ليلة في منزلي في الرَّمْضَةِ بأسفل مكة ، إذ سمعتُ صوت عمرو بن أبي الكأث كأنه معي ، فأمرتُ الغلامَ فأسرج لي دأبتي وخرجت أريده ، فلم أزل أتبع الصوتَ حتى وجدته جالسا على الكتيب العارض بين عرفة يغنى :

خُذِي العَفْوَ مِنِّي تُستدبِي مَوْدَقِي \* وَلَا تَتَطَلَّقِي فِي سَوْرِي حِينَ أَغْضَبُ

(١) في الأغانى (ج ١٨ ص ١٢٧ طبع بولاق) : \* بسوار لفتق عَرَقات \*  
ونور : جبل بمكة فيه الغار الذي اغتنى فيه النبي صلى الله عليه وسلم . وأما سوار فنرى البحرين .  
(انظر باقوت ج ١ ص ٩٣٨ وج ٣ ص ١٨٠) .



ولا تتقربني قرة الدف مرة \* فإنك لا تدري كيف المنيب  
فإني رأيت الحب في الصدر والأذى \* إذا اجتمعا لم يلبث الحب يذهب

### ذكر أخبار أبي المهنا مخارق

هو أبو المهنا مخارق بن يحيى بن ناووس الجزار مولى الرشيد . وقيل : بل ناووس لقب أبيه يحيى ؛ وإنما لقب بناووس لأنه بايع رجلا أنه يمضي إلى ناووس الكوفة فيطبخ فيه قدرا بالليل حتى تشفع ، فطرح رهنه بذلك ؛ فدفن الرجل الذي رآه رجلا فالتى نفسه في الناووس بين الموتى . فلما فرغ ناووس من الطبخ مد الرجل يده من بين الموتى وقال له : أطعمني ؛ ففرف بالمفرقة من المرق وصبها في يد الرجل فأحرقها وضربها بالمفرقة وقال له : اصبر حتى نُطعم الأحياء أولا ثم تنفرخ للموتى ؛ فلقب ناووسا لذلك .

قال : وكان مخارق لما تكة بنت شهدة ، وهي من المغنيات الحسنيات المتقدمات في الضرب . نشأ مخارق بالمدينة ؛ وقيل : كان منشؤه بالكوفة . وكان أبوه جزارا بملوكا ، وكان مخارق وهو صبي ينادى على ما يبيعه أبوه من اللحم . فلما بان طيب صوته عده مولاته طرقا من الغناء ، ثم أرادت بيعه ، فأشتراه إبراهيم الموصلي منها وأهداه للفضل بن يحيى ، فأخذته الرشيد منه ثم أعتقه . وقيل : اشتراه إبراهيم من مولاته بثلاثين ألف درهم وزادها ثلاثة آلاف درهم . قال : ولما اشتراه قال له الفضل بن يحيى : ما خبر غلام بلغني أنك أشرتته ؟ فقال : هو ما بلغك . قال : فأرنيه ، فأحضره ، ففتى بين يديه ؛ فقال له : ما أرى فيه الذي رأيت . قال : تريد أن يكون في الغناء مثل في ساعة واحدة ؟ فقال : بكم تبيعه ؟ قال : أشرتته بثلاثين ألف درهم ، وهو حر لوجه الله تعالى إن بعته إلا بثلاثة وثلاثين ألف دينار . فضضب

- الفضل وقال : إنما أردت ألا تنيعه أو تجعله سبياً لأن تأخذ مني ثلاثة وثلاثين ألف دينار . فقال إبراهيم : أنا أصنع بك حصيلة واحدة ، أبيعك نصفه بنصف هذا المال وأكون شريكك في نصفه [وأصله<sup>(١)</sup>] ، فإن أعجبك إذا علمته آمنت لي باقي المال وإلا يمتد بعد ، وكان الرجح يبنى وبينك . فقال الفضل : إنما أردت أن تأخذ مني المال الذي قدمت ذكره ، فلما لم تقدر على ذلك أردت أن تأخذ نصفه ، وغضب . فقال إبراهيم له : فإنا أهبه لك على أنه يساوي ثلاثة وثلاثين ألف دينار ، قال : قد قبلته ، قال : وقد وهبته لك . وهذا إبراهيم على الرشيد ، فقال له : يا إبراهيم ، ما غلام بلغني أنك وهبته للفضل ؟ قال : غلام يا أمير المؤمنين لم تملك العرب ولا العجم مثله ، ولا يكون مثله أبدا . قال : فوجهه إلى الفضل يأمره بإحضاره ، فوجه به إليه ، ففتى بين يديه ، فقال له : كم يساوي ؟ قال إبراهيم : يساوي خراج مصر وضباها . قال : ويحك ! أتدري ما تحول ! مبلغ هذا المال كذا وكذا ! قال : وما مقدار هذا المال في غلام لم يملك أحداً مثله قط ! قال : فالتفت الرشيد إلى مسرور الكبير وقال : قد حرفت يميني أني لا أسأل أحداً من البرامكة شيئاً . فقال مسرور : فإنا أمضى إلى الفضل فاستوجه به منه ، فإذا كان عندي فهو عندك . فقال له : شأنك . فمضى مسرور إلى الفضل واستوجه به منه ، فوجه له . وقيل : بل إبراهيم هو الذي أهداه للرشيد ، فأمره الرشيد بتعليمه فعله حتى يبلغ ما بلغه . قال : وكان غارق يقف بين يدي الرشيد مع الغلمان لا يجلس ويفتى وهو واقف . ففتى ابن جامع ذات يوم بين يدي الرشيد :
- كأن نيراناً في جنب قلميهم \* مصببات على أرساني قصار<sup>(٢)</sup>

(١) الزيادة عن الأغانى (ج ٢١ ص ٢٢٢) - (٢) في الأغانى (ج ٢١ ص ٢٢٣) :  
« نيرانها » - (٣) القصار (كالمقصّر) : المحزول للثياب .

هَوَتْ هِرْقَلَةُ لَمَّا أَنْ رَأَتْ عَجَبًا \* جَوَانِبًا تَرْتَمِي بِالنَّقْطِ وَالنَّارِ

- فطرب الرشيد واستعاده مرارًا ؛ وهو شعر مُدَحٍّ به الرشيد في فتح هِرْقَلَةَ . فأقبل الرشيد على ابن جامع دون غيره . فتمزح خارق إبراهيم بعينه وتقدمه إلى الخلاء ، فلما جاء قال له : مالي أراك مُتَكَبِّرًا ؟ فقال له : أما ترى إقبال أمير المؤمنين على ابن جامع بسبب هذا الصوت ! فقال خارق : قد والله أخذه . فقال : ويحك ! إنه الرشيد ، وابن جامع من تَسلَّم ، ولا يُمكن معارضته إلا بما يزيد حل غناؤه وإلا فهو الموت ! فقال : دعني وحلاك ذم ، وعرفته أني أُغنى به ، فإن أحسنت فأليك ينسب ، وإن أسأت فلن يعود . فقال إبراهيم للرشيد : يا أمير المؤمنين ، أراك مُتَعَجِّبًا من هذا الصوت بغير ما يستحقه وأكثر مما يستوجبه ! فقال : لقد أحسن فيه ابن جامع ما شاء . قال : أو لا ابن جامع هو ؟ قال : نعم ، كنا ذكر . قال : فإن صدك خارقاً بعينه . فنظر إلى خارق ؛ فقال : نعم يا أمير المؤمنين . قال : هاتيه ؛ فنأه وتحفظ فيه فأغنى بالمعائب ، وطرب الرشيد حتى كاد يطير ؛ ثم أقبل على ابن جامع فقال : ويلك ! ما هذا ؟ فأبتدأ يحلف بالطلاق وكلَّ مُحَرِّجَةً أنه لم يسمع ذلك الصوت قط من غيره وأنه صنعه وأنما حيلةٌ جرئت عليه . فأقبل على إبراهيم وقال : أصدقني بحياتي ؛ فصدهقه عن قصة خارق . فقال لخارق : اجلس إذا مع أصحابك ، فقد تجاوزت مرتبة من يقوم . وأعتقه ووصله بثلاثة آلاف دينار وأقطعه ضيعةً ومزلاً ، وقد روى أبو الفرج الأصفهاني عن هارون بن خارق ، قال : كان أبي إذا غنى هذا الصوت :

يَارَبِّعْ سَامِي لَقَدْ هَيَّجَتْ لِي طَرَبًا \* زِدْتَ الْفَوَادِ عَلَى عِلَالَتِهِ وَصَبَا  
رَبِّعٌ تَبْدُلُ مِنْ كَانٍ يَسْكُنُهُ \* عَفَرَ الظَّيَاءَ وَظَلَمَانًا بِهِ عَصَبَا

يبكى ويقول : أنا مولى هذا الصوت . فقلت له : كيف يا أبت ؟ فقال : غَيَّبْتُ  
 مولاي الرشيد ، فبكى وشرب عليه رطلا ثم قال : أحسنت يا غارق ! فسَلَنِي  
 حاجتك ، فقلت : تُعَيِّنُنِي يا أمير المؤمنين أَعْتَقَكَ الله من النار؟ فقال : أنت حرٌّ  
 لوجه الله تعالى ، فأَعِيدَ الصوتُ فأَعَدُّهُ ؛ فبكى وشرب رطلا ، ثم قال : أحسَلْتُ  
 يا غارق ! فسَلَنِي حاجتك ؛ فقلتُ : صَبِيحَةٌ يُقْبِحُنِي غَلَّتْهَا<sup>(١)</sup> ؛ فقال : قد أمرتُ لك  
 بها ، أَعِيدَ الصوتُ فأَعَدُّهُ ؛ فبكى وقال : سل حاجتك ؛ فقلت : يا أمير المؤمنين ،  
 تأمر لي بمنزل وفريش وخادم ؛ فقال : ذلك لك ، أَعِيدَ الصوتُ فأَعَدُّهُ ؛ فبكى وقال :  
 سل حاجتك ؛ فقبلتُ الأرضَ بين يديه وقلت : حاجتي أن يُطِيلَ اللهُ بقاءَكَ ويُدِيمَ  
 عزَّكَ ويعلمني من كل سوء فداءك ؛ فأنا مولى هذا الصوت بعد مولاي .

١٠ ويروي أيضا عن الحسين بن الضحاك عن غارق أن الرشيد قال يوما للغتين  
 وهو مصطليح : مَنْ مِنْكُمْ يَفْنَى :

\* ياربع سَلَمَى لَقَدْ هَيَّجَتْ لِي طَرِبَا \*

فَقَمْتُ وقلت : أنا يا أمير المؤمنين . فقال : هَاتِيهِ ؛ فغَنَيْتَهُ فطَرِبَ وشرب ثم قال :  
 علَّ بِهَرْمَةٍ ؛ فقلت في نفسي : ماذا يريد منه ! بغناء هَرْمَةٍ فقال له : غارق الشَّارِي-  
 الذي قَتَلَنَاهُ بنواحي المَوْصِلِ ما كانت كُنَيْتُهُ ؟ فقال : أبو المَهْطَا ؛ فقال : أَنْصِرْفِ  
 ١٥ فَأَنْصِرْفِ ؛ ثم أَقبل الرشيد على فقال : قد كُنَيْتُكَ أبا المَهْطَا لإِحْسَانِكَ ؛ وأمر لي  
 بمائة ألف درهم ، فَأَنْصِرَفْتُ بها وبالكُنْيَةِ .

قال أبو عبد الله بن حمدون : كُنَّا عند الواثق وأمه طليَّةَ ، فلما صَلَّى المغربَ دخل  
 إليها وأمر الأَنْبَرَجَ ، بَخْلَسْنَا في تَحْفَنِ الدَّارِ ، وكانت ليلةً مَقْمِرَةً وأبطأ الواثق علينا ؛  
 فَأَتَدَفَعُ غَارِقُ يَفْنَى ، فَأَجْتَمَعَ علينا الْعِلْمَانُ ، وخرج الواثقُ فصباح : يا غلام ، فلم يُجِبْهُ  
 ٢٠

(١) كذا في الأغاني (ج ٢١ ص ٢٢٤) . وفي الأصل : « عليها » وهو تصحيف .

أحد، ومثى في المجلس الى أن توسط الدار؛ فلما رأيته بأدرت إليه؛ فقال لى :  
ويك ! هل حدث فى دارى شئ؟ فقلت : لا يا سيدى . قال : فما بالى أصبح فلا  
أجاب ؟ فقلت : غارق يفتى والغلمان قد اجتمعوا اليه فليس فيهم فضل لسماع  
غير ما يسمعون . فقال : عذروا لله لم يأتى حمدون وأى عذر! ثم جلس وجلسنا  
بين يديه الى السحر . وقد روى نحو هذه الحكاية فى أمر الغلمان مع غارق عند  
المتصم . وقال محمد بن عبد الملك الزيات : قال لى الواثق : ما غنائى غارق قط  
إلا قدرت أنه من قلى خلى . وكان يقول : أتريدون أن تنظروا فضل غارق على  
جميع أصحابه ؟ أنظروا الى هؤلاء الغلمان الذين يقفون فى السباط ، فكانوا يتفقدونهم  
وهم وقوف فكلهم يسمع الفناء من المذنين جميعا وهو واقف مكانه ضابط لنفسه ،  
فاذا فتى غارق خرجوا عن صورهم فتحوكت أرجلهم ومناكبهم وبانت أسباب  
الطرب فيهم ، وأزدحموا على الحبل الذى يقفون من ورثه .

وحكى أنه خرج مرة الى باب الكاسية بمدينة السلام والناس يرحلون الى مكة ؛  
فنظر الى كثرتهم وأزدحامهم ، فقال لأصحابه الذين معه : قد جاء فى الخبر أن  
أبن سريج كان يفتى فى أيام الج والناس يمشون فيستوقفهم بفنائهم ، واستوقف لكم  
هؤلاء الناس واستلهمهم جميعا لتعلموا أنه لم يكن ليفضلنى إلا بصنعتى دون صوته ؛  
ثم انفع يؤذن ، فاستوقف أولئك الخلق واستلهمهم ، حتى جعلت الحامل يفتى  
بعضها بعضا .

قالوا : وجاء أبو العتاهية الى باب غارق وطرقه فخرج اليه ؛ فقال له : يا حسان  
هذا الإقليم ، يا حكيم أرض بابل ، أصبب فى أذنى شيئا يفرج به قلى وتنعم به نفسى —  
وكان فى جماعة منهم محمد بن سعيد اليزيدى — فقال : أنزلوا ، فزلوا ؛ ففتاهم .  
فقال محمد بن سعيد : فكنت أسعى على وجهى طربا . قال : وجعل أبو العتاهية

ينكى، ثم قال : يادوآء المجانين، لقد رَقَقْتُ حتى كِدْتُ أن أَحْسُوكَ، فلو كان الغناء طعماً لكان غنائك أدماً، ولو كان شراباً لكان ماء الحياة .

- وقال أبو الفرج عن عمر بن شبة قال : حدثني بعض آل نُوبخت قال : كان أبي وعبد الله بن أبي سهل وجماعة من آل نوبخت وضيهم وقوفاً بكأس الدواب في الجانب الغربي ببغداد يحدّثون، وإنهم لكذلك إذ أقبل غارق على حمار أسود وعليه قميص رقيق ورداء مسهم؛ فقال : فيم كنتم ؟ فأخبروه . فقال : دعونا من وِسايسكم هذا، أي شيء لي عليكم إن رميتُ بنفسى بين قبرين من هذه القبور وغطيتُ وجهي وغثيت صوتاً فلم يبق أحد بهذه الكأس ولا في الطريق من مُشتري ولا بائع ولا صادر ولا وارد إلا ترك عمله وقرب مني واتبع صوتي ؟ فقال عبد الله : إني لأحِبُّ أن أرى هذا، فقل ماشئت . فقال غارق : فرسك الأشقر الذي طلبته منك فتمنتيه . قال : ١٠ هـ ذلك إن فعلت ما قلت . قال : فرمى بنفسه بين قبرين وتغطى بردائه، ثم أندفع يفتي بشعر أبي الناهية :

- نَادَتْ بوشبك رحيلك الأيام \* أفلست تسمع أم بك استصيام  
ومضى أمامك من رأيت وأنت لك \* بياقين حتى يلحقوك أمام  
مالي أراك كأن عينك لا ترى \* عسباً تمز كأنهت يسهام ١٥  
تمضي الخطوب وأنت متبهاً لها \* فإذا مضت فكأنها أحلام

- قال : فرأيت الناس يأتون إلى المقبرة أرسلالين راكبٍ وراجل وصاحب شغل وماز في الطريق حتى لم يبق أحد . ثم قال لنا من تحت رداؤه : هل بقي أحد ؟ قلنا : لا ، وقد وجب الرهن . فقام فركب حماره ، وحاد الناس إلى صنائعهم ، وقال لعبد الله : أحضِر الفرس ؛ قال : هل أن تقيم عندي ؛ قال نعم ! فسلم الفرس إليه ٢٠ وبره وأحبن رقدّه .

وَرَوَى عَنْ يَحْيَى الْمَكِّي قَالَ : خَرَجَ غَارِقٌ مَعَ بَعْضِ إِخْوَانِهِ إِلَى بَعْضِ الْمُتَتَرِّهَاتِ ،  
فَنَظَرَ إِلَى قَوْسٍ مُدْهَبَةٍ مَعَ بَعْضٍ مِنْ خُرُوجِ مَعَهُ ، فَسَأَلَهُ إِيَّاهَا ، وَكَانَ الْمَسْئُولُ ضَبْنَ  
بِهَا ، وَسَنَحَتْ ظِلْبَاءُ بِالْقُرْبِ مِنْهُ ، فَقَالَ لِمَاذَا تَقُوسُ : أَرَأَيْتَ إِنْ تَنَهَيْتُ صَوْتَا  
فَمَطَفْتُ عَلَى بِهِ خَدُودُ هَذِهِ الظَّبَاءِ أَتَدْفَعُ إِلَى الْقَوْسِ ؟ قَالَ نَعَمْ ! فَأَنْدَفَعَ يَغْتَنِي :

مَاذَا تَقُولُ الظَّبَاءُ \* أَفَرَقَّةٌ أَمْ لِقَاءُ

أَمْ عَهْدُهَا بِسُلَيْمَى \* وَفَى الْيَمَانَ شِفَاءُ

مَرَّتْ بِنَاسِ الْجَاهِلِيَّةِ \* وَقَدْ دَنَا الْإِمَاءُ

فَمَا أَحَارَتْ جَوَابًا \* وَطَالَ فِيهَا الْعَنَاءُ

قَالَ : فَمَطَفَتِ الظَّبَاءُ رَاجِعَةً إِلَيْهِ حَتَّى وَقَفَتْ بِالْقُرْبِ مِنْهُ لِنَظَرِ إِلَيْهِ مُصْغِيَةً إِلَى  
صَوْتِهِ . فَجَعِبَ مِنْ حَضَرٍ مِنْ رَجُوعِهَا وَوَقُوفِهَا ، وَتَأَوَّلَهُ الرَّجُلُ الْقَوْسَ ، فَأَخَذَهَا وَقَطَعَ  
الْعَنَاءَ [ فَعَاوَدَتِ الظَّبَاءُ نِفَارَهَا وَمَضَتْ رَاجِعَةً عَلَى سَنَنِهَا ] .

وَرَوَى عَنْ إِصْحَاقَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ قَالَ : دَخَلْتُ عَلَى أَبِي وَهُوَ جَالِسٌ بَيْنَ بَايِنَ لَهُ  
وِغَارِقٌ بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُوَ يَغْتَنِي :

يَا رَيْحَ بَشْرَةٍ إِنْ أَضْرَبَكَ الْبَلَى \* فَلَقَدْ رَأَيْتُكَ أَهْلًا مَعْمُورًا

قَالَ : فَرَأَيْتُ أَبِي وَدُمُوعُهُ تَجْرِي عَلَى خَدَيْهِ مِنْ أَرْبَعَةِ أَمَاكِنَ وَهُوَ يَنْشِجُ أَحْرَ  
نَشِجًا . فَلَمَّا رَأَى قَالَ : يَا إِصْحَاقُ ، هَذَا وَاللَّهِ صَاحِبُ الْقَوَاءِ خَدَا إِنْ مَاتَ أَبُوكَ .

وَرَوَى عَنْ غَارِقٍ قَالَ : رَأَيْتُ وَأَنَا حَدَّثْتُ كَاتِبَ شَيْخَا جَالِسًا عَلَى سُرِيرِي رَوْضَةَ  
حَسَنَةً ، فَدُفِنِي فَقَالَ لِي : غَنِي يَا غَارِقُ ؟ فَقُلْتُ : أَصَوْتًُا تَقْتَرِحُهُ أَوْ مَا حَضَرَ ؟ فَقَالَ :  
مَا حَضَرَ . فَتَنَيْتُهُ :

دَى الْقَلْبَ لَا يَزْدَدُ خَبَالًا مَعَ الَّذِي \* بِهِ مِنْكَ أَوْ دَاوَى جَوَاهُ الْمَكْتَمُ

وليس بترويق اللسان وصسوغه \* ولعكته قد خالط الخَمَّ والدِّمَا

فقال لى : أحسنت يا مخارق ! ثم أخذ وترًا من أوتار العود فلقه على المضارب ودفعه الى ، فجعل المضارب يطول ويقلط والوتر ينتشر ويعرض حتى صار المضارب كالزجاج والوتر كالمذبة<sup>(١)</sup> [عليه] وصار فى يدى علماء ، ثم انتهت لحدث برؤى اى ابراهيم الموصلى ، فقال لى : الشيخ بلا شك ابلّس ، وقد عقد لواء صنعتك فانت ما حييت رئيس أهلها .

- وقال أحمد بن حمدون : غضب المعتصم على مخارق فأمر أن يُجعل فى المؤذنين ويلزمهم ففعل ذلك ؛ وأهل حتى علم أن المعتصم يشرب ، فأذنت العصر ، فدخل الى السّتر حيث يقف المؤذن للسلام ، ثم رفع صوته جهده وقال : السلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته ، الصلاة يرحمك الله . فبكى حتى جرت دموعه وبكى كل من حضر ، ثم قال : أدخلوه على وأقبل علينا ؛ ثم قال : سمعتم هكذا قط ! هذا الشيطان لا يترك أحدًا يغضب عليه ! . فدخل اليه فقيل الأرض بين يديه ، فدعاه المعتصم اليه فأعطاه يده فقبلها وأمره بإحضار عوده فأحضره ، وأعادته الى مرّيته . وأخبره كثيرة ، وفيما أوردناه منها كفاية . وكانت وفاته فى أوّل خلافة المتوكل ؛
- وقيل : بل فى آخر خلافة الواثق . وغنى نحسة من الخلفاء : الرشيد والأمين والمأمون والمعتصم والواثق . ورحمهم الله تعالى .

(١) الزيادة من الأغانى (ج ٢١ ص ٢٣٣) .





## ذكر أخبار يحيى بن مرزوق المكيّ

هو أبو عثمان يحيى بن مرزوق المكيّ، مولى بني أمية، وكان يكتم ذلك نخدمته للخلفاء من بني العباس؛ وكان إذا سُئِلَ عن ولاته أنفى الى قریش، ولم يذكر البطن الذي ولّاه له، ويستعفى من يسأله عن ذلك .

قال الأصفهانيّ :

ومُرَّ يحيى المكيّ مائة وعشرين سنة، وأصاب بالفناء ما لم يُصِبْه أحد من نظرائه ومات وهو صحيح العقل والسمع والبصر . وكان قديم مع المجازين الذين قدموا على المهديّ في أول خلافته فسبى بالعراق . وكان ابن جامع وإبراهيم الموصليّ وقليح يفرعون اليه في الفناء القديم فيأخذونه عنه، ويُعْطِي بعضهم بعضا بما يأخذونه منه . فإذا خرجت لهم الجواز أخذوه منها وقروا نصيبه . وله صنعة عجيبّة نادرة متقدّمة . قال : وله كتاب في الأغاني ونسبها وأجانبها كبير جليل مشهور، ألا أنّه كالطروج عند الرواة لكثرة تخطيطه في رواياته، والعمل على كتاب ابنه أحمد، فإِنَّه صحّح كثيرا مما أفسده وأزال ما عرفه من تخالط أبيه، وحقق ما نسبته من الأغاني الى صانعه . قال : وهو يشتمل على نحو ثلاثة آلاف صوت .

قال أحمد بن سعيد :

كانت صنعة يحيى ثلاثة آلاف صوت، منها زهاء ألف صوت لم يُقَارِبْه فيها أحد . وسُئِلَ ابنه أحمد عن صنعة أبيه فقال : الذي صحّح عندي منها ألف صوت وثلاثمائة صوت، منها مائة وسبعون صوتا، غلب فيها على الناس جميعا من تقدّم منهم و[من] تأتّر، فلم يقم له أحد فيها .

٢٠ (١) أحذاه: أخطاه ما أصاب من غيبة أراجيزة . (٢) في الأصل : «خطب»، والصواب من الأغاني (ج ٦ ص ١٧٨) . (٣) الزيادة من الأغاني .

قال أحمد بن يحيى قال لي إسحاق : يا أبا جعفر لأبيك مائة وسبعون صوتاً من أخذها عنه بمائة وسبعين ألف درهم فهو الرابع . والله أعلم .

ذكر أخبار أحمد بن يحيى المكي الملقب بطنين<sup>(١)</sup>

هو أبو جعفر أحمد بن يحيى المكي، وكان يلقب طنيناً<sup>(١)</sup> . وهو أحد المحسنين المبرزين الرواية للثناء المحكي الصنعة . كان إسحاق يقدمه ويؤثره ويشدو بذكره ويحبه بتفضيله .

قال أبو الفرج : وكتابه المجرد في الأغاني ونسبها أصل من الأصول المعول عليها . قال : وكان مع جودة غنائه وحسن صنعته أحد الشراب الموصوفين المتقدمين .

قال علي بن يحيى : قلت لإسحاق بن إبراهيم الموصلي — وقد جرى ذكر أحمد ابن يحيى المكي — : يا أبا أحمد لو كان أبو جعفر أحمد بن يحيى مملوكاً كم كان يساوي ؟ قال : أخبرك عن ذلك ، انصرفت ليلة من دار الواثق فأجرت بدار الحسن بن وهب فدخلت إليه فإذا أحمد عنده . فلما قاموا لصلاة العشاء الآخرة قال لي الحسن بن وهب : كم يساوي أحمد لو كان مملوكاً ؟ قلت : يساوي عشرين ألف دينار . قال : ثم رجع فغنى صوتاً فقال لي الحسن : كم يساوي أحمد لو كان مملوكاً ؟ قلت : يساوي ثلاثين ألف دينار . ثم غنى صوتاً آخر فقلت للحسن : يا أبا علي أضعفها . ثم أردت الانصراف فقلت لأحمد : غنى

لولا الحياء وأن الأسر من خلق \* إذا قدمت إليك البهر لم أقم

(١) في الأغاني (ج ١٥ ص ٦٥ طبع بولاق) : « طنين » بالطاء المعجمة .

(٢) الذي في الأغاني : « ويشد » .

(٣) الذي في الأغاني (ج ١٥ ص ٦٥ طبع بولاق) : « السير » .

أليس عندك سكر<sup>(١)</sup> التي جعلت \* ما أبيض من قادمات الرأس كاللحم  
فغناه فأحسن فيه كل الإحسان . فلما قمتُ للتصريف قلتُ : يا أبا عليّ، أضعف  
الجميع . فقال له أحمد : ما هذا الذي أسمعك تقولانه ولستُ أدري ما معناه ؟ فقال :  
نحن نبيعك ونشتريك منذ الليلة وأنت لا تدري . وقال محمد بن عبد الله بن مالك :  
سألني إسماعيل بن إبراهيم الموصلي يوما : مَنْ بقي من المغنين ؟ قلت : وجه القرمة  
محمد بن عيسى . فقال : صالح كَيْس ؟ وَمَنْ أيضا ؟ قلت : أحمد بن يحيى المكي .  
قال : يَحْيَى بَخ ! ذلك المحسنُ الخليل الضارب المغني ، القائمُ بجلسه لا يُخرج أهل  
المجلس الى غيره . وكانت وفاته في أول خلافة المستعين .

### ذكر أخبار هاشم بن سليمان مولى بني أمية

يُكنّى أبا العباس . وكان موسى الهادي يسميه أبا الفريض . قال أبو الفرج :  
وهو حسنُ الضمعة غزيرُها ، وفيه يقول الشاعر :

يا وَحْشِي بَعْدَكَ يا هاشم \* غَيْبَتْ فَشَجَوِي بَكَ لِي لَازِمٌ<sup>(٢)</sup>  
اللَّهُوُ وَاللَّدَّةُ يا هاشم \* ما لم تكن حاضره ماتم

وقال الأصمعيّ بسند رفيع إلى هاشم :

أصبح موسى أمير المؤمنين يوما وعنده جماعة فقال : يا هاشم غني :  
\* أبهارُ قد هيجت لي أوجاجا \*

فإن أصبت مرادى فيه فلك حاجة مقضية . قال : ففنيته ، وهو :  
أبهارُ قد هيجت لي أوجاجا \* وتركنتي عبدا لكم مطوا

(١) كذا في الأغانى . وفي الأصل : « شكر » .

(٢) في الأغانى ( ج ١٤ ص ٤٤ طبع بولاق ) : « دائم » .

بجديتك الحسن الذي لو كُفِّت \* وحش الفلاة به يلحظن سرا  
وإذا مررتُ على البهار مُنْضِدًا \* في السوق هيج لي إليك نِزا  
والله لو سلم البهار بأنها \* أخضت سميته لصار ذرا

- فقال : أصبت وأحسنت ، سأل حاجتك ، قلت : يا أمير المؤمنين ، فأمر بأن  
يُملأ هذا الكانون دراهم — وكان بين يديه كانون عظيم — فأمر به فملئ فوسيع  
ثلاثين ألف درهم . فلما حصلتُها قال لي : يا ناقص الهمة ، والله لو سألت أن أملاه  
لك دنانير لعلتُ . فقلت : ألقني يا أمير المؤمنين . قال : لا سبيل إلى ذلك  
ولم يُسعدك الجسد به . وقد رويت هذه الحكاية في موضع آخر ، وذكر أن الذي  
غناه غير هذا الشعر ، وأن الكانون وسيع ست بدر ، فدفعها إليه .

### ذكر أخبار يزيد حوراء

١٠

هو رجل من أهل المدينة من موالى بني ليث بن بكر بن عبد مناة بن كنانة ،  
ويكنى أبا خالد . مثنى محسن كثير الصنعة ، من طبقة ابن جامع وإبراهيم الموصلي .  
وكان ممن قديم على المهدي في خلافته ففتناه . وكان حسن الصوت حلوا الشمال .  
لحسده إبراهيم الموصلي على شماله وإشارات في الغناء ، فاشترى حدة جوار وشاركه [فيهن] ،  
وقال له : علمهن ، فما رزق الله تعالى من ربح فيهن فهو بيننا . وأمرهن أن يتعلمن  
وكدهن أخذ إشاراتهن ففعلن ذلك . فكان إبراهيم يأخذها عنهن هو وأبنته ويأمرهن  
بتعليم كل من يعرفه ذلك حتى شربها في الناس ، فأبطل عليه ما كان منفرداً به من  
ذلك .

(١) الزيادة عن الأغاني ( ج ٣ ص ٢٥١ طبع دار الكتب المصرية ) .

(٢) التوكد : ألم والتقص .

قال عبد الله بن العباس الرضوي :

كان يزيد حوراء نظيفاً طريفاً حسن الوجه شِكلاً، لم يقمَ علينا من الجحاز أنظف منه ولا أشكل، وما كنت نساءً أن ترى خصلة جميلة لا تراها في أحد منهم إلا رأيتها فيه . وكان يتعصب لإبراهيم الموصلي على ابن جامع، فكان إبراهيم يرفع منه ويشيع ذكره بالجميل ويثبه على مواضع تقدمه [واحسانه]، ويمتدح بآبائه إصطاق (١) [إليه] يأخذ عنه .

وحكى أبو الفرج بسند رفعه الى يزيد حوراء قال :

كأنني أبو العتاهية في أن أكلم المهدي في عتبة، فقلت : إن الكلام لا يمكنني، ولكن قل شعراً أغنيه به، فقال :

نفعني بشيء من الدنيا معلقة \* الله والقائم المهدي يكفيها ١٠

إني لأبأس منها ثم يطمئني \* فيها احتقارك للدنيا وما فيها

قال : فعملت فيه لحناً وغنيتُه . فقال : ما هذا ؟ فأخبرته خبر أبي العتاهية ؛ فقال : ننظر فيما سأل، فأخبرت بذلك أبا العتاهية . ثم مضى شهر بفاني فقال : هل حدث خبر ؟ قلت لا . قال : فأذكرني للمهدي . فقلت : إن أحببت ذلك فقل شعراً تحمرك به وتذكره ومدّه حتى أغنيه به، فقال :

ليت شعري ما عندكم ليت شعري \* فلقد أثمر الجواب لأمر

ما جواب أولى بكل جميل \* من جواب يرتد من بعد شهر

قال يزيد : ففتيت المهدي، فقال : على بنية فأحضرت، فقال : إن أبا العتاهية (١) كأنني فيك، فما تقولين ولك عندي وله ما يحبّان مما [لا] تبلغه أمانيكاً؟ فقالت :

(١) الزيادة عن الأغانى .

قد علم أمير المؤمنين ما أوجب الله على من حق مولائي، وأريد أن أذكر هذا لما قال : فأقبل . قال : فأعلنت أبا العتاهية . ومضت أيام فسألني معاودة المهدي ؟ فقلت : قد عرفت الطريق ، فقل ما شئت حتى أغنيه به ، فقال :

أَشْرَبْتُ قَلْبِي مِنْ رَجَائِكَ مَالَهُ \* حَقٌّ يَحِبُّ إِلَيْكَ بِي وَرَيْسِي  
وَأَمَلْتُ لِحُوسَمَاءِ جُودِكَ نَظَرِي \* أَرْزَى غَايِلَ بَرْقَةٍ وَأَشْسِمُ<sup>(١)</sup>  
وَلَقَدْ تَسَمَّيْتُ الرِّيحَ لِحَاجَتِي \* فَإِذَا لَهَا مِنْ رَاحَتِكَ تَسِيمُ  
وَلَرُبَّمَا أَسْتَيْسَسْتُ ثُمَّ أَقُولُ لَا \* إِنْ الَّذِي وَعَدَ النَّجَاحَ كَرِيمُ

قال يزيد : فغشيت الشمر ، فقال : على بعثة بخاءت ، فقال : ما صنعت ؟ فقالت : ذكرت ذلك لمولائي فكرهته وأبت أن تفعل ، فليقبل أمير المؤمنين ما يريد . قال : ما كنت لأفعل شيئا تكرهه . فأعلنت أبا العتاهية بذلك ، فقال :

قَطَعْتُ مِنْكَ حَبَائِلَ الْأَمَالِ \* وَأَرَحْتُ مِنْ حِلٍّ وَمِنْ تَرْحَالٍ  
مَا كَانَ أَشَامَ إِذْ رَجَائِكَ قَاتِلِ \* وَبَنَاتُ وَعْدِكَ يَتَلَجَّنَ بِيَالِي  
وَأَنْ طَلِمَعْتُ لِرَبِّ بَرْقَةٍ خُلِّبِ \* مَالَتْ بَذَى طَمَعٍ وَلَمَعَةِ آلِ

وقد حكى أبو الفرج أيضا هذه الحكاية وأختصرها ، ولم يذكر الأبيات التي منها  
\* أَشْرَبْتُ قَلْبِي مِنْ رَجَائِكَ مَالَهُ \*

إلا أنه غير قوله : «أشربت قلبي» بقوله : «أعلنت نفسي من رجائك» . وقال : فصنع فيه يزيد لحنا وغمنا المهدي . فدعا بأبي العتاهية وقال له : أما حُبُّهُ فلا سبيل إليها ، لأن مولاتها قد منعت منها ، ولكن هذه خمسون ألف درهم فأشتر بيع بعضها خيرا من حبة ، لحملت إليه ، فأخذها وأنصرف .

(١) كذا في الأمان . وفي الأصل : «فريها» .

وَحَكِيٌّ عَنْ حَمَادِ بْنِ إِسْحَاقَ قَالَ :

قال يزيد حوراء : كنتُ أجلسُ بالمدينة على أبواب قريش ، وكانت تمرُّ بي جاريةٌ تختلفُ إلى الزرقاء تتعلَّمُ منها الغناء . فقلتُ لها يوما : أُنهي قولي ورُدِّي جوابي وكوني عند ظني ، فقالت : هايتُ ما عندك . فقلتُ : بالله ما أسمُك ؟ فقالت : مُنَمَّة . فاطرقتُ طيرةً من أسميها مع طمعي فيها ، ثم قلتُ : بل بأذلةٍ ومبذلةٍ إن شاء الله فأسمي منى . فقالت وهي تنبسم : إن كان عندك شيء فقل . فقلت :

لَيْتَنِيكَ مِنِّي أَتَى لَسْتُ مُفْشِيًا \* هَوَاكَ إِلَى غَيْرِي وَلَوْ مِتُّ مِنْ كَرِي

ولا مانحًا خلقًا سواك محبةً \* ولا قائلًا ما عشتُ من حبكم حسي

فنظرتُ إلى طويلا ثم قالت : أَتَشُدُّكَ اللهُ ، أَمِنْ قَرُطِ حَبَّةٍ أَمْ أَهْتِاجِ قَلْبَةٍ [تَكَلَّمْتُ] ؟ <sup>(١)</sup> فقلتُ : لا والله إلا عن قرط حبة . فقالت :

فَوَاللهِ رَبِّ النَّاسِ لَا تُحْتَكُّ الهوى \* وَلَا زِلْتُ مَخْصُوصَ المحبةِ مِنْ قَلْبِي

فَبَقِيَ بِي لِإِنِّي قَدِ وُثِّقْتُ وَلَا تَكُنْ \* عَلَى غَيْرِ مَا أَظْهَرْتُ لِي يَا أَخَا الْحَبِّ



قال : فوالله لكأنما أضرمتُ في قلبي نارا . فكانت تلقاني في الطريق الذي كانت تسلكه فتعذني فأفترج بها ، ثم أشتراها بعضُ أولاد الخلفاء ، وصككت تكاتيبي وتلاطفتني دهرًا طويلا .

### ذَكَرَ أَخْبَارَ قُلَيْحِ بْنِ أَبِي الْعَوَّاءِ

هو رجل من أهل مكة مولى لبني غزوم ، وهو أحد مُعَنَّى الدولة العباسية ؛ له عمل كبير من صناعته ، وهو أحد الثلاثة الذين اختاروا المسألة الصوت للرشيد التي بنى أبو الفرج الأصفهاني كتابه المترجم بالأغاني عليها . قال إسحاق بن إبراهيم الموصلي : ما سمعتُ أحسنَ مرثيةً غناءً فليح وأبن جامع . وكان المهدي لا يُعَيِّنُهُ مَعْنً إِلَّا مِنْ

(١) الزيادة من الأغاني .

وراء الستارة إلا فليح فإن الستارة كانت تُرفع بينه وبين المهدي . وهو أول مُقَرَّن  
نظر وجه المهدي .

وروى أبو الفرج الأصفهاني عن يوسف بن إبراهيم بن إبراهيم بن المهدي  
قال : كتب إلى جعفر بن يحيى وأنا عامل الرشيد على [جند<sup>(١)</sup>] دمشق : قد  
قدم علينا قُليح بن أبي العوراء ، فافسد علينا بأمرنا وجهه وخفيفه كلَّ غناء سمعناه قبله .  
وأنا محال لك في تخليصه إليك لتسمع منه كما أسمعنا . فلم ألبث أن ورد على قُليح  
بكتاب الرشيد يأمر له بثلاثة آلاف دينار ، فورد على منه رجل أذ كنى لقائه الناس  
وأخبرني أنه قد فاهز المائة . فأقام عندي ثلاث سنين ، وأخذ جوارى عنه كلَّ  
ما كان معه من الغناء ، وأتشر بعض غنائه بدمشق .

وروى أيضا بسنده إلى أحمد بن يحيى المكي عن قُليح بن أبي العوراء قال :  
كان بالمدينة فتى بعشق أبنه عم له ، فوجدته أنها تزوره ، وشكا إلى أنها تأتيه  
ولا شيء عنده ، فأعطيته دينارا للشفقة . فلما زارته قالت له : من يُلهيها ؟ قال :  
صديق لي ، ووصفي لها ، ودعاني فأتيتها ، وكان أول ما غنيت :  
من الخفريات لم تَضَحْ أخاها \* ولم تَرَفَّ لوالدها شاتارا

فقامت إلى ثوبها فليست له لتنصرف . فعلق بها وجهه كلَّ الجهد في أن تُقيم فلم  
تفعل وأنصرفت . فأقبل يلومني في أن غنيتها ذلك الصوت . فقلت : والله ما هو شيء  
أعتمدت به مساءتك ولكنه شيء أتفق . قال : فلم نبرح حتى عادر سوطها ومعه صرة  
فيها ألف دينار ، فدفعها إلى الفتى وقال : تقول لك أبنه عمك : هذا مهري ، فادفعه  
إلى أبي وأخطئي ، ففعل وترَّجها .

(١) الزيادة من الأغاني ( ج ٤ ص ٣٦٥ طبع دار الكتب المصرية ) . والجلد : المدينة ونص  
٢٠ به أبو حيدة مدن الشام . واجناد الشام خمس كور : دمشق وحمص وقسرين والأردن وفلسطين .



### ذكر أخبار إبراهيم الموصلي عفا الله عنه

هو إبراهيم بن ماهان بن ميمون، وأصله من فارس، ومولده في سنة خمس وعشرين ومائة بالكوفة، ووفاته ببغداد في سنة ثمان وثمانين ومائة. قالوا: ومات ماهان وترك إبراهيم صغيراً، فكفله آل خزيمة بن خازم، فكان ولأوه لبي تميم. وكان السبب في نسبه إلى الموصلي أنه لما كبر واشتد وأدرك حب الفتيان واشتهى الغناء وطلبه، فاشتد أحواله بنو عبد الله بن دارم عليه في ذلك وبلغوا منه، فهرب منهم إلى الموصلي فأقام بها سنة، فلما رجع إلى الكوفة قال له إخوانه من الفتيان: مَرَحَباً باللقى الموصلي، فغلب عليه ثم ارتحل إلى الزبي في طلب الغناء، فطال مقامه هناك، وأخذ الغناء الفارسي والعربي.

قال إصطاق: حدثني أبي قال:

أول شيء أُعطيته بالغناء أني كنت بالزبي أنادم أهلها بالسوية لا أرضوهم شيئاً ولا أنفي إلا من بقية مال كان معي. فزبنا خادم أنفذه أبو جعفر المنصور إلى بعض عماله برسالة، فسمعني عند رجل من أهل الزبي فشغف بي وخلع عليّ دواجيم مملوءة قيمة، ومضى بالرسالة فرجع وقد وصله العامل بسبعة آلاف درهم وكسوة كثيرة، بلغاني إلى منزلي الذي كنت أسكنه، فأقام عندي ثلاثة أيام ووهب لي نصف الكسوة [التي معه] وألقى درهم. وكان ذلك أول مال كسبته من الغناء. فقلت: والله لا أشق هذه الدراهم إلّا على الصناعة التي أفادتها. ووُصِف لي رجل بالبلبة

(١) في الألفاظ (ج ٥ ص ١٥٦ طبع دار الكتب المصرية): «فغلب به».

(٢) شرب من الثياب. والسور دابة معروفة تسقى من جلودها فراء غالية الثمن.

(٣) الزيادة عن الألفاظ.

(٤) الأبله: بلدة على شاطئ دجلة بالبصرة العظمى في زاوية الخليج الذي يدخل إلى مدينة البصرة.

اسمه : «جَوَانُويَه»<sup>(١)</sup> وكان حاذقا ، فخرجت إليه ، وصحبت فتيانها وأخذت عنهم وغنيبتهم فشنفوا بي .

- قال إبراهيم : ولما أتيت «جَوَانُويَه» لم أصادفه في منزله فأقلت حتى جاء .  
فلما رآني آحتشمي وكان مجوسيا ، فأخبرته بصناعتي والحال التي قصدته فيها ، فرحب بي وأفرد لي جناحا في داره ووكل بي جارية<sup>(٢)</sup> ، فقدّمت لي ما أحتاج إليه . فلما كان  
الشيء عاد إلى منزله ومعه جماعة من الفرس بمن يفتي ؛ فنزلت إليه بقلنسوا وأخذوا  
في شأنهم وضربوا وغنّوا ؛ فلم أجد في غناء أحد منهم فائدة ؛ وبلغت النوبة إلى  
فصرت وغنيت ؛ وقاموا جميعا إلى قُبَلُوا رأسي وقالوا : سخرت بنا ، نحن إلى تعليمك  
إنا أحوج منك إلينا . فأقلت على تلك الحال أيما حتى بلغ [محمد بن] سليمان بن علي<sup>(٣)</sup>  
خبري ، فوجه إلى فأحضرني وأمرني بملازمته . فقلت : أيها الأمير ، لست أتكسب  
بهذه الصناعة وإنما ألتذ بالغناء فلذلك تعلّمته ، وأريد العود إلى الكوفة ؛ فلم أنتفع  
بذلك عنده وأخذني بملازمته وسألي : من أين أنا ؟ فأنتسبت إلى الموصل ، فلزمتني  
وعُصِفْتُ بها . ولم أزل عنده مكرما ، حتى قديم عليه خادم المهدى . فلما رآني عنده  
قال له : أمير المؤمنين أحوج إلى هذا منك ، قد أقصه حتى . فلما قديم الخادم على  
المهدى سأله عما رأى في طريقه ومقصده ، فأخبره بما رأى ، حتى انتهى إلى ذكرى  
فوصفتي له . فأمره المهدى بالزجوع وإشخاصي إليه ، بغاء وأشخصني إلى المهدى ،  
وحظيت عنده وقدمني .

قال : وما سمع المهدى قبلي أحدا من المؤمنين سوى فُلَيْح بن أبي العوراء  
وسباط ؛ فإن الفضل بن الربيع وصفهما له .

- قال : وكان المهدي لا يشرب ، فارادني على ملازمته وترك الشرب ، فأبى عليه . وكنت أغيب عنه الأيام ، فإذا جئته جئته منشياً ، ففاظطه ذلك مني وضربني وحسني ، فحذقت القراءة والكتابة في الحبس . ثم دعاني يوماً فعاتبني على شربي في منازل الناس والتبذل معهم . فقلت : يا أمير المؤمنين ، إنما تعامت هذه الصناعة للذي وعشرة إخواني ولو أمكنني تركها تركتها وجميع ما أنا فيه لله تعالى . فغضب غضباً شديداً وقال : لا تدخل على موسى وهارون ، فوالله لئن دخلت عليهما لأفعلن وأصنعن . فقلت نعم . ثم بلغه أنني دخلت عليهما وشربت معهما وكانا مشتهرين بالتييسذ ، فضربني ثلاثمائة سوط وستين سوطاً . فقلت له وأنا أضرب : إن جري ليس من الأجرام التي يميل بها سفك دمي ، ووالله لو كان سر أبنيك تحت قدمي ما رفعتها عنه ولو قطعنا ، ولو فعلت ذلك كنت في حالة أبان العبد السامعي . فلما قلت ذلك ضربني بالسيف في جفنه فشجني ، فسقطت منشياً على . وقال لعبد الله ابن مالك : خذني إليك وأجعله في مثل القبر . فدعا عبد الله بكهش فذبحه وسلخه وألحسني جلده ليسكن الضرب عني ، ودفعني إلى خادم له يقال له أبو عثمان سعيد التركي ، بفعلني في قبر ووكّل بي جارية . فتأذيت بتركان في القبر وبقى . فقلت للجارية : أصلي لي يجرة وكندرا ليذهب عني هذا البق ففعلت . فلما دخت أنظلم القبر وكادت نفسي تذهب ، ثم خف ذلك وزال البق ، وإذا حيّتان مقيتان نحوي من شق في القبر تدوران حولي ، فهمنت أن آخذ واحدة بيدي اليمنى
- (١) في الأصل «فلت» . والتصويب عن الأغانى (ج ٥ ص ١٦٠ طبع دار الكتب المصرية) .
- (٢) في الأغانى : «مشتهرين» .
- (٣) هو العبد الذي سمى به وموسى وهارون إلى المهدي وحده بما كانوا فيه .
- (٤) جفن السيف : حمده .
- (٥) المراد بالبق هنا ما يسيه أهل مصر الثاموس ، وأهل العراق يسمونه البق ، ويقولون الثاموس على ما يسيه أهل مصر بالبق . (٦) الكتف : اللبان .

والأخرى بيدى اليسرى، فأثما على وإثما على، ثم كفيتهما، فدخنا في الثقب الذى نرجعنا منه . فمكثت في ذلك القبر ما شاء الله، ثم أخرجت منه . وأحلفنى المهدى بالطلاق والعناق وكلّ يمين لا فسحة لى فيها ألا أدخل على أبنيه موسى وهارون أبدا ولا أغنيهما، وخلقى سبيلى . قال إبراهيم : وقلت وأنا فى الحبس :

- ألا طال ليل أراعى النجوم \* أطالج فى السّاق بكتلّ قبيلا  
بدار الهوائى وشرّ الديار \* أسام بها الخسف صبّا بحملا  
كثير الإخلاء عند الرخاء \* فلما حُبست أراهم قليلا  
لطول بلائى ملّ الصديق \* فلا يأمّن خليل خليل

- قال : فلما ولي موسى الهادى الخلافة آستتر إبراهيم منه ولم يظهر له بسبب  
الايان التى حلف بها للمهدى . فلم يزل يطلبه حتى أتى به . فلما طأته قال : ياسيدى،  
١٠ [فارتقت<sup>(١)</sup> أم ولدى أهنّ الخلق على، ثم غناه :

يابن خير الملوك لا تتركنى \* غرّضنا للمدوّرى حيايى  
فلقد فى هواك فارقت أهل \* ثم عرّضت مهجتي للزوال  
ولقد عشت فى هواك حيايى \* وتقرّبت بين أهلى ومالى

- ١٥ قال إسحاق بن إبراهيم : فؤله الهادى وخوّله ، وبحسبك أنه أخذ منه مائة ألف  
وخمسين ألف دينار فى يوم واحد ، ولو عاش لنا لبنينا حيطاناً دورنا بالذهب  
والفضة .

قال حماد بن إسحاق قال لى أبى :

- واقه ما رأيت أكل مرودة من جندك ، كان له طعام يمدّ أبداً فى كل وقت .  
فقلت لأبى : كيف كان يملكه ذلك ؟ قال : كان له فى كل يوم ثلاث شياى ،  
٢٠ (١) الزيادة من الأغاني .

واحدة مقطعة في القدور ، وأخرى مسلوخة معلقة ، وأخرى قائمة في المطبخ ؛ فإذا أتاه قوم طعموا بما في القدور ، فإذا فرغت القدور قُطعت الشاة المعلقة ووضعت في القدور ودُبِحَت القائمة وأُتِيَ بأخرى فأقيمت في المطبخ . وكانت وظيفة لطعامه وطيبه وما يتخذ له في كل شهر ثلاثين ألف درهم سوى ما كان يُجبرى وسوى كُسوته . ولقد كان مرة عندنا من الجوارى الودائع لإخوانه ثمانون جارية ، ما فيهن واحدة إلا ويُجبرى عليها من الطعام والكسوة والطيب مثل ما يُجبرى لأخص جواريه ، فإذا رُكبت الواحدة إلى مولاها وصلها وكساها . ومات وما في ملكه إلا ثلاثة آلاف دينار وعليه من الدين سبعة دنانير قُضيت منها .

وروى عن إسحاق بن إبراهيم قال :

- ١٠ اشتري الرشيد من أبي جارية ستة وثلاثين ألف دينار ، فأقامت عنده ليلة ثم أرسل إلى الفضل بن التبريد وقال له : إنا اشترينا هذه الجارية من إبراهيم ونحن نحسب أنها على صفة وإيست كما ظننا وما قُربتها ، وقد قُبل على الخن وبينك وبينه ما بينكما ، فأذهب إليه فسله أن يخطبنا من ثمنها ستة آلاف دينار . قال : فأناه الفضل ، فخرج إليه و تلقاه ؛ فقال له : دعى من هذه الكرامة التي لا مَثونة فيها ، قد جئتكَ في أمر ، ثم أخبره الخبر . فقال له إبراهيم : إنما أراد أن يبلو قدركَ عندي . قال : هو ذلك ؟ قال : فإلى في المساكين صدقة إن لم أُضيقه لك ، قد حططتُك آتني عشر ألف دينار . فرجع الفضل إليه بالخبر . فقال : ويحك ! أحمل إليه المال بجملة ، فما رأيت سَوْقة أنبل منه نفسا . قال إسحاق : وكنت قد آتيت أبي فقلت : ما كان لحطيطه هذا المال معني ولا هو قليل يتناقل عنه ، قال لي : يا أحمق ، أنا أعرف الناس به ، والله لو أخذتُ المال منه كجلا ما أخذته إلا وهو كاره ولحقه ذلك ، وكنت أكون
- ٢٠

عنده صغير القدر ، وقد مَنَنْت عليه وعلى الفضل وأنسَطْتُ نفسه وعَظَمَ قدرى  
عنده ، وإنما أَشْتَرَيْتُ الجاريةَ بأربعين ألف درهم وقد أخذت بها أربعة وعشرين  
ألف دينار . فلما حِيلَ إليه المالُ بكِماله دعاى وقال : كيف رأيت يا إصْحاقُ ، مِنِ  
البصيرِ أنا أم أنتَ ؟ فقلت : أنتَ جملتى الله فذلك . قال : وإبراهيمُ أَقْوَلُ من ظم  
الجوارى الثمنات الغناء فإنه بلغ بالقيان كلَّ مبلغ ورفع من أَقدارهن .

ومن أخباره مع الرشيد ما روى عن إصْحاقَ قال حَدَّثَنِي أَبِي قال :

إِنَّ الرشيدَ غضب على فقيدنى وحسنى بالزُّقَّة وجلس للشرب يوماً في مجلس قد  
زينه وحسنه . فقال لعيسى بن جعفر : هل لجلسنا عيبٌ ؟ قال : نعم ، غيبةُ إبراهيم  
الموصلى عنه . فأمره بإحضاري ؛ فأحضرتُ في قيودي ، ففُكَّتْ عَنِّي يَدَاهُ ،  
وأمرهم فتأولوني عوداً ، ثم قال : غنَّ يا إبراهيم ، فغنيته :

تَضَوَّعَ مِسْكَ بَلْعُنْ نَعْمَانُ أَنْ مَشَتْ \* بِهِ زَيْنَبُ فِي نَسْوَةِ عَطَرَاتِ

فاستماده وشرب وطرب وقال : هَنَاتِي وسَاهَتِكَ بالصلة ، وقد وهبت لك الهنى<sup>(٢)</sup>  
والمرىء ، فأنصرفت ؛ فلما أصبحتُ حُوضْتُ منهما مائتي ألف درهم .

قال إبراهيم : دخلتُ حل موسى الهادى فقال لى : يا إبراهيم ، غنَّ من الغناء  
ما أَلَدُ وأطربُ عليه ولك حِكْمَكَ . فقلت : يا أمير المؤمنين ، إن لم يهاجلى زُجَلُ بَرْدِهِ  
رجوتُ ذلك ، فغنيته :

وإِنِّي لَتَعْرُونِي لِدِكْرَاكِ هِرَّة \* كَمَا أَتَنَفُّضُ الْعُصْفُورُ بِلَالِ الْقَطْرِ

(١) فى الأصل « أد » .

(٢) الهنى والمرىء : نهران بأزاء الزقة والزاققة خفهما هشام بن عبد الملك وأحدث فيهما « واسط

الزقة » . يريد أنه أعطاه ضيعتها (أنظر معجم البلدان لياقوت ج ٤ ص ٩٩٤ طبع أوروبا) .

فَضْرِبْ بِيَدِهِ إِلَى جِيبِ دُرَاعَتِهِ فَخَطَّهُ ذِرَاعًا؛ ثُمَّ قَالَ: أَحْسَنْتَ وَاللَّهِ! زِدْنِي؛ فَغَنَيْتُ:

فِيَا حُبَّهَا زِدْنِي جَوَى كُلِّ لَيْلَةٍ \* وَيَا سَلْوَةَ الْأَيَّامِ مَوْعِدِكَ الْحَشْرُ

فَضْرِبْ بِيَدِهِ إِلَى دُرَاعَتِهِ فَخَطَّهَا ذِرَاعًا آخَرَ وَقَالَ: زِدْنِي وَبِكَ! أَحْسَنْتَ وَاللَّهِ

وَوَجِبَ حَكْمَكَ؛ فَغَنَيْتُ:

هَجَرْتُكَ حَتَّى قِيلَ مَا يَعْرِفُ الْهَوَى \* وَزُرْتُكَ حَتَّى قِيلَ لَيْسَ لَهُ صَبْرٌ

فَرَفَعَ صَوْتَهُ وَقَالَ: أَحْسَنْتَ وَاللَّهِ! اللَّهُ أَبُوكَ! هَاتِ مَا تَرِيدُ. فَقُلْتُ: يَا سَيِّدِي

عَيْنَ مَرْوَانَ بِالْمَدِينَةِ. فَدَارَتْ عَيْنَاهُ فِي رَأْسِهِ حَتَّى صَارَتْمَا كَأَنَّهُمَا هَجْرَتَانِ وَقَالَ:

يَا بَنَ الْفَنَاءِ! أَرَدْتُ أَنْ تَشْهَرَنِي بِهَذَا الْمَجْلِسِ فَيَقُولَ النَّاسُ: أَطْرَبَهُ لِحُكْمٍ عَلَيْهِ فَتَجْعَلَنِي

تَمَرًّا وَحَدِيدًا! يَا إِبْرَاهِيمَ الْخَزَائِيَّ، خَذْ بِيَدَ هَذَا الْجَاهِلِ فَادْخُلْهُ بَيْتَ مَالِ الْخَاصَةِ، فَإِنْ

أَخَذَ كُلَّ مَا فِيهِ نَخْلَةً وَإِيَّاهُ. فَدَخَلْتُ فَاخْذَنْتُ خَمْسِينَ أَلْفَ دِينَارٍ. وَهَذَا الشَّعْرُ

لَأَبِي مَحْضَرِ الْمَذَلِيِّ، وَأَقْلَهُ:

عَجِبْتُ لَسَعَى الدَّهْرِ بِنَفْسِي وَبَيْنَهَا \* فَلَمَّا أَتَقَضَى مَا بَيْنَنَا سَكَنَ الدَّهْرُ

فِيَا حُبَّهَا زِدْنِي جَوَى كُلِّ لَيْلَةٍ \* وَيَا سَلْوَةَ الْأَيَّامِ مَوْعِدِكَ الْحَشْرُ

وَيَا هَجْرَ لَيْلٍ قَدْ بَلَغْتَ بَنَى الْمَدَى \* وَزِدْتِ عَلَى مَا لَيْسَ يَلْفُهُ الْمَجْرُ

وَأِنِّي لَتَعْرِوْنِي لَذِكْرَاكِ هَزَّةً \* كَمَا أَتَنْفَضُ الْعَصْفُورُ بِلِلَّةِ الْقَطْرِ

هَجَرْتُكَ حَتَّى قِيلَ لَا يَعْرِفُ الْهَوَى \* وَزُرْتُكَ حَتَّى قِيلَ لَيْسَ لَهُ صَبْرٌ

(١) الدَّرَاعَةُ: بَجَّةٌ مَشْقُوقَةُ الْقَدَمِ وَلَا تَكُونُ إِلَّا مِنْ صُوفٍ.

(٢) فِي نَسْخَةٍ مِنَ الْأَسْل: «الْجَدَائِقُ». وَفِي أُخْرَى: «الْجَدَائِقُ» وَالصُّوْبُ مِنَ الْأَغَانِي.

وَعَنْ تَدْمَاءِ الْحَادِي وَكَانَ قِيَامًا عَلَى خَزَائِنِ الْأَمْوَالِ فِي أَيَّامِهِ.

(٣) وَرَدَ هَذَا الشَّعْرُ هَكَذَا فِي الْأَغَانِي وَأَمَّا الْقَائِلُ (ج ١ ص ١٥٠ طبع دار الكتب المصرية).

وَفِي الْأَسْل: \* وَزِدْتِ عَلَى مَا لَمْ يَكُنْ يُلْقِ الْمَجْرُ \*

أَمَّا وَالَّذِي أَبْكِي وَأَضْحَكُ وَالَّذِي \* أَمَاتَ وَأَحْيَا وَالَّذِي أَمَرَهُ الْأَمْرُ  
لَقَدْ تَرَكْتَنِي أَحْسَدُ الْوَحْشِ أَنْ أَرَى \* الْيَقِينِ مِنْهَا لَا يَوْعُهُمَا الدُّعْرُ

ذكر نبذة من أخبار إبراهيم الموصلي مع البرامكة رحمهم الله تعالى  
كان لإبراهيم الموصلي مع البرامكة أخبار مستحسنة، ستورد منها طرفاً . منها  
ما حكى عن مخارق قال :

أَذِنَ لَنَا أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ الرَّشِيدُ أَنْ نُقِيمَ فِي مَنَازِلِنَا ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ وَأَعْلَمَنَا أَنَّهُ يَشْتَغِلُ  
فِيهَا مَعَ الْحَرَمِ . فَخَضِيَ الْجُلَسَاءُ أَجْمَعُونَ إِلَى مَنَازِلِهِمْ وَقَدْ أَصْبَحَتِ السَّمَاءُ مُتَقَيِّمَةً تَطْلُقُ  
طُيُوشًا خَفِيفًا . فَقُلْتُ : وَاقَّةٌ لِأَذْهَبَ إِلَى أَسَاتِذِ إِبْرَاهِيمَ فَأَعْرِفُ خَبْرَهُ ثُمَّ أَعُودُ ،  
وَأَمْرَبُ مَنْ عِنْدِي أَنْ يَسُورُوا لَنَا بَعْضَ الْيَوْمِ . فَخَفْتُ إِلَى إِبْرَاهِيمَ ،  
فَدَخَلْتُ إِلَيْهِ ، فَإِذَا هُوَ جَالِسٌ فِي رِوَاقٍ لَهُ وَالسَّتَارَةُ مَنْصُوبَةٌ وَالْجَوَارِي خَلْقُهَا ،  
فَدَخَلْتُ أَتَرْتَمُ بَعْضَ الْأَصْوَاتِ وَقُلْتُ لَهُ : مَا بَالُ السَّتَارَةِ لَسْتُ أَسْمَعُ مِنْ وَرَائِهَا  
صَوْتًا ؟ فَقَالَ : اقْعُدْ وَيَحْكُ ! إِنِّي أَصْبَحْتُ بِخَدَائِي خَبْرَ ضَبْعَةٍ تُجَاوِرُنِي قَدْ وَاللَّهِ طَلَبْتُهَا  
زَمَانًا وَتَمَنَيْتُهَا وَلَمْ أَمْلِكْهَا ، وَقَدْ أُعْطِيَ بِهَا مِائَةُ أَلْفِ دِرْهَمٍ . فَقُلْتُ لَهُ : مَا يَمْنَعُكَ مِنْهَا ؟  
فَوَاللَّهِ لَقَدْ أَعْطَاكَ اللَّهُ أَضْعَافَ هَذَا الْمَالِ وَكَثْرَ . قَالَ : صِدَقْتَ ، وَلَكِنْ لَسْتُ  
أَطِيبُ نَفْسًا بِأَنْ أُسْرِجَ هَذَا الْمَالِ . فَقُلْتُ : فَمَنْ يُعْطِيكَ السَّاعَةَ مِائَةَ أَلْفِ دِرْهَمٍ ؟  
قَالَ : وَاقَّةٌ مَا أَطْلَعُ فِي ذَلِكَ مِنَ الرَّشِيدِ ، فَكَيْفَ بَيْنَ دُونِهِ ! ثُمَّ قَالَ : اجْلِسْ ، خُذْ  
هَذَا الصَّوْتِ . ثُمَّ تَقَرَّبَ بَضْبِيبٍ عَلَى التَّوَاتُؤِ وَالْأَلْفِ عَلَى هَذَا الصَّوْتِ :

نَامَ الْخَلِيلُونَ مِنْ هَمٍّْ وَمِنْ مَقِيمٍ \* وَرَثٌ مِنْ كَثْرَةِ الْأَحْزَانِ لَمْ أَنْتَمِ

(١) كلمة «قال» غير موجودة في الأغاني، وسياق كلامه أن ما بعدها من كلام مخارق .

(٢) كلما في الأغاني ، وفي الأصل : « من همي ومن حزني » .



يا طالب الجود والمعروف مجتهداً • اعتمد ليحيى حليف الجود والكرم

قال : فأخذت الصوت وأحكته . ثم قال لي : أنصرف الى الوزير يحيى بن خالد  
فإنك تجد الناس على بابه قبل أن يفتح الباب ، ثم تجد الباب قد فُتح ولم يجلس بعد ،  
فأستأذن عليه قبل أن يصل اليه أحد ، فإنه يُنكر بحيلك ويقول : من أين أقبلت  
في هذا الوقت ؟ فخذته بقصدك لآيى وما ألقىت اليك من خبر الضيعة وأعلمه أنى  
قد صنعت هذا الصوت وأعجبنى ولم أر أحداً يستحقه إلا جاريته فلانة ، وأنى ألقىته  
عليك [ حتى أحكته ] لتطرحه عليها ؛ فسيدهوها يأمر بالسارة فتُصب ويوضع  
لها كرمى ويقول لك : أطرحه عليها بحضرك ؛ فأفعل وأُتي بما يكون بعد ذلك من  
الخبر . قال فخار : بفتحت الى باب يحيى بن خالد فوجدته كما وصف . وسألنى  
فأعلمته بما أمرنى به ؛ ففعل كل شيء قاله لي إبراهيم وأحضر الجارية فألقيته عليها .  
ثم قال لي : تُقيم عندنا يا أبا المهنا أو تنصرف ؟ فقلت : بل أنصرف ، أطال الله بقاءك ،  
فقد علمت ما أذن لنا فيه . فقال يا غلام ، احمِل مع أبى المهنا عشرة آلاف درهم  
واحمل الى أبى إسحاق مائة ألف درهم ممن هذه الضيعة ، فحملت عشرة الآلاف معى ،  
وأُتيت منزلى وقلت : أسريوى هذا وأسرو من عندى . ومضى الرسول بالمال  
الى إبراهيم ؛ فدخلت منزلى وثرث على من عندى دراهم من تلك البدرة وتوسدتها  
وأكلت وشربت وطربت وسُررت يومى كله . فلما أصبحت قلت : والله لا أتين  
أستاذى ولا أعرف خبره ، فأُتيته فوجدته كهيلته بالأسس على مثل ما كان عليه ،  
فترمت وطربت فلم يتأق ذلك بما يجب ؛ فقلت : ما الخبر ؟ ألم يأتك المال  
بالأسس ؟ فقال : بلى ، فما كان خبرك أس ؟ فأخبرته بما كان وقلت : ما تنتظر ؟  
فقال : ارفع السجف ، فرفعته فإذا عشرين درهماً ؛ فقلت : فأى شيء بقى عليك فى أمر

الضيعة ؟ فقال : ويحك ! ما هو والله إلا أن دخلت منزلي حتى تَصَحَّتْ عليا وصارت مثل ماحويث قديما . فقلت : سبحان الله ! فتصنع ماذا ؟ قال : قم حتى أُلقي عليك صوتا صنعتُه يفوق ذاك . فقامت فجلست بين يديه ؛ فألقى عليّ :  
وَيَفْسَحُ بِالْمَوْلُودِ مِنْ آلِ بَرَمِكْ \* بُعَاةُ النَّدَى ، وَالسَيْفُ وَالرَّيْحُ وَالنَّصْلُ  
وَتَبْسِطُ الْأَمَالَ فِيهِ لِقَضَلِهِ \* وَلَا سِيَا إِنْ كَانَ وَالِدَهُ الْفَضْلُ

- قال غزاري : فلما ألقى عليّ الصوت سمعتُ ما لم أسمع مثله قطّ وصغرتُ في عيني الأول ، فأحكته . ثم قال : امضي الساعة إلى الفضل بن يحيى ، فإنك تجده لم يأذن لأحد بمُدّ وهو يريد الخلوة مع جواريه اليوم ؛ فاستأذن عليه وحديثه بجدينا وما كان من أبيه إلينا ، وأعلمه أني صنعتُ هذا الصوت وكان عندي أرفع منزلة من الصوت الأول الذي صنعتُه بالأمس ، وأني ألقيته عليك حتى أحكته ووجهتُ بك قاصداً لِيُلقِيَهُ عليّ فلانة جارحة . فصرْتُ إلى باب الفضل فوجدتُ الأمر على ما ذكره ، فاستأذنتُ فوصلتُ إليه ؛ وسألني عن الخبر ، فأعلمته بخبري وما وصل إليّ وإليه من المال ؛ فقال : أنزلي الله إبراهيم ! ما أبحله على نفسه ! ثم دعا خادما فقال له :  
إِضْرِبِ السَّارَةَ ، فَضْرِبْهَا ؛ فقال لي : ألقه . فلما ألقيته وغتته الجارية لم أتمه حتى أقبل يحترق مطرقه ، ثم قعد على رِسَادَةِ دُونَ السَّارَةِ وقال : أَحْسَنَ وَاللَّهِ اسْتَأْذَكَ وَأَحْسَلْتَ أَنْتَ يَا غَزَارِي . ولم أبرح حتى أحكته الجارية ؛ فسر بذلك سرورا عظيما وقال : أقيم عندي اليوم . فقلت : ياسيدي إنما بقي لنا يوم واحد ، ولولا أنني أُحِبُّ مَرُورَكَ لم أخرج من منزلي . فقال : يا غلام ، إحمل مع أبي المهنا عشرين ألف درهم وإلى أبي إسحاق مائتي ألف درهم . فانصرفتُ إلى منزلي بالمال ، وفضحتُ بَدْرَةً وتترت منها على الجوارى وشربتُ وسُررتُ أنا ومن عندي يومنا .  
فلما أصبحتُ بَكَرْتُ إلى إبراهيم أتعرف خبره وأعرفه خبري ، فوجدته على الحال

التي كانت عليها أولاً وآخراً؛ فدخلت أترتم وأصقق . فقال لي : أَدُنْ؛ فقلت : ما بقي عليك ؟ فقال : اجلس وأرفع تحف هذا الباب؛ فرفعته فإذا عشرون بدرّة مع تلك العشر . فقلت : ما تنتظر الآن ؟ فقال : ويحك ! ما هو إلا أن حصلت حتى جرت تجرى ما تقدّم . فقلت : والله ما أظن أحداً نال من هذه الدولة ما نلت ! فلم يجمل على نفسك بشيء تمنّيته دهرًا وقد ملكك الله أضعافه ! ثم قال : اجلس نخذ هذا الصوت . فأتني على صوتا أنساني صوتي الأولين وهو :

أَفِي كُلِّ يَوْمٍ أَنْتَ صَبٌّ وَلَيْلِيَّةٌ \* إِلَى أُمِّ بَكْرِ لَا تُفْنِي قُفُصُورُ  
أَحِبُّ عَلَى الْمِجْرَانِ أَكْثَافَ بَيْتِهَا \* فَيَا لَكَ مِنْ بَيْتٍ يُحِبُّ وَيُهْجَرُ  
إِلَى جَعْفَرٍ سَارَتْ بِنَا كُلِّ جَمْرَةٍ \* طَوَاهَا سُرَاهَا نَحْوُهُ وَالتَّهْجُرُ  
إِلَى وَاسِعٍ لِلْجَنْدِينَ فِتْنَانُهُ \* تَرُوحُ عَطَايَاهُ طَلِيمٌ وَتَبْكُرُ ١٠

— وهو شعر مروان بن أبي حفصة يمدح جعفر [بن يحيى] — قال غمارق : ثم قال لي إبراهيم : هل سمعت مثل هذا قط ؟ فقلت : ما سمعت قط مثله ! فلم يزل يردّده عليّ حتى أخذه ، ثم قال لي : امض إلى جعفر فافعل به كما فعلت بأبيه وأخيه . قال : فضنيت ففعلت مثل ذلك وأخبرته بما كان وعرضت عليه الصوت؛ فسره ودعا خادماً فأمره أن يضرب السّتارة، وأحضر الجارية وقعد على كرسي؛ ثم قال : هات يا غمارق؛ فالتقيت الصوت طليها حتى أخذه؛ فقال : أحسنت يا غمارق وأحسن أستاذك، فهل لك في المُقام عندنا اليوم؟ فقلت : يا سيدي، هنا أتيراً يا ماما، وإنما جئت لموقع الصوت متى حتى ألقينه على الجارية . فقال : يا غلام، إحمل معه ثلاثين ألف درهم وإلى الموصل ثلاثمائة ألف درهم . فصرت إلى منزلي بالمسأل وألقت ومنّ عندي ممرورين نشرب طولاً يومنا ونظرب . ثم بكت إلى إبراهيم ٢٠

(١٣٥)

- فلقاني قائما، ثم قال لي: أحسنت يا غارق! فقلت: ما الخبر؟ قال: اجلس بفلسف؛ فقال لمن خلف الستارة: خذوا فيها أتم عليه ثم رفع السجف فإذا المال، فقلت: ما خبر الضبيعة؟ فأدخل يده تحت مسورة وهو متكئ عليها فقال: هذا صك الضبيعة اشتراها يحيى بن خالد وكتب إلى: «قد علمت أنك لا تسخو نفسك بشراء هذه الضبيعة من مال يحصل لك ولو حوت الدنيا كلها، وقد أبتعتها من مالي». ووجه إلى بصكها، وهذا المال كما ترى. ثم بكى وقال: يا غارق، إذا عاشرت معاشر مثل هؤلاء، وإذا خذت نفنك مثل هؤلاء، ستمائة ألف، وضبيعة بمائة ألف، وستون ألف درهم لك، حصلنا ذلك أجمع وأنا جالس في مجلسي لم أبرج منه، متى يدرك مثل هؤلاء! وروى عنه قال: أتيت الفضل بن يحيى يوما فقلت له: يا أبا العباس، جعلت فداك! سب لي دراهم فإن الخليفة قد حبس ربه. فقال: ويحك يا أبا إسحاق، ما عندى ما أَرْضاه لك. ثم قال: هاه! إلّا أن هاهنا خصلة، أنا رسول صاحب اليمن فقضينا حوائجه، ووجه [اليثا] بخمسين ألف دينار يشتري لنا بها محبتنا. ففعلت ضياء جاريك؟ قلت: عندى جعلت فداك. قال: فهوذا، أقول لهم يشترونها منك فلا تنقصها من خمسين ألف دينار؛ فقبلت رأسه ثم أنصرفت. فبكر على رسول صاحب اليمن ومعه صديق له ولى، فقال: جاريك فلانة [عندك]؟ قلت: عندى. قال: أعرضها على فمرضتها عليه؛ فقال: بكم؟ قلت: بخمسين ألف دينار ولا أنقص منها دينارا واحدا، وقد أعطاني الفضل بن يحيى أسس هذه العطية،
- (١) في الأغانى: «فيا أتم فيه». (٢) المسورة: الرسالة من الجلد.

- (٣) كذا في الأغانى (ج) ص ١٨٣ طبع دار الكتب المصرية) ومثناها: إذا أردت أن تنفى نفرا مثل هؤلاء. وفي الأصل: «وإذا احتكرت فاحتكر» وهو تحريف. (٤) الزيادة عن الأغانى. (٥) كذا في الأغانى. وفي الأصل: «سعى يشترونها». (٦) الزيادة من الأغانى.

فقال : هل لك في ثلاثين ألف ديناراً مُسَلَّمة؟ وكان مشترى الجارية أربعائة دينار، فلما وقع في أذنى ذكر ثلاثين ألف دينار أُرْجِحَ عَلَيَّ وَلَحِقَنِي زَمْعٌ، وأشار عَلَيَّ صديق الذي معه بالبيع، وخِفْتُ والله أن يَحْدُثَ بِالْجَارِيَةِ حَدَثٌ أَوْ بِي أَوْ بِالْفَضْلِ بْنِ يَسَى، فسَلَمْتُهَا وَأَخَذْتُ الْمَالَ . ثم بَكَرْتُ عَلَى الْفَضْلِ، فإذا هو جالسٌ وحده . فلما نظر إلى صَاحِبِكَ وقال لي : يا ضيقَ الْعَطَشِ وَالْحَوَصَلَةِ، حَرَمْتَ نَفْسَكَ حَشْرِينَ أَلْفَ دِينَارٍ . فقلت له : جُعِلَتْ فِدَاكَ، دَخَّ ذَا عَنكَ، فوالله لقد دخلني شيءٌ أَعْجَزُ عَنْ وَصْفِهِ وَخِفْتُ أَنْ تَحْدُثَ بِي حَادَثَةٌ أَوْ بِالْجَارِيَةِ أَوْ بِالْمَشْتَرِي أَوْ بِكَ أَعْذَرَكَ اللَّهُ مِنْ كُلِّ سُوءٍ، فبادرتُ بِقَبُولِ الثَّلَاثِينَ أَلْفَ دِينَارٍ . فقال : لَا ضَيْرَ، يا غلامُ جِئْ بِجَارِيَتِهِ، يَخِيءُ بِهَا، فقال : خُذْ بِيَدِهَا وَأَعْرِفْ بَارَكَ اللَّهُ لَكَ فِيهَا، مَا أَرَدْنَا إِلَّا مَنَافِعَتَكَ وَلَمْ تُرِدِ الْجَارِيَةَ . فلما نهَضْتُ قال لي : مَكَانَكَ، إِنَّ رَسُولَ صَاحِبِ أَرْمِيلِيَّةٍ قَدْ جَاءَنَا فَقَضَيْنَا حَوَائِجَهُ وَفَقَدْنَا كُتُبَهُ، وَقَدْ ذَكَرْنَا أَنَّهُ قَدْ جَاءَ بِثَلَاثِينَ أَلْفَ دِينَارٍ يَشْتَرِي لَنَا بِهَا مَا نَحِبُّ، فَأَهْرِضْ عَلَيْهِ جَارِيَتَكَ هَذِهِ وَلَا تَقْصِبْهَا مِنْ ثَلَاثِينَ أَلْفَ دِينَارٍ؛ فَأَنْصَرَفْتُ بِالْجَارِيَةِ . وَبَكَرْتُ رَسُولَ صَاحِبِ أَرْمِيلِيَّةٍ وَمَعَهُ صَدِيقِي لِي آخَرُ، فَقَاوَلَنِي بِالْجَارِيَةِ؛ فقلت : لَنْ أَقْصِبَهَا مِنْ ثَلَاثِينَ أَلْفَ دِينَارٍ . فقال لي : مَعِيَ عَشْرُونَ أَلْفَ دِينَارٍ مُسَلَّمةٌ خَذَهَا بَارَكَ اللَّهُ لَكَ فِيهَا . فَدَخَلَنِي وَاللَّهِ مِثْلُ الَّذِي دَخَلَنِي فِي الْمَرَّةِ الْأُولَى وَخِفْتُ مِثْلَ خَوْفِي الْأَوَّلِ، فسَلَمْتُهَا وَأَخَذْتُ الْمَالَ . وَبَكَرْتُ عَلَى الْفَضْلِ، فإذا هو وحده . فلما رَأَى ضَحْكَ وَضَرْبَ بَرِجْلِهِ ثُمَّ قَالَ : وَيْحَكَ، حَرَمْتَ نَفْسَكَ عَشْرَةَ أَلْفَ دِينَارٍ . فقلتُ : أَصْلَحَكَ اللَّهُ، خِفْتُ وَاللَّهِ مِثْلَ مَا خِفْتُ فِي الْمَرَّةِ الْأُولَى . فقال : لَا ضَيْرَ، [أَنْتِجُ<sup>(٢)</sup>] يَا غلامُ جَارِيَتَهُ يَخِيءُ بِهَا؛ فقال : خُذْهَا، مَا أَرَدْنَا هَا وَأَرَدْنَا إِلَّا

(١) كذا في الأغاني . والواقع : شبه الوعدة تأخذ الإنسان . وفي الأصل : « جزم » .

(٢) كذا في الأغاني . وفي الأصل : « أن يحدث بالجارية حدث أرق في أمر الفضل » .

(٣) الزيادة عن الأغاني .

- مفتنك. فلما ولت الجارية صحت بها: أرجى فرجعت، فقلت: أشهدك جعلت فداك هي حرة لوجه الله تعالى، وإنى قد تزوجتها على عشرة آلاف درهم، كسبت لى فى يومين خمسين ألف دينار فما جزاؤها إلا هذا. فقال: وقفت إن شاء الله تعالى. وأخبره مع البرامكة كثيرة وصلاتهم له وافرته. وقد ذكرنا منها ما فيه غنية عن زيادة. فلقد كره وفاة إبراهيم. كانت وفاته ببغداد فى سنة ثمان وثمانين ومائة، ومات فى يوم وفاته العباس بن الأحنف الشاعر، وهشيمة الخمارية؛ فرفع ذلك إلى الرشيد فأمر المأمون أن يصل عليهم، نخرج وصل عليهم.
- قال إصحاق: لما مريض إبراهيم مرض موته ركب الرشيد حمارا ودخل على إبراهيم يعودوه وهو جالس فى الأبن<sup>(١)</sup>، فقال له: كيف أنت يا إبراهيم؟ فقال: أنا والله يا سيدي كما قال الشاعر:

سقيم مل منه أقر بوه • وأسأله المداوى والحميم  
فقال الرشيد: إنا لله! نخرج، لما بعد حتى سمع<sup>(٢)</sup> الواعية عليه.

(١) الأبن مثلثة الأول: حوض يقتل فيه، وقد يخذ من نحاس، مغرب آب زن.

(٢) الواعية: الصراخ على الميت ونحوه.

صورة ما ورد بآخر الجزء الرابع في أحد الأصولين الفتوغرافيين :

هذا آخر الجزء الرابع من نهاية الأرب في فنون الأدب .  
والحمد لله وحده، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم،  
وحسبنا الله ونعم الوكيل .

صورة ما ورد بآخر الجزء الرابع في الأصل الآخر الفتوغرافي :

كل الجزء الرابع من كتاب نهاية الأرب في فنون الأدب على يد  
مؤلفه فقير رحمة ربه أحمد بن عبد الوهاب بن محمد بن عبد الدائم  
البكرى التيمى القرشى المعروف بالنويرى عفا الله عنهم .

تم الجزء الرابع من كتاب نهاية الأرب في فنون الأدب،

يتلوه إن شاء الله تعالى الجزء الخامس وأوله

ذكر أخبار إسحاق بن إبراهيم الموصلى

٥٠

١٠


( مطبعة الدار ١٩٣٣/١٠٠٠ )

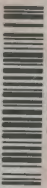








 Библиотека Александрина



0409825